



التقافة الجديدة

ملف الراحل الكبير
القائد الشيوعي عزيز
محمد (ابو سعود)

مقالات

عقيل الناصري
صبري زاير السعدي
كاظم المقدادي
جاسم هداد

نصوص قديمة

عبد الرزاق الصافي

نصوص مترجمة

عبد الله حبة

حوارات

حوار مع الفنان التشكيلي
فيصل لعبي صاحي

أدب وفن

ندوة حول الاصلاح الثقافي

حميد الربيعي
فاضل تاسر
نجاح هادي كبة
جودت جالي



الثقافة الجديدة



فكر علمي - ثقافة تقدمية

تأسست عام 1953

رئيس التحرير: د. صالح ياسر

محرر "أدب وفن": ابراهيم الخياط

المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها

العدد: 390-391

تموز: 2017

يرجى ارسال مواد أدب وفن على العنوان الاتي:

alkhiatibrahim@gmail.com

2000
1100
50

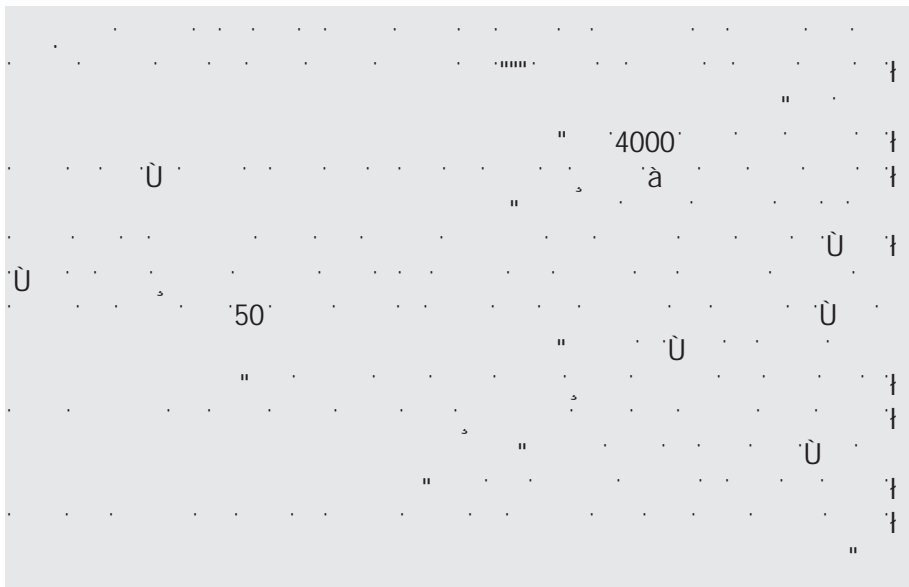
Althakafa Aljadida Magazine
Mansour Bank for Investment- Baghdad
Account No:30721
SWIFT CODE: MBIVIQBA

11153
MBIVIQBA

thakafajadida@hotmail.com
thakafajadida4u@gmail.com

<http://www.althakafaaljadeda.com>

781
1288



محتويات العدد

5- كلمة العدد

7- ملف الراحل الكبير القائد الشيوعي عزيز محمد (ابو سعود).

مقالات

- 82- جدلية التغيير الجذري في 14 تموز 1958 عقيل الناصري
92- معالجة رياضية في التخطيط الاقتصادي صبري زاير السعدي
108- حظر الأسلحة النووية وطبيعة المواقف الراضة له كاظم المقدادي
119- حق المرأة في الترشيح في النظام الدستوري العراقي جاسم هداد

نصوص قديمة

- 130- في ذكرى ثورة 14 تموز، الفرصة الضائعة لإقامة الديمقراطية عبد الرزاق الصافي

نصوص مترجمة

- 138- (من أرشيف الكومنترن) رسالة رقم 11 ترجمة: عبد الله حبة

حوارات

- 142- حوار مع الفنان التشكيلي فيصل لعبيي صاحبي 1-2 أجرى الحوار: يوسف الناصر

أدب وفن

كلمة «أدب وفن»

158- أفق سردي قادم حميد الربيعي

في الحدث الادبي والفني:

160- ندوة حوارية في بغداد حول الاصلاح الثقافي

دراسات نقدية

164- موفق محمد : شاعر الكوميديا السوداء ومدون الفجيرة فاضل ثامر

179- وقفات على آراء د.علي جواد الطاهر، التربوية والتعليمية نجاح هادي كبة

190- متابعات في الصحافة الثقافية العالمية ترجمة: جودت جالي

لوحنا غلافي العدد : للفنان فيصل لعيبي صاحي

تموز جديد.. وأمل يتجدد!

يصدر العدد 390-391 في تموز، وفي هذا الشهر تكون قد مرّت الذكرى التاسعة والخمسون لثورة 14 تموز 1958. وعلى الرغم من أن الأمر كله بدأ بتحريك عسكري، يذكر بالأعمال الانقلابية التقليدية إلا أنه كان في واقع الأمر تتويجا لحقبة مديدة من الهبات والوثبات والمظاهرات التي سبقت الثورة وكانت إرهابا لها بل وحتى من أسبابها المباشرة. كما كانت الثورة بمثابة الفتيل الذي أطلق النهوض الثوري لملايين العراقيين والعراقيات، الذين كانوا متحفزين ينتظرون بفارغ الصبر الفرصة السانحة لفرض ارادتهم في التغيير السياسي والتحويل الاجتماعي. قبل ثورة تموز 1958 كانت هناك الثورة الفرنسية التي اندلعت في الرابع عشر من تموز 1789، حيث اجتاحت جماهير باريس وكادحياها سجن الباستيل الرهيب، مفتحين ما اريد له ان يكون عهد حكم الشعب لنفسه، والانتقال الى "مملكة العقل" التي تسودها مثل "الحرية، الإخاء، المساواة".

تجربة الثورة الفرنسية، قدر تعلقها بتموزنا، مهمة وجديرة بالتوقف. فلم تكن البرجوازية الفرنسية (الضعيفة والمفتتة آنذاك) هي التي حددت احداث الثورة الشعبية، بل كان ذلك دور عوام باريس وكادحياها الذين دفعوا البرجوازية الى تبني مواقف جذرية تتجاوز ما كانت تريده هذه الطبقة. والبرجوازية التي لم ترد ان تفلت الامور من بين ايديها كانت تستجيب لذلك من جهة، ولكنها بالمقابل كانت تسعى الى قمع الجناح الثوري من جهة أخرى، حتى انتهى الامر بإعدام قادة الثورة الجذريين انفسهم لتستتب الامور لها.

وبعد 170 عاما كان العراق يشهد تجربة مماثلة! فالعام الاول من عمر الثورة لم يتسم بالديمقراطية لأن البرجوازية ارادت ذلك. بل على العكس هي التي دعت الجماهير منذ أول ايام الثورة الى "الهدوء والسكينة". لكن ضغط الجماهير الشعبية التواقة الى اوسع فضاءات الحرية هو الذي دفع السلطة الى الاستجابة من جهة، بينما بدأت من بعض اطرافها التحضير للثورة المضادة في شباط 1963 من جهة ثانية.

وهكذا لم يحسب مئات الألوف من الناس المحتشدين في شوارع المدن وساحاتها، احتفاء بنصر ثوري باذخ، دوح الحلف الامبريالي - الرجعي وعملاء في المنطقة، ان الاعراس ستتحوّل، بعد حين، الى عذابات وأحزان. فما ان اطيح بالحكم الملكي حتى تخلخل ثم انهار التحالف الوطني العريض الذي انجب ذلك النصر المؤزر والتاريخي. وبذلك فتح الباب على مصراعيه لتغلب النزعة الدكتاتورية بكل ما رافقها من شرور وكوارث بلغت اوجها في انقلاب شباط عام 1963 وتعمقت بعد وصول حزب البعث الى السلطة في 17 - 30 تموز 1968 وخصوصا بعد صعود صدام حسين الى مركز الشخص الاول في الحزب والدولة.

هكذا إذن، وتبعاً لقانون الثورات الاجتماعية لم تواصل ثورة تموز صعودها، بل انتكست في لحظة حاسمة من لحظات تطورها ونشأ مسار جديد للصراع، اتخذ طابعا دمويا وقيامات وحروبا داخلية وخارجية لا تنتهي. ثمة عشرات من الأسئلة وعلامات الاستفهام المتكاثرة في الصدور، التي تملئ طرحها لكي نفهم جذور الانتكاسة وأسبابها الفعلية ودروسها، ولكن لا يتسع المجال هنا للدخول في تفاصيلها.

الحركة الاحتجاجية.. الامل المرتجى والحلم غير المؤجل

من بين أبرز دروس ثورة 14 تموز أن حصيلة الصراع من أجل تحقيق مطلب بناء الديمقراطية وأفاقها لا تحدده القوى المهيمنة والطبقات المسيطرة، بل انخراط جماهير الشعب وكادحيه في النضال من اجل بناء دولة مدنية ديمقراطية عصرية.

فمن يتابع ما جرى في بلادنا خلال السنوات الأخيرة سيلاحظ بروز ديناميات اجتماعية متعددة. وهذا ما نلاحظه بشأن الدور الذي نهضت وتنهض به الحركة الاحتجاجية. فبالرغم من طيف واسع من الاجراءات التي اتخذها النظام المحاصصي السائد في بلادنا ومحاولات احتوائه للحراك المجتمعي باستخدام تكتيكات تجمع بين "العصا والجزرة" فإن التجربة الملموسة بينت ان موجات الحركة الاحتجاجية تتصاعد... وقاعدتها المجتمعية تتوسع وتدخلها قوى جديدة متنوعة المشارب والمرجعيات، وسقف مطالبها يتجذر. والمتابع لتاريخ هذا الحراك سيلاحظ أن الاحتجاجات بدأت مطلبية/ خدمية، لكنها سرعان ما تحولت الى احتجاجات سياسية/ اجتماعية وطنية. فلم يعد المتظاهرون يقبلون بإصلاحات شكلية "ترم" نظام المحاصصة، وتكتفي بإعادة توزيع الادوار والمناصب والثروة والنفوذ بين قوى النظام المحاصصي وأقطابه ورموزه، واستعادة بلدهم من سارقيه وفاسديه، وإجبار هذا النظام وسلطته – ان عاجلا أم آجلا – على الخضوع لإرادة الشعب وتحقيق مطالبه العادلة والمشروعة في الحرية والديمقراطية والكرامة والعدالة الاجتماعية وبناء الدولة المدنية الديمقراطية العصرية، كبديل لدولة الطوائف والهويات الفرعية. هذا اضافة الى بناء ثقافة وطنية ديمقراطية وتأسيس مشهد ثقافي صحي يجعل من الثقافة العراقية بتنوعها الثري مرادفا للتقدم والديمقراطية والإيداع.

ان هذه التحركات بما احتوته من اشكال ثرية ومتنوعة تؤشر حقيقة أنه في ظروف النضال المجتمعي / الديمقراطي الذي يخوضه شعبنا بمختلف قطاعاته وطبقاته وفئاته وشرائحه الاجتماعية، تبرز الأهمية المحورية للعمل الجماهيري والنشاط الاحتجاجي والمطلبي، باعتباره أحد روافع النضال الأساسية للقوى الحاملة للمشروع العابر للطوائف.

درس تموز الأهم.. ما زال حيا

ومن جهة أخرى، فإن من بين كل دروس ثورة تموز ثمة درس مهم أيضا هو ان هذه الثورة انتصرت لأنها اعتمدت على وحدة القوى الوطنية والديمقراطية التي ناهضت الحكم الملكي وناصرت الثورة وساهمت في نهوضها.. في حين كان من بين عوامل انتكاستها الصراعات التي نشبت بين هذه القوى حيث عجز العديد منها عن فهم طبيعة المرحلة التي دشنتها الثورة وترتيبها. أي تلك القوى – ترتيبا خاطئا للتناقضات بتغليب الثانوي منها على الرئيسي. طبعاً دون ان نتغافل عن النزعات الفردية بل وحتى الدكتاتورية لبعض قادة الثورة وعدم رهانهم على الجماهير الشعبية، كان من بين العوامل التي ادت الى انتكاسة الثورة وتتويج ذلك بثورة الردة الفاشية في الثامن من شباط 1963.

رغم كل الصعوبات.. الأمل يتجدد!

إن خلاص الوطن من ازمته البنيوية المتعددة الصعد غير مستحيل على الذين يرون في التغيير طريقا الى عراق متحرر من الفساد والعسف والاحتراب الطائفي والتمييز والاستقطاب الاجتماعي والمحاصصات. فبعد 59 عاما من اندلاع ثورة 14 تموز وفي ظل الاوضاع السائدة، يبدو ان الحاجة ملحة أكثر من أي وقت مضى للرهان على طريق آخر وبديل آخر هو البديل العابر للطوائف؛ البديل المدني – الوطني – الديمقراطي... انه بديل المواطنة الحقة؛ حيث يشعر الجميع انهم متساوون في الحقوق والواجبات، ويعيشون في دولة مدنية ديمقراطية معاصرة تقوم على العدالة الاجتماعية.

في تموز 2017 يتجدد الامل بعراق جديد؛ عراق خال من الازمات والفساد وخيبات الامل والتهميش والإقصاء والاستعصاءات الدائمة وتنازل الازمات ومكائد حيتان السلطة وحروب المحاصصين من القوى المنتفذة. من المؤكد ان النكوص وقبول الامر الواقع ليس خيارنا.. سيندرج الارهاب وستتنكس رايات "داعش" تحت ضربات القوات المسلحة العراقية بكل صنوفها، سليمة الجيش العراقي الذي انجز ملحمة 14 تموز 1958 وأطاح بالنظام الملكي. ومنتزه هذه الفرصة لنتوجه إليها – أي للقوات المسلحة – بالتحية والتهنئة على ما حقته من انتصارات وهي تطوي الفصل الأخير من معركة الموصل.

وبرغم كل المصاعب سنبقى متسلحين بالأمل وبمضاء العزيمة من أجل بناء وطن يتسع لنا جميعا!



**ملف الراحل الكبير القائد الشيوعي
عزيز محمد (أبو سعود)**

(الثقافة الجديدة)؛ القائد الشيوعي الكبير عزيز محمد (ابو سعود) . . وداعا

بألم بالغ وحزن عميق تلقينا نبأ رحيل القائد الكبير عزيز محمد (أبو سعود)، السكرتير السابق للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، الوطني الصادق والأممي الاصيل والشخصية الوطنية والقومية والاجتماعية البارزة في العراق من شماله الى جنوبه ومن شرقه الى غربه.. وبرحيله ننحني تحية الوداع الواجبة لرفيق عزيز على القلب، امتاز بطيبته وابتسامته الدائمة والدافئة حتى في اشد اللحظات صعوبة.

لقد منيت الحركة الوطنية وقوى اليسار والديمقراطية وكل محبي العدالة والسلم في بلادنا بخسارة واحد من رجال بلدنا الكبار؛ فقد توقف عن الخفقان قلب وطني صادق، وشيوعي عراقي وكردستاني راسخ المثل والمبادئ، ومناضل معروف، قارع الانظمة القمعية والدكتاتورية في سبيل مصالح شعبنا الاساسية منذ انتمائه الى صفوف الحزب في أواسط الاربعينيات وحتى لحظة رحيله الابدي. وعزأونا، في هذا المصاب الجلل، ان الفقيد الكبير ترك إرثا طيبا من المواقف الناصعة والذكريات الطيبة والسلوك الانساني الرفيع.

عاش (ابو سعود) حياة خصبة، فقد اقترنت مسيرته النضالية الطويلة بأهم محطات الحركة الديمقراطية واليسارية في العراق على امتداد سبعة عقود ونيف، دفاعا عن قضايا الكادحين وفقراء الناس في المدينة والريف.. لذا كانت حياته على امتدادها الواسع درسا كبيرا يعيشها المناضل والإنسان، كما يجب ان تعاش. عاش حياة خصبة بكل ما تحمله مخاطر واقتحامات وخطوب، دفاعا عن حزبه، وعن المثل والقيم الشيوعية، وعن جمال الوطن وبهاء الحزب وهو يقارع الظلم والطغيان من اجل «وطن حر وشعب سعيد».

ورغم كل الصعوبات والانكسارات على الصعيدين المحلي والعالمي لم يفقد (ابو سعود) الثقة بعراق ديمقراطي اتحادي وبالاشتراكية كخيار يمثل مستقبل البشرية الساعية الى عالم تسوده العدالة والحرية والمساواة، عالم خال من الحروب والعسف والاستغلال والاستقطاب الاجتماعي.

خالص التعازي لعائلة الرفيق العزيز ابي سعود ولرفاقه ورفيقاته من زاخو حتى الفاو ومن الانبار حتى خانقين.

ابو سعود.. وداعا، وسلاما على الوطن الجميل الذي أنجبك ولم يبارحك لحظة.. ستظل في القلب.. لن ننساك لأن الورد يعبق برائحة الحياة ولا يشيخ!
لأبي سعود.. مجد المناضل الكبير والقائد المرموق والانسان.

هيئة تحرير مجلة (الثقافة الجديدة)

2017/ 6/ 1

الحزب الشيوعي العراقي ينعى القائد المناضل عزيز محمد

تلقينا اليوم بأسى عميق وألم ممرض خبر رحيل القائد الشيوعي المخضرم والشخصية الوطنية العراقية والكردية البارزة، المناضل الرفيق عزيز محمد، عن عمر يناهز الثالثة والتسعين.

ولد الرفيق الفقيه في العام 1924 في قرية بأقصى شمال كردستان العراق، وانخرط مبكرا في النضال القومي الكردي والوطني العراقي. وكان ابن 21 سنة حين اطلع على برنامج الحزب الشيوعي العراقي، الذي اقره مؤتمره الاول سنة 1945، والذي كرس الحقوق الثابتة المشروعة للشعب العراقي بكل اطيافه، وبضمنها الحقوق القومية العادلة للشعب الكردي، فقرر الالتحاق بصوف الحزب. وبالفعل انضم اليه في السنة نفسها، وانغمر في النشاط السياسي بحماس وإخلاص مشهودين.

ولم تمر سنتان على ذلك حتى استدعي للعمل في تنظيم الحزب ببغداد، حيث كانت الحملة البوليسية ضد الحزب تتصاعد، وحيث اعتقل هو نفسه بعد سنة من ذلك وحكم عليه بالسجن 15 عاما في سجن نكرة السلمان. ولم يطلق سراحه الا بعد ثورة 14 تموز 1958 وعلان الجمهورية العراقية.

في سنة 1964 انتخبته اللجنة المركزية للحزب سكرتيرا لها، واعيد انتخابه في مؤتمرات الحزب الثلاثة الآتية: الثاني (1970) والثالث (1976) والرابع (1985). وفي مؤتمر الحزب الخامس (1993) اختار عدم الترشيح لعضوية قيادة الحزب. لكنه بقي حتى النهاية لصيقا بالحزب، مشاركا في جهده وكفاحه وعطائه.

ربط الرفيق ابو سعود حياته كلها، منذ فتوته المبكرة حتى آخر نفس هذا اليوم، بالنضال في صفوف الحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي الكردستاني من اجل قضية الجماهير الشعبية الكادحة، من اجل حرية الوطن وسعادة الشعب.

وفي خضم المسيرة الكفاحية الطويلة والمناخية، عانى الكثير وقاسى وتحمل بصبر ثوري وقناعة عميقة بعدالة القضية، التي رفع رايتها عاليا ودافع عنها باخلاص وتفان وثبات في ميادين العمل السري والعلني، في السجون وفي سوح الكفاح الانصاري المظفر.

مضيئة كانت تلك المسيرة النضالية لرفيقنا العزيز الراحل، وستبقى تنير طريق المناضلين السائرين على خطاه وخطى من سبقوه من قادة الحزب الاماجد، نحو الغد الافضل لشعبنا ووطننا.

وستبقى ذكرى الرفيق عزيز محمد حية في قلوب الشيوعيين وسائر الوطنيين والديمقراطيين وعامة الناس الطيبين في العراق.

المكتب السياسي

للحزب الشيوعي العراقي

31 ايار 2017

رئيس الجمهورية ينعي عزيز محمد

تلقينا بأسف بالغ نبأ وفاة الصديق والأخ الأستاذ عزيز محمد الشخصية الوطنية والمناضل الصلب من أجل حرية بلده وسعادة شعبه. لقد كان الراحل مشاركاً حياً في صناعة جوانب من التاريخ الوطني المعاصر، وكانت مواقفه كمناضل وطني غير متعصب، تقدم مثلاً لكل من أحبوه واقتدوا بسيرته وبنضاله، فكان واحداً من أبرز رموز اليسار والوطنية العراقية. لا يخفف من ألم فقدان عزيز محمد سوى ما خلفه من سيرة عطرة وذكر طيب سيظل محفوظاً له في وجدان شعبه وأمته. أحر تعازينا لعائلة الفقيد الغالي ولرفاقه وأصدقائه ومحبيه. والرحمة الواسعة له.

فؤاد معصوم
رئيس الجمهورية

تعزية رئيس إقليم كردستان بوفاة الأستاذ عزيز محمد

بسم الله الرحمن الرحيم
لقد أحزنني كثيراً نبأ وفاة المناضل والسياسي الكوردي المعروف الأستاذ عزيز محمد. وبهذه المناسبة الأليمة أتقدم بخالص العزاء لعائلة وذوي المرحوم وأصدقائه وأقاربه وكل من عايش وعرف الفقيد الراحل السيد عزيز محمد. وقد كان الفقيد الراحل العزيز محمد مناضلاً وطنياً وصديقاً مقرباً للبارزاني الخالد وترك بصمات مهمة في المراحل المختلفة لنضال شعبنا، وكان لعلاقة الصداقة والتقارب التي ربطت الراحل عزيز محمد مع البارزاني الخالد دور مهم في تعزيز العلاقات الثنائية بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي إبان ثورة أيلول المجيدة، والتي تشكل مرحلة مهمة من تاريخ شعبنا، وبالأخص في إعادة التنظيم السياسي للحزب الشيوعي وقوات البشمركة التابعة للحزب الشيوعي في إطار ثورة أيلول العظيمة بقيادة البارزاني الخالد والدفاع عن القضية العادلة للشعب الكوردي على مستوى العالم. وإن فقدان شخصية مناضلة كالراحل عزيز محمد لهي خسارة كبيرة، وأدعو الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد برحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يلهم الجميع الصبر والسلوان.
إنا لله وإنا إليه راجعون

مسعود بارزاني

تعزية من د. حسن الجنابي وزير الموارد المائية

السيد رائد فهمي السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي المحترم
أتقدم لكم ومن خالكم لقيادة الحزب الشيوعي العراقي وأعضائه وأصدقائه بصادق المواساة
بفقدان المناضل الوطني الكبير عزيز محمد الذي قاد نضال الحزب الشيوعي العراقي العتيد
ضد الدكتاتورية في احلك واقسى الظروف وبرحيله خسرت الحركة الوطنية العراقية
شخصية كبيرة تركت بصمتها على اجيال من الوطنيين العراقيين الذين يواصلون المسيرة
نحو الديمقراطية والعدالة الاجتماعية في المجتمع العراقي.

د. حسن الجنابي
وزير الموارد المائية

الفريق جلال أمين

للأسف فقدنا اعز من عزيز وقائدأ سياسياً مخضرمأ، لم يكمل ولم يمل لخدمة الشعب العراقي،
جليس في مجالسه، حكيم في أدائه، حلو المعشر طيب في تعامله، وبسيط في كلامه لافهام المثقف
والجاهل حتى في امور عامة. كان صمام الامان لشتى المشاكل وكان حله يرضي الجميع .
أحبه الجميع واحترمه الجميع، لأنه كان على خط واحد في مسيرته السياسية. مات بهدوء
ولم يغادر الوطن للعلاج. وتم توديعه من قبل الشعب العراقي بكل حزن واسى.
لن انسى لحظاتي معه وكل زياراتي كانت بدون موعد، واجمل ما كنت اسمع منه: لا نفقدن
الامل بتحسن ظروفنا السياسية طالما هناك مخلصون ومضحون. هو لم يفقد الامل ابدًا.

الفريق جلال امين

المستشار العسكري لرئيس الجمهورية

النائبة ميسون الدملوجي

أتقدم اليكم بأحر التعازي لرحيل الشخصية الوطنية عزيز محمد، وستبقى سيرته ناصعة
في ذاكرة الوطن لمواقفه الشجاعة والتميزة في مقارعة الظلم والدكتاتورية.
تمنياتي لكم ولأهله ومحبيه بالصبر والسلوان

ميسون الدملوجي

عضوة مجلس النواب العراقي

رئيسة لجنة الثقافة والإعلام النيابية

تعازينا لكم وللحزب ولعائلة الرفيق الراحل. شركاؤكم في المصاب .

اخوكم يونادم كنا

رحل عميد الحركة الشيوعية العراقية



اليوم أسدلت الحياة سجفها على نبض قلب رجل بذل سنوات عمره بكامل قناعته من ان تنتصر قضية العدالة الاجتماعية في وطن تخيره (كالبداهة كالمتهى) .
رحل الرفيق والإنسان والمناضل ولما يزل حلمه لم يتحقق، حلمه بعراق ترسم فيه الشمس ابتسامتها على وجوه أطفال الفقراء.
رحل الرفيق الذي لا يخشى النقد لذاته مقتدياً بشجاعة رفاقه الشهداء.
رحل القائد الشيوعي المنسجم مع ذاته.
رحل اليوم (عزيز محمد) الذي ما تردد يوماً في الاعتراف بأخطائه.
كل الكلمات تبدو صماء حين نستعرض حياة هذا المناضل الفذ والذي قدم جهده من اجل الحزب الذي انتمى اليه منذ أربعينات القرن المنصرم وتحمل السجن والتعذيب والتشرد.
ستبقى ذكراك رفيقنا ابا سعود في ذاكرة رفاقك والطيبين من أبناء شعبك.
لروحك السلام الابدي ولنا نحن رفاقك الصبر على هذا الفقد.

اللجنة التنفيذية

لرابطة الانصار الشيوعيين العراقيين

اربيعيل 31 آيار 2017

تعزية سفارة جمهورية الصين الشعبية في بغداد

ببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ وفاة الامين العام الاسبق القيادي في الحزب الشيوعي السيد عزيز محمد.

وبهذه المناسبة الاليمة نتقدم سفارة جمهورية الصين الشعبية لدى جمهورية العراق بأصدق مشاعر التعزية والمواساة وان يلهم محبيه وذويه جميل الصبر وحسن العزاء. تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

تعزية السفير الياباني في بغداد

السيد رائد فهمي سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ وفاة المغفور له السيد عزيز محمد. اني اعرب عن حزني العميق وارفع اجر التعازي والمواساة. وبهذه المناسبة الاليمة اسمحوا لي ان اشاطركم الاحزان والدعم المقدم الى عائلته واصدقائه والمقربين من المرحوم في مساندتكم بهذا المصاب الجلل.

المخلص ابدا

فوميو ايواي

سفير اليابان لدى العراق

تشيع مهيب للقائد الشيوعي الراحل عزيز محمد



الشيخ وكمال شاكر، وعدد آخر من قادة الحزبين. وأبتدأ التشيع من مقر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكردستاني في أربيل، حيث احتشد المئات من الشيوعيين ومناصريهم، ومن القوى العراقية والكردستانية داخل المقر. وحين وصول نعش الفقيد حملته أكف رفاقه وأصدقاء حزبه، وطافت به في جوانب المقر، قبل أن تنتقل به، مع موكب كبير من السيارات، نحو مقبرة (شهداء الحزب الشيوعي العراقي) الواقعة في ضواحي المدينة. وعند وصول جثمان الفقيد إلى المقبرة، وأمام حشود المشيعين، أنزل النعش

جرت يوم الخميس 1 / 6 / 2017 في مدينة أربيل، مراسيم تشيع رسمية لسكرتير الحزب الشيوعي العراقي الأسبق الرفيق الراحل عزيز محمد، الذي وافاه الأجل يوم الأربعاء الماضي، عن عمر ناهز الـ 93 عاماً. مراسم التشيع المهيب للفقيد، حضرته شخصيات سياسية بارزة عراقية وكردستانية يتقدمهم الرفيق رائد فهمي سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، والرفيق كاوة محمود سكرتير الحزب الشيوعي الكردستاني، وزوجة الفقيد السيدة كافية إبراهيم (أم فينك)، والقادة الشيوعيون كريم احمد وعمر علي

كلمة اشادت بالتاريخ النضالي الحافل للرفيق (أبو سعود)، ثم كلمة الحزب الاشتراكي الكردستاني التي القاها محمد حاجي محمود. ليختتم التشييع بكلمة سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكردستاني، الرفيق كاوة محمود. كما وألقيت العديد من برقيات التعزية والمواساة التي بعثتها قوى سياسية متنوعة. هذا وأقام الحزب الشيوعي الكردستاني، مجلس عزاء لمدة يومين، في جامع جليل الخياط وسط مدينة أربيل، استقبل خلاله وفود المعزين، الذين تقاطروا على المكان، كما أقامت منظمة الحزب في مدينة السليمانية مجلس عزاء مماثل.

من سيارة الإسعاف التي كانت تحمله، فتناوبت على حمله عشرات الأكف، ليدخل المقبرة، ويوضع على أرضها، ثم لتبدأ مراسيم التوديع بكلمة الرفيق رائد فهمي سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. جاءت بعدها كلمة ممثل الحزب الديمقراطي الكردستاني، قدمها فاضل ميراني عضو المكتب السياسي للحزب، وفيها اشاد بسيرة الفقيد عزيز محمد وبتاريخه ومواقفه ومكانته الكبيرة بين المناضلين العراقيين. ثم قدم السيد عدنان المفتي، كلمة الإتحاد الوطني الكردستاني، وفيها أشاد بالدور البارز للقائد الشيوعي الراحل طوال عقود من السنين. بعده قدم ممثل حزب زحمة كيشان

كلمة الرفيق رائد فهمي في مراسم تشييع القائد الشيوعي الراحل عزيز محمد سنوات الطريق في هدي مثالك المضيء

ألقى الرفيق رائد فهمي سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، يوم الخميس 2017/ 6/ 1، كلمة وداع في مراسم تشييع الرفيق الراحل عزيز محمد بمحافظة أربيل، فيما يلي نصها:

"نقف اليوم هنا مفعمين بمشاعر حزن عميق لنودع واحدا من أبرز الشخصيات الشيوعية والوطنية العراقية والكردية، ونستذكر صفحات ساطعة من سيرة حياة كانت سلسلة من الامثلة المضيئة.

من تلك القرية في كردستان السماء حتى آخر لحظات حياتك يمتد درب من الالام والتحديات والآمال اجترح فيه مناظلا جسورا عميق الرؤية واثق الخطى، المآثر التي الهمت وستظل تلهم اجيالا من الثوريين على مواصلة الكفاح من اجل عراق الحرية والعدالة والسعادة .. ومن اجل غد وضاء وعالم جديد لسائر البشر.

ايها الراحل الغالي ابو سعود

المجد بك يليق .. ويليق بمحبك الكثر الشيوعيين والوطنيين ان يحفظوا ذكراك كما حدقات العيون وان يستلهموا منك منارا لهم في الدروب المفضية حتما الى ذلك الغد الذي حلمت به وكرست له حياتك المديدة المليئة بالمعاناة والخبر الموحيات والدروس الغنية والتحديات الكبرى والآمال العظام ..

اننا اذ نجتمع اليوم هنا، لا نقف مكتفين بمشاعر الحزن والوداع، بل نقف مفعمين بالوعد على ان نواصل الطريق في هدي مثالك المضيء وننهل من ينابيع الامل التي ظلت تغمر روحك كل حين وتشع على ارواح الماضين معك نحو الغايات الساميات.

ابو سعود العزيز

ذكراك حية في القلوب والضمائر ..

وقضيتك العادلة يمضي بها حاملو إرثك المجيد نحو الغد الوضاء .. "

كلمة الحزب الشيوعي الكردستاني في مراسم دفن الفقيد عزيز محمد

ألقاها الرفيق د. كاوه محمود، سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكردستاني.

"مشاركتم في مراسم دفن الشخصية الوطنية لشعبنا الرفيق عزيز محمد مثار اعتزازنا وشكرنا نحن الشيوعيين.

هذه المشاركة الواسعة تنم عن حقيقة مفادها بان عزيز محمد لم يكن فقط مُلكا للشيوعيين، فقد كان مُلكا لمعظم أطراف حركتنا التحررية الوطنية الكردستانية، اضافة الى كونه واحدا من أبرز القادة الامميين للحركة الشيوعية في منطقتنا والعالم. ومثلما كانت مواقفه وكياسته بمثابة خميرة للتوجه نحو الوفاق والتعايش والسلام بين الاطراف الكردستانية، كان له دوره البارز في التعامل في كل ما يخص التباين في وجهات النظر بين أطراف الحركة الشيوعية.

لقد ساهم هذا المناضل بجدية في الحركة الوطنية الديمقراطية العراقية. وتعامل في هذه المسيرة النضالية بتوازن مرن بشكل لا تتناقض مساهماته النضالية في هذا المجال مع كل ما يخص النضال الوطني الكردستاني.

نحن الشيوعيين الكردستانيين تعلمنا من قائدنا التاريخي عزيز محمد دروسا كبيرة أولها تعميق حبنا لكردستان والنضال من أجل تحقيق مهام حركتنا التحررية الوطنية. وتزامن هذا الدرس النضالي مع التأكيد على النضال الطبقي والدفاع عن حقوق العمال والفلاحين وسائر شغيلة اليد والفكر، والعمل من أجل التنمية وبناء المؤسسات في كردستان.

وتزامنا مع هذه المجالات النضالية، كانت الوجهة الواضحة للرفيق عزيز محمد هي الاصرار على النضال من أجل الاشتراكية التي تعتبر الخيار التاريخي للشيوعيين والمعبر عن ضرورة وجود حزبهم في ساحة النضال.

لقد كان منهج عزيز محمد منهج الحزب الشيوعي وبرنامجه ونظامه الداخلي ومقررات مؤتمراته، وتعلمنا من الرفيق عزيز محمد بأن طريق الحزب ومنهجه أكبر من الشخصيات مهما عظم نضال تلك الشخصيات.

لقد منح رفيقنا الفقيد خلال سني نضاله العديد من الاوسمة والميداليات اعتزازا بنضاله المتفاني وكان أهم وآخر وسام مُنح له هو مشاركتكم الكبيرة والواسعة في مراسم دفنه. دمتم لنا".

تعاز من الاحزاب الشقيقة

تعزية من حزب الشعب الفلسطيني برحيل القائد الشيوعي عزيز محمد

الرفاق أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي الشقيق
تحية رفاقية وبعد،

باسمي وباسم قيادة ورفاق وأصدقاء حزب الشعب الفلسطيني، اتقدم اليكم ومن خلالكم
لرفاق وأصدقاء حزبكم ومن خلالكم الى أسرة الفقيده والى أصدقائه بأحر التعازي وعميق
المواساة برحيل الرفيق المناضل عزيز محمد السكرتير العام السابق لحزبكم .
لقد سطر الرفيق عزيز محمد صفحات نضالية خالدة في تاريخ حزبكم وشعبكم الشقيق
وتبوأ مكانة مرموقة لدى الحركة الشيوعية العربية والعالمية، وسيبقى تراثه النضالي
ملهما لرفاقه وشعبه خاصة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها شعوبنا .

بسام الصالحي

الامين العام لحزب الشعب الفلسطيني

تعاز من الامين العام للحزب الشيوعي الاردني برحيل القائد الشيوعي عزيز محمد

الرفيق الأمين العام للحزب الشيوعي العراقي المحترم
الرفاق أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي الكرام
تحية رفاقية وبعد،

نتقدم اليكم بأحر التعازي وعميق المواساة برحيل الرفيق المناضل عزيز محمد، الذي سجل
صفحات نضالية وعلى مختلف الصعيد العربية والعالمية.
إن رحيل الرفيق المناضل عزيز سيتترك خلفه إرثاً تاريخياً نضالياً، ونبراساً يحتذي به
كل الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين، وسيبقى سجل حزبكم الشقيق حافلاً بعطاء
المناضلين الذين خبرهم تاريخ العراق بعطاء آلاف الشهداء من أجل عراق حر وشعب
سعيد.

تقبلوا تعازينا الحارة

ومن خلالكم الى أسرة الفقيده والى أصدقائه وعموم الرفاق

الأمين العام للحزب الشيوعي الأردني

فرج اطميزه

عمان في 1/6/2017

رسالة تعزية من الحزب الشيوعي اللبناني برحيل القائد الشيوعي عزيز محمد

يتقدّم الحزب الشيوعي اللبناني من قيادة الحزب الشيوعي العراقي وكافة أنصاره ومناضليه بأحر التعازي برحيل الأمين العام السابق والقائد الشيوعي العتيق المناضل عزيز محمد الذي قضى عمره مناضلاً صلباً ولم تثنه السجون والمعتقلات والتضييق عن الاستمرار في نهجه النضالي الثابت.

إن رحيل أحد القادة التاريخيين في الحركة الشيوعية العربية يشكل خسارة كبيرة، لكنه يترك فينا أيضاً إصراراً متجدداً على متابعة درب النضال من أجل التحرر الوطني والتغيير الاجتماعي، من أجل الدولة المستقلة العلمانية المقاومة لكل مشاريع الهيمنة، من أجل التحرير والتغيير الديمقراطي.

فلتكن هذه المناسبة الحزينة مناسبة للتأكيد على درب النضال الطويل على خطى القادة الراحلين.

الحزب الشيوعي اللبناني
لجنة العلاقات الخارجية
3 حزيران 2017

تعازي الحزب الشيوعي السوداني برحيل الرفيق عزيز محمد

الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي
الرفاق الاعزاء

يا اسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني، تقبلوا أحر تعازينا لرحيل القائد الشيوعي والوطني الكبير عزيز محمد الذي كان من أبرز قادة الحزب الشيوعي العراقي، وتولى قيادته في ظروف بالغة التعقيد لكنه تمكن بمساعدة رفاقه من تعزيز الحزب ودحر اعدائه الداخليين والخارجيين.

ونبعث من خلالكم بتعازينا الى عائلة الفقيد واصدقائه.

فتحي الفضل
سكرتير مكتب الاعلام المركزي
الحزب الشيوعي السوداني
3 حزيران 2017

حزب توده ايران يعزي برحيل الشيوعي الفذ عزيز محمد

تلقينا بأسى عميق بيان المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي الشقيق الذي أخبرنا برحيل الرفيق عزيز محمد، الزعيم المخضرم لحزبكم والشخصية الوطنية العراقية والكردية البارزة. ونود ان نبعث بالتعازي القلبية والصادقة لكل كوادر واعضاء ومؤيدي حزب توده ايران الى حزبكم الشقيق، والى قيادة الحزب الشيوعي الكردستاني - العراق، والحركة الوطنية والقومية العراقية، والى عائلة واصدقاء الرفيق الراحل عزيز محمد.

ان حياة ونضال الرفيق الراحل معروفة لنا بصورة جيدة. فقد كرس أكثر من سبعة عقود من حياته في خدمة الحزب والنضال من اجل التغيير التقدمي الجذري في العراق وفي كردستان. وكان الرفيق عزيز محمد مناضلاً صلباً من اجل تقدم وازدهار وطنه، العراق، وظل وفاقياً لقضية الطبقة العاملة العراقية والنضال من اجل نشر مثل الماركسية اللينينية. وقد اعتقل في 1948، في بواكير عمله في صفوف الحزب، من قبل اجهزة الأمن في النظام الملكي الاستبدادي وحكم عليه بالسجن 15 عاماً في سجن نكرة السلمان. ولم يطلق سراحه الا بعد ثورة 14 تموز 1958 وعلان الجمهورية العراقية.

لقد خاض الحزب الشيوعي العراقي الشقيق نضاله خلال واحد من اكثر فصول تاريخ العراق المعاصر تعقيداً واضطراباً تحت قيادة الرفيق عزيز محمد، الذي كان السكرتير العام للحزب في الفترة من 1964 الى 1993.

ويدرك حزب توده ايران جيداً ان الرفيق عزيز محمد كرس كل حياته، منذ فتوته المبكرة حتى آخر نفس له، للنضال في صفوف الحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي الكردستاني، من اجل قضية الجماهير الشعبية الكادحة، ومن اجل حرية الوطن وسعادة الشعب.

ان حياة ونضال الرفيق عزيز محمد ترتبط على نحو وثيق بالتاريخ المجيد لحزب توده ايران. وكان يعرف الكثيرين من قادة حزبنا ومطلعاً على تفاصيل نضاله البطولي. وعقد لقاءات منتظمة لتبادل الخبر ووجهات النظر والتحليل مع قيادة حزب توده ايران. وكان يرى انه نظراً لتشابه نضالات شعبي البلدين الجارين اللذين ينتقسان تاريخاً مديداً، فان من المهم ان يتعاون الحزبان على نحو وثيق ويتبادلان الآراء والتجارب. ومما لا شك فيه ان الفضل في العلاقات الرفاقية الوثيقة بين حزبينا يرجع الى حد كبير الى التركة الثمينة للرفيق عزيز محمد.

ان ذكرى الرفيق عزيز محمد ستبقى حية الى الأبد في قلوب كل الشيوعيين والديمقراطيين والوطنيين في العراق وايران وفي ارجاء الشرق الاوسط، بفضل مساهماته من اجل قضية السلام والتقدم والاممية.

مرة أخرى، تقبلوا تعازي حزب توده ايران برحيل الرفيق عزيز محمد. ونحن على ثقة بأن المثل النبيلة لرفيقنا الراحل ستبقى حية الى الأبد.

ونود ان نغتنم هذه الفرصة لنعبر عن تضامننا مع نضال الحزب الشيوعي العراقي والشعب العراقي من اجل عراق ديمقراطي مدني موحد ينعم بالأمان والسلام.

مع تحياتنا الرفاقية

اللجنة المركزية لحزب توده ايران

الحزب الشيوعي الروسي

الى المكتب السياسي
الحزب الشيوعي العراقي
الرفاق الاعزاء

تعبّر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في روسيا الاتحادية عن تعازيها ومواساتها الصادقة برحيل الرفيق عزيز محمد، الذي كان أحد الشخصيات الأبرز في الحركة الشيوعية العالمية وقائداً وطنياً بحق في بلاده.

لقد كرس الرفيق عزيز محمد حياته في خدمة بلده. ولعب دوراً أساسياً في النضال ضد الدكتاتورية في العراق وفي حركة التحرر الكردية، وسعى لوقت طويل من أجل بناء الديمقراطية في العراق.

وحظي الرفيق عزيز محمد بتقدير عالٍ من الشعب ورفاقه لحياته المتواضعة ولما بذله من أجل إعلاء قيم ومبادئ الاشتراكية.

كان عزيز محمد معروفاً بشكل جيد في موسكو التي زارها مراراً وساهم في مؤتمرات الحزب الشيوعي السوفيتي.

نعبر عن تضامننا مع حزبكم ونشاطر حزن كل الشيوعيين والوطنيين في العراق .

القسم الدولي – اللجنة المركزية

تعازي من الحزب الشيوعي الباكستاني لرحيل الرفيق عزيز محمد

الرفاق الاعزاء

يشاطركم الحزب الشيوعي الباكستاني مشاعر الحزن والأسى لرحيل القائد الشيوعي المخضرم عزيز محمد. نبعث بتعازينا القلبية الى كل رفاق الحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي الكردستاني، والى عائلة الفقيد واصدقائه.

تحية رفاقية حمراء الى روح الرفيق الراحل عزيز محمد مع الاعتزاز

شفيق احمد

مسؤول القسم الدولي

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الباكستاني

4 حزيران 2017

رسالة تعزية من السكرتير العام للحزب الشيوعي البريطاني بوفاة الرفيق عزيز محمد

الرفاق الاعزاء

أبعث اليكم باسم الحزب الشيوعي البريطاني بأحر التعازي بوفاة السكرتير الأسبق لحزبكم، الرفيق عزيز محمد، القائد الوطني العراقي والكردي. لقد كان الرفيق عزيز محمد قائداً معروفاً على الصعيد العالمي في النضال ضد الاستعمار الجديد والامبريالية، ومن اجل تقرير المصير الحقيقي للعراق وحقوق كل أطيافه. ان حياته المفعمة بالالتزام السياسي مثال للشيوعيين في كل مكان. واننا ننكس رايتنا إجلالاً له.

مع الاعتزاز الرفاعي

روبرت غريفشس

السكرتير العام للحزب الشيوعي البريطاني

تعاز من رئيس الحزب الشيوعي الفنلندي برحيل الرفيق عزيز محمد

الرفاق في اللجنة المركزية الحزب الشيوعي العراقي

تلقي الحزب الشيوعي الفنلندي بأسى عميق نبأ رحيل الشخصية الوطنية العراقية والكردية والشيوعية العالمية، السكرتير الاسبق للحزب الشيوعي العراقي الرفيق عزيز محمد.

إننا اذ نشارككم الحزن نود ان نسجل فائق التقدير للمسيرة الكفاحية والنضالية للرفيق الراحل، الذي ارتبط منذ سنوات شبابه الاولى بقضية الكادحين وحرية وطنه وسعادة شعبه، والتي عانى لاجلها الكثير من الملاحقات البوليسية والسجون والمنافي. لقد عرف الرفيق عزيز بمواقفه الاممية الثابتة والتضامنية مع قضايا الشعوب في نضالها من اجل السلام والتحرر والعدالة الاجتماعية.

ان الحزب الشيوعي العراقي والرفيق عزيز محمد يستحقان دائماً الاحترام والتكريم. ستبقى ذكرى الرفيق عزيز محمد حية في قلوب الشيوعيين وسائر الوطنيين والديمقراطيين وعامة الناس في كل مكان.

يوكا - بيكا فايسانين

رئيس الحزب الشيوعي الفنلندي

2017/ 6/ 5

تعارف من الحزب الشيوعي الالمانى بوفاة الرفيق عزيز محمد

الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي
الرفاق الاعزاء

يعبر الحزب الشيوعي الالمانى عن تعازيه القلبية بوفاة الرفيق عزيز محمد، الزعيم الأسبق للحزب الشيوعي العراقي، والمناضل من اجل حقوق الشعب العراقي والشعب الكردي. لقد عجزت عشر سنوات من السجن الجائر عن كسر ارادته وقناعاته. ونشعر بالاعتزاز اذ نرى ان العمل السياسي وحياء هذا الرفيق، الذي كان سكرتيراً للجنة المركزية على مدى ثلاثة عقود، لا تزال تلهم حزبكم. ننحني إجلالاً للرفيق الراحل عزيز محمد. مع تقديرنا الرفاقى

غونتر بوهل

سكرتير العلاقات الدولية

الحزب الشيوعي الالمانى

5 حزيران 2017

تعزية حزب اليسار الالمانى برحيل القائد الشيوعي عزيز محمد

علمنا وبأسف شديد بوفاة الرفيق عزيز محمد، مُعبرين لكم جميعاً عن تعازينا الحارة . لقد لعب عزيز محمد دوراً بارزاً في تأريخ العراق الحديث واليسار العراقي، كمناضل وسياسي بارع من اجل الحرية . ولم تتمكن السجون والملاحقات ان تنال من شجاعته، بل جعلته اكثر صلابة في نضاله ضد الدكتاتورية والقمع، من اجل الديمقراطية والحرية والتي هي محط اعجابنا لطاقاته الشجاعة هذه. نشارككم احزانكم وسيبقى دائم الذكر.

كاتيا كيبينغ بيرندريكسينغر

رئيسا حزب اليسار الالمانى

6/6

تعزية من الحزب الشيوعي النمساوي برحيل الرفيق عزيز محمد

الرفيقات والرفاق الاعزاء في الحزبين الشيوعي العراقي والكردستاني المحترمين ان نبأ رحيل الرفيق عزيز محمد السكرتير السابق للحزب الشيوعي العراقي قد احزن الحزب الشيوعي النمساوي هذا المناضل الاممي المعروف الذي قاد الحزب الشيوعي العراقي لمدة 29 عاما وفي فترات حرجة وصعبة للغاية من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي وناضل من اجل السلام والحرية والاشتراكية لشعبه ووطنه. وبهذه المناسبة الاليمة نشاطركم احزانكم ونحن متأكدون بانكم سوف تواصلون المسيرة والنضال من اجل تحقيق هذه الاهداف ونؤكد لكم بان التعاون بين احزابنا سوف يستمر بين النمسا والعراق من اجل تحقيق هذه الاهداف.

الدكتور ميركو ميسنر

سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي النمساوي

تعازي اللجنة المركزية لحزب الشغيلة التقدمي في قبرص (أكيل) برحيل القائد الشيوعي العراقي البارز الرفيق عزيز محمد

الرفاق الاعزاء

تلقينا نبأ رحيل الرفيق عزيز محمد، الشيوعي البارز والشخصية القيادية العراقية والكردية الذي عكست حياته وارتبطت بالنضالات المديدة البطولية والمثابرة لحزبكم والشغيلة العراقية.

وفي هذه المناسبة المفعمة بالحزن، تبعث اللجنة المركزية لحزب الشغيلة التقدمي (أكيل) بأحر تعازيها الصادقة والقلبية الى حزبكم الشيوعي العراقي الشقيق، والى كل اعضاء ومناضلي حزبكم الذين يكافحون في ظروف بالغة الصعوبة. انها حقا خسارة كبيرة ليس للحركة الشيوعية في بلادكم والنضال المديد للشعب العراقي من اجل الحرية والديمقراطية والاستقلال الوطني والسيادة والتقدم الاجتماعي فحسب، بل وايضا للحركة الشيوعية عموماً. ونرجو ان تنقلوا تعازينا الحارة الى عائلة الرفيق عزيز محمد وأحبته.

وبتكريس كل حياته لقضية الحزب الشيوعي العراقي ونضاله، والقيادة بتقديم المثل، في ظروف بالغة الصعوبة، سيبقى الرفيق عزيز محمد في الذاكرة دوماً بفضل كل نضالاته كإبن بار للجماهير الشعبوية العراقية. ان مثل هذا التفاني والإيمان والالتزام الثوري والتواضع، والنضال المثابر والمديد والتضحية، يلهم اجيالاً جديدة من المخافين ليواصلوا نضاله من اجل حرية وطنكم وسعادة الشعب العراقي.

وبهذه المناسبة، تؤكد اللجنة المركزية لحزب "أكيل" مجدداً تضامنها القوي والثابت مع نضال حزبكم، وستسعى لتعزيز علاقات الصداقة والنضال المشترك التاريخية بين حزبينا.

عندما سيحل اليوم الذي تتحقق فيه حرية العراق واستقلاله وانعتاقه الاجتماعي، ستكون مساهمة الرفيق عزيز محمد في تحقيق طموحات الشعب العراقي وتضحيات الشيوعيين العراقيين التي لا تحصى راسخة في الذاكرة.
مع أحر تعازينا وتقديرنا الرفاعي

اللجنة المركزية لحزب "أكيل"
نيقوسيا، 6 حزيران 2017

تعزية الحزب الشيوعي الاسرائيلي

نتقدم اليكم بأحر التعازي القلبية والمواساة الصادقة لرحيل الرفيق القائد الشيوعي والمناضل الكبير طيب الذكر عزيز محمد السكرتير الاسبق لحزبكم الشيوعي والشخصية السياسية البارزة.

برحيل الرفيق عزيز محمد فقدت الحركة الشيوعية العراقية والحركة الشيوعية العالمية والساحة السياسية في الشرق الاوسط انسانا شيوعيا مثابرا صلبا امميا خالصا وعلما من اعلامها، خبرته ساحات النضال والسجون والملاحقة. ترك بصمات لن يمحوها التاريخ وستبقى نبراسا يحتذى لأجيال الشيوعيين والتقدميين كمطاء جليل على مدى عقود.
عهدناه تواقا لإعلاء شأن التآخي والعلاقة الاممية بين الشعوب ومن أجل العدالة الاجتماعية.
كما ونتقدم بتعازينا الى عائلته الكريمة وذويه لهذا الفقد الجلل.
مع خالص تحياتنا الرفاقية.

حيثا

عادل عامر

الامين العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي

تعاز من الحزب الشيوعي البرتغالي برحيل الرفيق عزيز محمد

الى المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي
الرفاق الاعزاء

يبعث الحزب الشيوعي البرتغالي بتعازيه القلبية الى الحزب الشيوعي العراقي برحيل الرفيق عزيز محمد، القائد الشيوعي المخضرم، وسكرتير حزبكم في الفترة من 1964 الى 1993، والشخصية الوطنية العراقية البارزة، الذي كرس كل حياته للنضال من اجل حقوق الشغيلة والشعب العراقي، وقضية التحرر الاجتماعي والوطني.
مع تحياتنا الرفاقية

القسم الدولي - الحزب الشيوعي البرتغالي

لشبونة، حزيران 2017

رسالة تعزية برحيل الرفيق عزيز محمد من الحركة التقدمية الكويتية

الرفاق في المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي الشقيق
تحية رفاقية

تلقي المكتب السياسي للحركة التقدمية الكويتية ببالح الأسي خبر وفاة الرفيق المناضل الكبير عزيز محمد السكرتير الأول الأسبق للحزب الشيوعي العراقي الشقيق، الذي نعلم جيداً تاريخه النضالي منذ شبابه والسنوات الطويلة التي قضاها في السجن خلال العهد الملكي، ودوره المشهود في إطار عملية إعادة بناء الحزب الشيوعي العراقي بعد الثورة المضادة في العام 1963، وتوليته المسؤولية القيادية للحزب الشقيق في الظروف التاريخية التي شهدتها العراق في الثلث الأخير من القرن العشرين واتسمت بالصعوبة والتناقض والتعقيد، إلى أن ترك الرفيق الراحل مواقع المسؤولية القيادية مع استمراره في النضال ضمن صفوف الحزب الشيوعي العراقي الشقيق.

ونحن نستذكر بتقدير المواقف التاريخية المعروفة للرفيق الراحل عزيز محمد في رفضه المبدئي لغزو النظام البائد واحتلاله لوطننا الكويت.

وختاماً، نتقدم لكم ولعائلة الفقيد ورفاقه بخالص تعازينا، وننتهز فرصة توجيهنا رسالة التعزية هذه لنعبر لكم عن تضامننا الرفاعي مع حزبكم ومع الشعب العراقي في مواجهة الإرهاب وفي التصدي لنظام المحاصصة الطائفية والفساد.

وتقبلوا تحيات رفاقكم في

المكتب السياسي للحركة التقدمية الكويتية

الكويت في الأول من يونيو/ حزيران 2017

تعزية من المنبر التقدمي في البحرين برحيل القائد الشيوعي والوطني المناضل عزيز محمد

الرفيق العزيز رائد فهمي المحترم
سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي،
ببالغ الأسي والحزن تلقينا خبر وفاة القائد الشيوعي الكبير والشخصية الوطنية العراقية
والكردية الكبيرة، المناضل الرفيق عزيز محمد (ابو سعود).. وبهذا المصاب الجلل نتقدم
إليكم، وعبركم، إلى جميع أعضاء اللجنة المركزية والحزب الشيوعي العراقي الشقيق
وذوي الفقيد الغالي بخالص التعازي القلبية.

إننا نشارككم الشعور العميق بفقد هذا المناضل الجسور والذي يعتبر مثلاً يحتذى

للشخصية الوطنية والشيوعية نظرا لما عرف عنه من الثبات والعزيمة والجلد والوفاء لمبادئه وقيمه النضالية والوطنية والأممية، والالتزام الشديد بقضايا الشعب العراقي العظيم، بجميع قومياته وشرائحه ولطبقتة العاملة والشعب الكادح. ان رحيل القائد الشجاع الرفيق ابو سعود، يمثل خسارة فادحة للحركة الشيوعية والعمالية العربية والعالمية، والتي اضطلع فيها بدور بارز، بمثل ما كان له من دور بارز ومؤثر في قيادة الحزب الشيوعي العراقي في النضال ضد الدكتاتورية والإمبريالية والرجعية والصهيونية.

وبالنسبة لمناضلينا في جبهة التحرير الوطني البحرانية، فقد عرفه رفاقنا جيدا في فترة السبعينيات من القرن الماضي، حيث توطدت العلاقات بين تنظيمينا اثناء قيادته للحزب الشيوعي العراقي في تلك الفترة، والتي لم يبخل فيها الحزب الشيوعي العراقي بتقديم كافة أشكال الدعم والمساندة. وكان خير معين لنضالنا وبشكل خاص لرفاقنا الذين عاشوا ظروف النفي في الخارج.

مرة أخرى، تقبلوا خالص تعازينا، معربين عن تضامننا الكفاحي معكم، راجين للعلاقات الرفاقية الحميمة التي ساهم الراحل العزيز في نسجها وتدعيمها ان تزداد قوة ومناة.

خليل يوسف رضي

الامين العام

المنبر التقدمي

الحزب الشيوعي السوري الموحد يعزي برحيل القائد الشيوعي عزيز محمد

الرفيق العزيز الامين العام للحزب الشيوعي العراقي علمنا ببالغ الاسف والحزن نبأ وفاة الرفيق عزيز محمد السكرتير الاول الاسبق لحزبكم المجيد.

اننا نتذكر بافتخار تلك العلاقات التي جمعتنا مع حزبكم خاصة في المرحلة التي كان الرفيق عزيز محمد امينا اولاً للحزب وروح التعاون التي كانت تطبع هذه العلاقات بطابعها . نرجو ان تبلغوا عائلة الرفيق الراحل اصدق تعازينا ومحبتنا وكذلك التعازي الحارة لكم ولكافة اعضاء واصدقاء حزبكم .

المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري الموحد

الامين العام حنين نمر

2017/ 6/ 11

الشيوعيون السوريون في الخارج يعزّون برحيل الرفيق القائد الشيوعي عزيز محمد

بالمزيد من الحزن والاسى تلقينا خبر وفاة الرفيق عزيز محمد الأمين العام للحزب الشيوعي العراقي سابقا. وقائد ورمز من رموز المسيرة النضالية الطويلة والشاقة للحزب الشيوعي العراقي والحركة الشيوعية العالمية . ومن رواد انصار السلام ودعاة الديمقراطية والحرية والاشتراكية.

لقد عرفناه خلال هذه المسيرة التي قاد فيها حزبكم العظيم الى بر الأمان وفي الظروف الصعبة التي مرت على الحزب في تلك الفترة من اعتقالات وملاحقات للعديد من رفاقكم ومناضليكم. وكان رمز الوحدة الوطنية بين كل مكونات الشعب العراقي بقوميته من عرب واكراد وبقية القوميات. . كذلك الأحزاب والتنظيمات السياسية على الساحة العراقية . ولذلك اسمحوا لنا من خلالكم تقديم اجر التعازي القلبية لحزبكم ولعائلة الفقيد . ونعدك أيها الرفيق أبو السعود اننا على العهد باقون، وسنتابع المسيرة النضالية التي قدمت حياتك ورفاقك في الحزب الشيوعي العراقي من اجلها .

الشيوعيون السوريون في الخارج

التشيك - براغ

نزار طرابلسي

تعاز من منظمات الحزب ومنظمات المجتمع المدني خارج الوطن

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في النمسا تنعى الرفيق أبو سعود

بمزيد من الحزن والأسى تنعى منظمة الحزب الشيوعي العراقي في النمسا المناضل والقائد الكبير الرفيق عزيز محمد الذي وافته المنية بعد ظهر يوم الأربعاء 5/31 في مدينة اربيل عن عمر ناهز 93 عاماً .

ولد الفقيه في عام 1924 في مدينة اربيل وانصب اهتمامه على النضال والسياسة منذ الصغر ، انضم الى منظمة هيووا وهو في الـ 16 من عمره ثم تأثر بسياسة الحزب الشيوعي العراقي وانضم إليه وهو في الـ 21 من عمره وقضى ثمانية عقود من حياته في النضال من اجل قضايا الشعب والوطن. وبهذه المناسبة الاليمة تتقدم منظماتنا بأحر التعازي والمواساة لعائلة الفقيه وذويه وجميع رفاقه وأصدقائه. داعين لهم الصبر والسلوان ولفقيدنا الغالي الكبير الذكر الطيب.

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في النمسا

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في النرويج تعزي برحيل الرفيق عزيز

محمد

بحزن واسى تلقينا نبأ رحيل الرفيق عزيز محمد القائد الشيوعي الاممي والشخصية الوطنية العراقية والكوردستانية البارزة والسكرتير السابق للحزب الشيوعي العراقي. ترك الرفيق برحيله رصيذا نضاليا كبيرا مفعما بالعطاء والتضحيات ونكران الذات، وتعرض خلال نضاله الطويل لظروف العمل السري والملاحقة والاعتقال والسجن. وقاد الحزب في مراحل صعبة وفي ظل قيادته خاض الحزب الكفاح المسلح وهي تجربة نضالية فريدة في منطقة الشرق الأوسط، نقدم تعازينا الحارة ومواساتنا الصادقة لكل رقيقات ورفاق الحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي الكوردستاني والى عائلة الرفيق أبو سعود في اربيل وكل أصدقائه ومحبيه. ستبقى ذكرى الرفيق أبو سعود خالدة في ذاكرة وقلوب الشيوعيين العراقيين.

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في النرويج

2017 - 5 - 31

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في الدانمارك تعزي برحيل الرفيق عزيز محمد

ببالغ الحزن والألم تلقينا نبأ رحيل الرفيق عزيز محمد السكرتير الاسبق للجنة المركزية لحزبنا الشيوعي العراقي، الذي توقف قلبه عن الخفقان يوم الاربعاء الموافق 2017/ 05/ 31 في مدينة اربيل .
كان الرفيق الفقيه ابو سعود احد أهم الرموز اليسارية والوطنية في تاريخ العراق المعاصر، مناضلاً باسلاً ومثابراً من أجل حرية الوطن وسعادة الشعب .
بهذا الفقد والمصاب الجلل نتقدم بأحر التعازي لعائلته ولجميع الرفاق والاصدقاء، متمنين للجميع الصبر الجميل .
دوام الذكر الطيب لرفيقنا عزيز محمد

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في الدانمارك
2017/ 6/ 1

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في المجر تنعى الرفيق عزيز محمد

ببالغ الأسى والحزن تلقى رفاق منظمنا في المجر نبأ رحيل القائد الشيوعي الكبير الرفيق عزيز محمد الذي وافته المنية في أربيل يوم الاربعاء الماضي ..
وبلا شك فان رحيل المناضل الكبير عزيز محمد سيترك فراغاً كبيراً في قلوب مناضلي الحركة الشيوعية والحركة الوطنية والحركة الكردية على حد سواء لما سجله من مآثر ومواقف منذ أواسط أربعينات القرن الماضي وحتى تنحيه عن قيادة الحزب في المؤتمر الخامس للحزب في عام 1993 ..
إن الدور الكبير الذي قام به الرفيق عزيز محمد في إعادة تنظيمات الحزب بعدما تعرضت أغلب كوادر هذه التنظيمات الى التصفيات الجسدية والاعتقالات والاختفاء والملاحقة من قبل قادة انقلاب شباط الأسود في عام 1963 كان قد أعاد الدماء في عروق الحزب ..
وبهذه المناسبة الفاجعة يتقدم رفاق منظمنا بأحر وأصدق التعازي والمواساة لرفيقات ورفاق حزبنا الشيوعي العراقي، حيث ستبقى ذكرى الرفيق الراحل عالقة في أذهاننا نستلهم منها العبر الكبيرة التي تركها لنا ..
وداعاً أيها القائد أبو سعود

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في هنغاريا
2017/ 6/ 1

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في روسيا الاتحادية تنعي رحيل الشخصية الشيوعية والوطنية الرفيق عزيز محمد

تلقينا بحزن وأسى عميقين نبأ رحيل الرفيق عزيز محمد السكرتير السابق لحزبنا الشيوعي العراقي الذي وافاه الأجل يوم 31 ايار 2017 في اربيل. ان مسيرة القائد الشيوعي عزيز محمد غنية بالتجارب والعبر والمعاني. فقد واكب مسيرة الحزب منذ مطلع شبابه وانغمس في النضال الوطني والحزبي ودفع ثمن ذلك الكثير.

ان الفترة التي قاد فيها الراحل الحزب اتسمت بتعقيدات كبيرة منذ فقدان الحزب لخيرة قادته وكوادره الحزبية في عام 1963 إبان انقلاب شباط الأسود واستيلاء البعث على السلطة مروراً بالجبهة الوطنية الى اعتماد الحزب الكفاح المسلح وسيلة لإسقاط النظام الديكتاتوري .

ان هذه المسيرة المحفوفة بالمخاطر بينت وبلا شك ان الرفيق كان مهموما ببلده العراق وبقضايا شعبه العربي والكردي وجميع اقلياته وطوائفه، فكان واسع الصدر، متواضعا، مسامحا، متفائلا، حافظ على وحدة الحزب رغم الظروف الصعبة التي مر بها الحزب. اخيرا توج موقفه في المؤتمر الخامس للحزب بعدم ترشيح نفسه لقيادة الحزب. وبقي امينا لفكره وحزبه حتى رحيله .

ستبقى ذكراك حية في قلوب الشيوعيين . التعازي الحارة لعائلة الفقيد ورفاقه واصدقائه.

نم فرير العين ايها الرفيق الباسل فراية النضال بأيادي امينة ماضية لتحقيق شعار حزبنا العنيد وطن حر وشعب سعيد.

منظمة الحزب الشيوعي العراقي في روسيا الاتحادية

2017/ 6/ 2

تعزية من منظمة الحزب الشيوعي العراقي في فنلندا برحيل القائد الشيوعي عزيز محمد

الرفيق عزيز محمد .. على دربك سائرون !

إن غيب الموت عنا، القامة الشيوعية ، العراقية والكردية ، المناضل المخضرم ، الرفيق عزيز محمد (1924 - 2017)، والذي تولى سكرتارية حزبنا الشيوعي العراقي في فترات عصيبة من تاريخ العراق والمنطقة (1964 - 1993) ، فان مسيرته الوطنية والاممية الحافلة بالتجارب والدروس ستبقى حية في نفوسنا ورفاق حزبه ، وعموم قوى اليسار والديمقراطية.

لم يتوان ابو سعود يوما عن التعبير بصراحة صادقة عن مسؤوليته كقائد، عن كل ما فعلته قيادة الحزب في عهده، ومسؤوليته عن الاسباهات والمبادرات التي قام بها شخصيا لتطبيق سياسة الحزب وما رافقها من تقصيرات خلال التطبيق. وسواء اتفقت او اختلفت معه، فهو يظل الشيوعي المتواضع، الذي لم يحاول ان يضع فوارق بينه ورفاقه، فهكذا عرفناه، في مدن العراق، في سنوات الجبل وفي محطات المناقي، واحدا منا، وقائدا عميق الرؤيا، بحضور فاعل وقدرة على المحاججة والاستماع للمقابل دون محاولة الغاء ومصادرة رأيه.

لم يكن تواضعه كمناضل وانسان مفتعلا، بل شيئا نابعا من ايمانه بانتمائه للناس وللحزب الذي لم يبخل عليه يوما بجهوده، والذي لأجله، ومنذ سنوات شبابه الاولى تحمل الملاحقات البوليسية والسجن والمناقي.

يوما قال فقيدنا العزيز: "متى ينتهي طموح المرء حتى ينتهي لأن يكون ثوريا ... وعلى دربك، مترعين بالطموح، بالامل وبروح العمل المثابر، لاجل الوطن الحر والشعب السعيد، نعاهدك باننا ماضون قدما !

الغالي أبو سعود .. ان كلمات العزاء بمناسبة رحيلك تتراجع مع استمرار حضورك في ذاكرة رفاقك ومحبيك .. انك بيننا علما شامخا ورمزا حيا، ونحن على دربك سائرون .

هلسنكي 2 حزيران 2017

تأبين من هيئة متابعة تنسيقيات قوى التيار الديمقراطي العراقي في الخارج . . وداعا عزيز محمد

بأسف بالغ تلقى زميلات وزملاء تنسيقيات ومنظمات قوى التيار الديمقراطي العراقي في الخارج نبأ وفاة القائد الشيوعي والوطني المناضل عزيز محمد عن عمر تجاوز التسعين عاما في مدينة اربيل عاصمة إقليم كردستان يوم 31 ايار 2017.

ولد عزيز محمد في عام 1924، في قرية بيركوت على الحدود العراقية التركية، وانتمى الى الحزب الشيوعي عام 1945 بعد انعقاد المؤتمر الاول للحزب والذي كان من قراراته التأكيد على حقوق الشعب العراقي بالحرية والاخاء والمساواة وضمن حقوق جميع الفئات في المجتمع العراقي.

ألقي القبض عليه في عام 1948 مع اعضاء اللجنة المركزية، وأطلق سراحه في عام 1958. تم انتخابه في عام 1964 باجتماع اللجنة المركزية سكرتيرا للحزب الشيوعي، وتكرر انتخابه كسكرتير للحزب الشيوعي في مؤتمرات الحزب الشيوعي (الثاني سنة 1970، والثالث سنة 1976، والرابع سنة 1985). وتنحى عن منصبه في مؤتمر الحزب الشيوعي الخامس عام 1993.

نال عزيز محمد العديد من الميداليات والأوسمة كشخصية شيوعية هامة لها تأثيرها في دول العالم، وقلده رئيس اقليم كردستان، مسعود البارزاني في عام 2015 وسام "البارزاني الخالد".

ونعاه رئيس الجمهورية فؤاد معصوم قائلاً: "لقد كان الراحل مشاركا حيا في صناعة جوانب

من التاريخ الوطني المعاصر، وكانت مواقفه كمناضل وطني غير متعصب تقدم مثلاً لكل من أحبوه واقتدوا بسيرته وبنضاله، فكان واحداً من أبرز رموز اليسار والوطنية العراقية".
لقد كانت مسيرة الرفيق الراحل عزيز محمد وعطاؤه للوطن والشعب مفخرة يعتز بها كل الوطنيين والتقدميين العراقيين.
الذكر الطيب الدائم للفقيد عزيز محمد والصبر والسلوان لأهله ومحبيه ورفاقه.

هيئة تنسيقيات قوى التيار الديمقراطي العراقي في الخارج

31 أيار 2017

تعارف من منظمات وأحزاب وشخصيات صديقة

الأخوة الأعزاء في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكردستاني - العراق
الأخوة الأعزاء في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي
بمزيد من الحزن والأسى تلقينا نبأ رحيل السكرتير الأسبق لحزبكم الشقيق والشخصية السياسية البارزة في تاريخ حركة التحرر الكردستانية والعراقية المناضل "عزيز محمد"
لقد كان الراحل، ومن خلال علاقاتنا به خلال تشكيل الجبهة الكردستانية وفي فترات نضاله في سوريا، مثلاً للسياسي الهادي، والوطني المناضل، والمفكر الأممي المثالي.
بهذه المناسبة الأليمة لا يسعنا إلا أن نتقدم إليكم وإلى كافة رفاقكم وذوي الفقيد باسمنا واسم كافة رفاق حزبنا الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا (البارتي)، قيادة وقواعد، بأحر التعازي القلبية، راجين من المولى القدير أن يسكنه فسيح جناته، ويلهمكم الصبر والسلوان.
"إننا لله وإنا إليه راجعون"

القامشلي في 31 أيار / 2017م

أخوكم نصرالدين إبراهيم

سكرتير الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا (البارتي)

الى / الحزب الشيوعي العراقي

ببالغ الحزن والأسى تلقينا خبر وفاة فقيدكم السيد (عزيز محمد) سكرتير الحزب الشيوعي العراقي السابق (1964 - 1993) الشخصية البارزة في الشرق الأوسط وفي العمل السياسي العراقي. وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم اتحاد بيت نهرين الوطني بمكتبه السياسي والتنفيذي وجماهيره لحزبكم الموقر بخالص آيات التعزية والمواساة لهذا الفقد الجلل.
رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

مع التقدير

المكتب السياسي اتحاد بيت نهرين الوطني

1 حزيران 2017

برقية تعزية من حزب بيت نهرين الديمقراطي

ببالغ الحزن تلقينا نبأ وفاة المناضل و الشخصية المعروفة عزيز محمد السكرتير السابق للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. وبهذه المناسبة الأليمة نتقدم اليكم والى ذوي المرحوم بالتعازي الحارة، مبتهلين الى الرب أن يتغمده برحمته الواسعة ويلهم ذويهم ورفاقه و أصدقاءه الصبر والسلوان. لا شك أن رحيل المناضل الكبير عزيز محمد إنما هي خسارة جسيمة للحركة اليسارية في العراق و الإقليم لما كان له من دور بارز في الحركة الوطنية العراقية ومقارعة النظام البائد بغية احلال الديمقراطية وبناء مجتمع تسوده الحرية والعدالة الاجتماعية.

حزب بيت نهرين الديمقراطي
المكتب السياسي

الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني

ببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ وفاة الشخصية السياسية العراقية الرفيق المناضل عزيز محمد السكرتير السابق للحزب الشيوعي العراقي، الذي عرفناه اخا وصديقا عزيزا على قلوبنا، والذي ناضل ضد الحكومات الدكتاتورية. برحيله يفقد العراق شخصية وطنية فذة ذا تاريخ حافل بالنضال والتضحية.

نحن في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني في الوقت الذي نعزي انفسنا برحيل هذه الشخصية المناضلة، نعزي عموم الشعب العراقي ورفاقه في الحزب الشيوعي العراقي بهذا المصاب الجلل.

انا لله وانا اليه راجعون.

الشيخ هبوا صابر كاكو
مسؤول مكتب علاقات بغداد
الحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني

تلقيت ببالح الأسى والحزن رحيل المناضل الكبير الأستاذ عزيز محمد السكرتير العام السابق للحزب الشيوعي العراقي، وبهذه المناسبة الأليمة أتقدم بوافر التعازي الى ذوي المرحوم والى الرفاق في الحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي الكردستاني بهذا المصاب الجلل. تغمد الله بوافر رحمته واسكنه فسيح جناته.

انا لله وانا اليه راجعون

سامي الفيلي
رئيس جمعية الكورد الفيبيين
أربيل في 31/5/2017

تعزية البرلمان الكردي الفيلي العراقي

الحزب الشيوعي العراقي المناضل

وداعا عزيز محمد

بعد عمر مديد قضاه بالنضال والكفاح في قيادة الحزب الشيوعي العراقي رحل المناضل الكبير عزيز محمد بعد ان قدم مثالا للمناضل الدؤوب الذي يضع مصلحة شعبه ووطنه امام ناظره في اخرج المواقف .

كان حضوره المتميز في الساحة العراقية اثناء مفاوضات الجبهة الوطنية يسبب احراجا لحزب السلطة لان هيئته وكاريزمته وابتسامته الهادئة غطت على الحكام الذين كانوا لا يطالون قامته وبراعته في الحديث والنقاش والتفاوض.

ورغم فشل التحالف مع السلطة الا انه ظل مؤمنا بالنضال السلمي من اجل حرية وخلص شعبه من نير الدكتاتورية واستمر مدافعا بجداره عن مبادئه وقرن نضاله بالعمل والكفاح المثابر حتى بعد تجاوزه سن الثمانين من العمر.

تعازينا لرفاق الفقيد في الحزب الشيوعي العراقي ومواساتنا لاهله وذويه وزملائه. ستبقى سيرة المناضل الكبير عزيز محمد ابو سعود منارا يهتدي به العراق من كردستانه الى اهواره ومن جباله الى سهوله.

المجد للفقيد الراحل والخلود له ولأمثاله من المناضلين الابرار

مؤيد عبد الستار

البرلمان الكردي الفيلي العراقي

مجلس الجالية الايزيدية في فيينا... وداعا الأب عزيز محمد

ببالغ الاسى والحزن تلقينا نبأ رحيل الشيوعي المخضرم والشخصية الوطنية العراقية والكردستانية السيد عزيز محمد الذي توقف نبض قلبه الكبير بعد ظهر يوم الاربعاء 31 ايار في منزله في مدينة اربيل، ونحن في مجلس الجالية الايزيدية في فيينا وبهذه المناسبة الاليمة نعزي انفسنا اولا ونعزي الشعب العراقي والكردستاني عامة ونقدم تعازينا الحارة الى كافة اعضاء واصدقاء الحزبين الشيوعيين العراقي والكردستاني في النمسا والعراق وكردستان واينما وجدوا ونتمنى لهم الصبر والسلوان وللفقيد الغالي الذكر الطيب.

مجلس الجالية الايزيدية في فيينا

حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا (يكي تي) يعزي

السادة أعضاء وأصدقاء الحزب الشيوعي العراقي

الحزب الشيوعي الكردستاني

نحيكم جميعاً، أمّلين قبول تعازينا الحارة برحيل القامة العراقية الكردستانية المرموقة الصديق عزيز محمد الذي أمضى عمره على مر العقود دفاعاً عن قضايا السلم والحرية، مكافحاً بلا هوادة من أجل غد أفضل للعراق بكرده وعربه وجميع مكوناته الدينية والقومية دون تمييز، تواقاً إلى إرساء العدالة الاجتماعية وإعلاء شأن التآخي والصدقة بين الشعوب.

مرة أخرى نعزيكم، ومن خلالكم ننقل تعازي قيادة وقواعد حزبنا إلى ذوي وأقرباء الفقيد وجميع محبي وأصدقاء الراحل الكبير عزيز محمد.

مع وافر الإحترام ودمتم سالمين

المخلص

محي الدين شيخ آلي

سكرتير حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا (يكي تي)

تعزية المجلس السياسي للعمل العراقي

الاستاذ رائد فهمي سكرتير الحزب الشيوعي العراقي

السادة اعضاء اللجنة المركزية للحزب

م / تعزية

تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة سكرتير الحزب الشيوعي العراقي الاسبغ عزيز محمد في منزله بأربيل، فالرحمة للفقيد الذي قضى اكثر من سبعين عاما من حياته في النضال من اجل الحرية والتعددية.

وإذ نستذكر بهذا المصاب الاليم ايام النضال المشترك مع الفقيد في سوريا وجبال كردستان ومعاني التضحية في مقارعة الظلم والديكتاتورية، فإننا نعزي سكرتير الحزب الشيوعي وقياداته واعضائه بفقدان سكرتيرتهم الاسبغ، سائلين المولى عز وجل ان يتغمده بالرحمة وان يلهم اهله وذويه الصبر والسلوان.

جواد العطار

ع / المجلس السياسي للعمل العراقي

2017/ 6/ 3

شهادات وكتابات

رحيل رمز الثبات والتواصل والتجرد والتواضع والشفافية .. الخلود للرفيق عزيز محمد

عادل حبه

لها هذه المنظمة. ثم ما لبث أن التحق بصوف حزب شورش (الثورة) التي كانت تبشر بالمفاهيم الماركسية كرد فعل على تردي الأوضاع في البلاد. ولعبت هذه المنظمة دوراً في إلهاب حماس الآلاف من الشباب اليافع ونشر أفكار التحرر السياسي والعدالة الاجتماعية، خاصة في ظل التحولات العاصفة التي طرأت على العالم بالارتباط مع شروع لهيب الحرب العالمية الثانية. وفي عام 1942، أصبح عضواً في منظمة الشعب التي كانت تصدر جريدة سرية باسم بليسه (الشرارة). وبعد توسع نشاط الحزب الشيوعي العراقي، وعقد أول مؤتمر له في أوائل عام 1945، تعرف الفقيه على أهداف الحزب وبرنامجه الذي أكد على حق الشعب العراقي بالتمتع بالحرية والإخاء والمساواة، ووجد الفقيه طريق الصلة بالحزب إلى أن انخرط في صفوفه في شتاء عام 1945 - 1946، من خلال التعرف على نضال الحزب الشيوعي

في ظهيرة يوم الأربعاء المصادف الحادي والثلاثين من أيار عام 2017، رحل الفقيه الرفيق عزيز محمد السكرتير السابق للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي عن عمر ناهز الثالثة والتسعين. ولد الفقيه في قرية بيركوت في إحدى ضواحي مدينة أربيل في تموز عام 1924 من عائلة فلاحية فقيرة. ونظراً للوضع المادي للعائلة، لم تتسن الفرصة للفقيه بأكمل دراسته في تلك الأوضاع الصعبة التي عاشها العراقيون. وما أن شب الفتى عزيز محمد حتى وجد نفسه في خضم الموجة السياسية الهادفة إلى انقاذ أبناء جلدته من القومية الكردية من الظلم والتمييز القومي، إلى جانب تحرير الشعب العراقي من التبعية والاقطاع والظروف المعيشية التعيسة. وكانت أعوام 1941-1949 بواكير انغماره في النشاط السياسي. فانتمى إلى صفوف منظمة "هيو" (الأمل) وذلك في أيار عام 1941 وأصبح عضواً فيها. وأثناء نشاطه في هذه المنظمة تعرف على الأفكار التقدمية التي كانت تروج

بغداد المركزي إلى سجن نقرة السلطان الشهير في الصحراء الجنوبية، إلى أن تم نقله إلى سجن الكوت بعد الضغط الذي مارسه العوائل بسبب بعد ذلك السجن الصحراوي. وما أن انتقل الفقيه إلى سجن الكوت في عام 1953، حتى تفجرت المواجهات بين السجناء وبين إدارة السجن في بغداد مما أدى إلى سقوط عدد من السجناء بين شهيد وجريح. وانتقلت هذه المواجهات إلى سجن الكوت أيضاً بعد أن قدم السجناء عريضة تطالب بتحسين ظروفهم المعيشية. ولم تسبب السلطات إلى مطالب السجناء وقامت بقطع المياه والطعام حتى الثاني من أيلول عام 1953. وبأدركت السلطات إلى استدعاء بعض السجناء، ومنهم الفقيه، لنقلهم إلى سجون أخرى. إلا أن السجناء امتنعوا عن تنفيذ طلب السلطات هذا مما أدى إلى هجوم الشرطة على السجناء وراح ضحية هذه المواجهة عدد من الشيوعيين بين قتل وجريح.

وبعد انتصار ثورة تموز عام 1958، بادر قادة الثورة إلى إطلاق سراح جميع السجناء الشيوعيين السياسيين، وكان الفقيه عزيز محمد من بين من أطلق سراحهم. عندها بدأت مرحلة جديد من نشاطه السياسي. ففي الاجتماع الموسع للجنة المركزية والكادر الحزبي في أيلول عام 1958، تم توسيع اللجنة المركزية ورفدها بأعضاء جدد من الكوادر القيادية التي تم إطلاق سراحها. وأختير الفقيه عضواً في اللجنة المركزية، إضافة إلى عضويته في لجنة فرع كردستان. وأصبح في عام 1960 مسؤولاً عن فرع الحزب

العراقي الوطني والاجتماعي، ودفاعه عن الاستقلال والسيادة الوطنية ومطالبته بالحريات الديمقراطية للشعب ولضمان مصالح العمال والفلاحين وكل شغيلة اليد والفكر.

وأحدثت وثبة كانون الثاني المجيدة في عام 1948 نقلة نوعية في حياة الفقيه السياسية سواء على نطاق نشاطه السياسي أو على وعيه الفكري والسياسي، وهذا ما دفعه إلى احتراف العمل الحزبي، حيث أصبح مسؤولاً لمنظمة الحزب في أربيل. ولكن بعد الحملة التي شنّها النظام الملكي ضد الحزب واعتقال قادته، استدعته قيادة الحزب إلى بغداد. ومع توالي حملة الاعتقالات والمداهمات ضد الأوكار والبيوت الحزبية السرية، كلفه الحزب باستدعاء والدته للسكن في أحد البيوت الواقعة في محلة القاطرخانه في جانب الرصافة حيث نصبت فيها مطبعة الحزب. ولكن ما لبث أن تم كشف البيت من قبل الشرطة العراقية وتم اعتقاله مع والدته، وتم الحكم على الفقيه بالاشغال الشاقة لمدة 15 عاماً من قبل محكمة النعساني السيئة الصيت في 12 / 2 / 1949.

وبدأت مرحلة جديدة مهمة من حياة الفقيه في السجن تميزت بالقسوة والحرمان من ناحية، ومن ناحية أخرى بزيادة الوعي والخبرة والثقافة عندما حوّل الشيوعيون السجن إلى حلقات للدراسة الثقافية والسياسية. وتعلم الفقيه اللغة العربية وأجادها. كما توفرت للفقيه الفرصة للإطلاع على كنوز المعرفة والأدب العربي والأجنبي. وانتقل الفقيه من سجن

الشيوعي العراقي في كردستان. في أثناء توليه لمنصبه الجديد، اندلعت الاضطرابات في مدينة كركوك. وقد اتهمت ظلماً منظمة الحزب الشيوعي والحزب الشيوعي بهذه الانتهاكات. ويروي الفقيه وهو الذي شهد المواجهات الدموية وكان حاضراً آنذاك بقوله: "لقد أجرينا اتصالات مع القوى الأخرى من أجل توحيد المظاهرات والخروج بشعارات موحدة في الذكرى الأولى لثورة تموز. ولكن رفض المقترح من قبل الكرد والتركمان. فخرجت مظاهرات صبيحة 14 تموز عام 1959، وشاركت فيها القوى الثلاث؛ أي الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الكردستاني والتركمان. ثم سادت حالة من الفوضى بعد اطلاق عيارات نارية، ولم نستطع السيطرة على الموقف، وهذا ما أدى إلى موجة هستيرية من العداء بين القوى المتناحرة، خاصة بين الكرد والتركمان، مم أدى إلى وقوع ضحايا، وخاصة في صفوف التركمان، علماً أنه سقط عدد من الشيوعيين ومن بينهم رئيس البلدية وأخوه حسين البرزنجي وكنا بعبيدين عن ميدان المواجهة". وبعد انقلاب 8 شباط عام 1963، واثراً المجازر التي تعرض لها الشيوعيون والديمقراطيون والوطنيون العراقيون، توجه الفقيه وعدد غير قليل ممن نجا من طاحونة الإرهاب إلى جبال كردستان وشرعوا بتنظيم قواهم لمواجهة التهديد الخطير الذي تعرضت له البلاد. ولعب الفقيه دوراً بارزاً في تأمين متطلبات هذا النهج الجديد الحزب. وبعد الخسائر الفادحة التي تحملها الحزب في انقلاب

شباط، شرع ما تبقى من قيادة الحزب بلملمة الجراح وإعادة بناء الحزب من جديد. وهكذا عقد اجتماع في الخارج لمن تبقى من القيادة والكادر الحزبي ومن ضمنهم الفقيه عزيز محمد في عام 1964 لانتخاب قيادة جديدة. وتم انتخاب الرفيق عزيز محمد سكرتيراً جديداً للجنة المركزية بجميع آراء المشاركين باستثناء رأي الرفيق عزيز محمد، واستمر الرفيق في موقعه حتى عام 1993 حين قدم طلباً بإعفائه من هذه المهمة.

لقد قاد الفقيه الحزب في ظروف داخلية بالغة التعقيد، إضافة إلى الظروف والضغوط الخارجية. واستطاع الحزب خلال فترة قصيرة من استعادة عافيته وبرز من جديد كقوة سياسية في الميدان رغم الخلافات الداخلية التي كانت تهب صفوفه بين حين وآخر بعد أن ذاق الشيوعيون العراقيون مرارة العسف والاضطهاد والسجون والتصفيات الجسدية طوال مسيرتهم المجيدة. وسعى الرفيق عزيز محمد على الدوام وضع وحدة الحزب وسلامته وسلامة كوادره وأعضائه في مقدمة اهتماماته. وعلى هذا الطريق تعامل الفقيه مع قضية مهمة وشائكة مثل التحالف مع البعث ضمن هذا الإطار، فالجبهة من وجهة نظره كانت وسيلة لترميم الحزب بعد الضربات المهلكة التي وجهها البعث حتى بعد عودته إلى السلطة في عام 1968. كما أنها تعد وسيلة لتشجيع عناصر عقلانية في حزب البعث ودعمها من أجل سلوك الطريق العقلاني واللاعنف في الترويج لمبادئه، بعيداً عن الاقصاء والبطش.

حزبنا. ولا أنكر دور مصالحهم المتبادلة مع الحكم في العراق والتي لها كان لها تأثير في إيجاد تفاهم مع النظام".
أيها الفقيه العزيز، إننا إذ نودعك، فإننا سنتذكر دائماً حجم تواضعك وصبرك واستعدادك لسماع مختلف الآراء وقدرتك على تقريب وجهات النظر المتباينة، ونزاهتك وميلك لتقديم المساعدة لرفاقك وللآخرين، كما نتذكر ذلك الاحترام الذي يكتنه لك كل من التقى بك من الأحزاب العراقية والأجنبية. فقدناك أيها العزيز ولكن لم نفقد ابتسامتك وتفاؤلك وطيب معشرك. نم قرير العين في مثواك الأخير، وللعزيزة شريكة حياتك أم أوراس وللأحبة فينك وشيرين وأوراس آيات من الصبر والسلوان.

2017/ 5/ 31

كما تمسك الرفيق بقوة بحق الشيوعيين العراقيين وعبر مؤسساتهم المنتخبة اختيار السياسة التي تنسجم مع المصالح الوطنية للعراق. ويشير الفقيه عزيز محمد في إحدى لقاءاته الصحفية إلى ما يلي: "لقد حاول الكثير من الكتاب والمعلقين أن يشير إلى تأثير السوفييت وإملاء رغباتهم علينا. وهو أمر يمكن دحضه في مواقف كثيرة. كنا نقرأ رأي السوفييت ونحلل مواقفهم بقدر ما يتعلق الأمر بسياستنا، ولكننا لم نكن نستلم إيعازاً منهم في تقرير سياستنا. وأود أن أؤكد على أننا لم نتأثر بتلك الإيحاءات، لكوننا نحن من يحدد الموقف في ظل الوضع العام الذي يعيشه حزبنا لا السوفييت. نعم كنا نسترشد بنظرياتهم وطروحاتهم لأنهم أصحاب تجربة طويلة. علماء بأنهم كانوا يؤكدون دوماً على ضرورة التقارب بما يخدم

وفاء لنضال رفیق الدرب الطویل الرفیق عزیز محمد بعد وفاته وفاءً لمنازل كرس حياته للوطن والشعب والحزب والتضامن الأهمي

د. كاظم حبيب

من القوى المستبدة والقوى التي تسببت بكل ذلك. في زيارتين قمت بهما له بأربيل في كانون الثاني/يناير 2017 كان ما يزال حيوي في نقاشه وفي طرح وجهات نظره، رغم بطء حركته. وكان الحزب الشيوعي الكردستاني على وشك أن يعقد مؤتمره السادس. كانت ذاكرته نشطة، تحدث لي عن التقرير والبرنامج والملاحظات التي تكونت لديه والتي سيطرحها على المؤتمرين ورغبته في أن يستعيد الحزب عافيته وجماهيريته، رغم كل الصعوبات المحيطة به وبالحرية الديمقراطية. وكان يخشى أن لا تستقبل ملاحظاته بصدر رحب! كانت ذاكرته نشطة جداً، سواء أكانت لماضي الأيام والسنوات، أم للفترة التي نحن فيها. إذ كان متابعاً للأحداث أولاً بأول، سواء على صعيد كردستان أم العراق، أم المنطقة العربية والشرق الأوسط. وكان الحوار معه ممتعاً وغنياً.

تحدثت له قبل ذاك عن كتاب جديد للمناضل البروفيسور الدكتور محمد محمود من السودان، المقيم قسراً ببريطانيا، والموسوم "نبوة محمد - التاريخ والصناعة - مدخل لقراءة نقدية"، (صادر عن مركز الدراسات النقدية للأديان، لندن، بريطانيا، سنة النشر: ط 2 / 2013، 472 صفحة). شوقته لقراءة الكتاب. جلبته له، قرأه في فترة قصيرة، أعجب به أيما إعجاب بسبب معالجته العلمية والوثائقية لمسألة النبوة

حتى أيامه الأخيرة كان الرفيق عزيز محمد يحمل هم الوطن كله، هم العراق وشعب العراق، هم كردستان وشعب كردستان، هم الإنسان العراقي، هم الحزبين الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي الكردستاني، هم وجود قوى غير إنسانية على رأس السلطة. كانت اللقاءات به كلها ممتعة ونقاشاته رصينة تدور حول همومه العامة وليس الخاصة. كان شديد الحرص على إيصال رأيه ونقده بصراحة ووضوح لمن يعينهم الأمر، رغم رغبته في صياغة ملاحظاته في قالب غير خادش لمستمعيه لإدراكه بحساسية الآخرين في ظل الظروف المعقدة والمتشابكة الجارية بالعراق منذ سنوات. قال لي: إن الرفاق لا يتقبلون ملاحظاتي الصريحة والناقدة بصدر رحب، فمن حرقتي وحرصتي عليهم أواجههم بكل صراحة. ذكرته مرة بأنه قال لي، حين وجهت نقداً شديداً وحماسياً في اجتماع للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في العام 1974 ببغداد بشأن موضوع محدد: يا رفيق أبو سامر كسرت الركيّة (بطيخة حمراء)، وضيعنا الحب واللب". فضحكنا معاً. رغم كل الأوضاع المتدهورة، ورغم الوضع الصحي الصعب، لم يفقد الأمل، ولو للحظة واحدة، بعودة الحياة والحركة للشعب العراقي ولشعب كردستان، ولكنه كان يخشى أن يخسر العراق المزيد من الضحايا في تحرير الأرض وإعادة البناء والخلاص

وأخطأ أخرى، لم يكن وحده في ذلك، بل شاركنا معه في الصواب والخطأ، سواء أكان ذلك في المكتب السياسي أم اللجنة المركزية أم في عموم الحزب.

لقد جاء عزيز محمد من قرية كردستانية صغيرة في شمال كردستان العراق، لم يكمل تعليمه، ولكن بنضاله الشخصي ودأبه على المطالعة والقراءة النقدية أصبح قائداً لحزب شيوعي عراقي، واحداً من أبرز وأكبر الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية والشرق الأوسط في فترة من فترات نضاله المديد. لم يكن، ولم يدع يوماً أنه واحداً من منظري الحركة الشيوعي العالمية، ولكنه كان واحداً من خيرة مناضلي الحركة الشيوعية العالمية، الذي لم يفقد بوصلة النضال الوطني والطبقي ولو للحظة واحدة حتى الرمق الأخير. لقد كان مخلصاً لتراث وتقاليد الحزب الشيوعي العراقي في حبه للطبقة العاملة العراقية والفلاحين والكسبة والحرفيين ولتقنين الثوريين ومن كل القوميات، ولم ينس يوماً أنه قد انحدر من عائلة فقيرة ولكنها كريمة، ومن أمة كردية عزيزة وشعب كردي مناضل، إنه كردي القومية، عراقي الوطنية، وأممي الهوية والمبادئ.

فقدنا عزيز محمد، الرفيق والأخ والصدیق والمناضل، ولكن ترك خلفه تجربة غنية يمكن للحزبين الشيوعي الكردستاني والشيوعي العراقي وللحركة التحررية الكردستاني والحركة الديمقراطية العراقية ان تستفيد منها في نضالها المرير في المرحلة الراهن وفي المستقبل.

ليبقى عزيز محمد ونضاله البطولي شعلة وهاجة، كشعلة بقية شهداء الحزب الشيوعي العراقي والحركة الوطنية والديمقراطية واليسارية العراقية، تنير درب المناضلين من اجل إقامة وطن حر وشعب سعيد.

عموماً. كان عزيز محمد كثيف القراءة، نهم بمعنى الكلمة، ولكنه كان شحيح الكتابة. كنا رفيقين في حزب واحد وعملنا معا ومع بقية الرفاق عشرات السنين، ولكن على امتداد تلك السنوات لم تكن صديقين بالمعنى الصحيح للكلمة، إلا في السنوات العشر الأخيرة تقريباً، حيث واطبت على زيارته كلما زرت كردستان العراق، مرة بمفردتي وأخرى مع زوجتي أم سامر وثالثة مع صديقنا المشترك الحاكم بوتان، فتوطدت علاقتنا الصداقية وتعززت وحاول بعضنا معرفة الآخر بشكل أفضل. وحين كان يأتي إلى برلين لزيارة ابنته العزيزة شيرين، كان لا يفوت فرصة اللقاء والحديث وتبادل الرأي.

آخر زيارة لي له، سواء أكان مع عدد من الأحبة، ومنهم نهاد القاضي، وغالب العاني وعبد الخالق زكنة وفارس نظمي ومحسن شريد ووليد شريف، أم بمفردتي، وقبل مغادرتي أربيل، حين قبلته في جبينه وودعته أدركت، إن حادث الوقوع ليلاً والعملية الجراحية التي أجريت له قد أنهكته تماماً وسرقت منه رحيق الحياة، ولن يعيش طويلاً. أخبرت الرفاق حيدر الشيخ علي وكمال شاكر وهادي محمود، وكذلك رفاق المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراق الذين كانوا حينذاك بأربيل، وكانت آراء من التقى به متفقة مع ما شعرت به وأنا أودعه، وهو يرسل تحياته لأم سامر وبقية الرفاق والأصدقاء. وكان في انتظار ابنتيه فينك وشيرين وزوجته كافية.

لقد مات الرفيق عزيز محمد، ولكنه ترك أثراً غنياً من النضال الوطني والطبقي في صفوف الحركة الوطنية العراقية وحركة التحرر الكردية وفي صفوف وقيادة الحزب الشيوعي العراقي. لقد قاد الحزب الشيوعي العراقي طوال 27 عاماً في أصعب السنوات وأكثرها تعقيداً وحراجة. لقد أصاب مرة

من الرفيق كريم مروة

كريم مروة

من هذا الموقع بقرار جريء منه إفساحاً في المجال للكوادر الجديدة. وأشهد أنني عندما التقيته في العام الماضي في أربيل كان في عز تألقه ووضوح الرؤيا عنده وقراءته النقدية للتجربة قديماً وحديثاً. لكم أيها الرفاق أحر التعازي بهذا القائد الكبير. وأنا شخصياً أعتبر نفسي ممن يتقبلون التعازي برحيله.

2017/ 6/ 5

علمت بألم كبير برحيل القائد الشيوعي الكبير عزيز محمد. غياب هذه الشخصية الشيوعية الفذة خسارة كبيرة لنا جميعاً. فهو منذ أن تولى قيادة الحزب كان يتميز بأفضل ما تميّز به قائد شيوعي في الموقع الذي كان فيه. وأنا شاهد على تلك السمات التي تميّز بها فقيدنا الكبير منذ أن تعرّفت إليه في أواخر ستينات القرن الماضي. ورافقت مسيرته على امتداد هذه العقود من عمره في قيادة الحزب وفي المرحلة التي اختار فيها الخروج

حين ضيّع "الوهم" آخر فرصة لقاء مؤجل مع عزيز محمد

فخري كريم

يردّد أنه مدينٌ الى جذوره الطبقيّة المعدّمة. يظلّ يحمل عبء حمل إنسانيّ ثقيل تكبّدته أمه وهي تكدح لتحسّن تربيته. لا تتردد في القيام بكل عمل شريف مهما كان ثقيلاً ليشبّ هو عن الطوق ويصبح رجلاً قبل أوانه ودون أن يعرف من الطفولة غير تسميتها المجردة، ثم ينغمّر في رحاب جسارة أكبر من سنه، لكنها بمستوى وعيه المبكر الذي اكتسبه من شقاء أمه وبيئتها الفقيرة المعدّمة حيث مظاهر الاستغلال والعسف بكل ما تنطوي عليه من معنًى، وما تثيره من شجن، وما تستثيره من طاقة على الرفض وقُدرة على مواجهة الظلم والعزم على تغييره.

صارعزيزمحمد، ابن أمه، كتلة من التشبث بكل سبيل يشكل أداة تغيير يعيد للناس الذين تربى وسط بيئتهم، حقهم في حياة انسانية يطبعها عدل وإنصاف، لم تتكشف له ابعادها بعد، إذ كانت خليطاً من أفكار وتمنيات تراود كل إنسان يواجه الظلم وهو في قاع المجتمع أو في حواشيه. لكنه سرعان ما إزداد وعياً، وهو يتعرّف على أبعاد أكثر إضاءة من مجرد مظاهر مظالم فردية وتجليات للظلم مبهمة، إذ تبين له وهو يخوض غمار العمل ويتعرّف على جوانب أخرى أكثر شمولاً للظلم الاجتماعي والعسف السياسي، أن تلك المظاهر ليست سوى نتاج لنظام اجتماعي اقتصادي يكرّس، بحكم طابعه الطبقي، كل مظهر للاستغلال والتعسف والتمييز، فيستغرقه

الموت وحده يكشف معنى الوهم، ويطيح بتشبثاتنا الملتاعة بحثاً عن "نبنة" الخلود التي أسقطنا كلكلامش في حبال وجودها و"أوهمنا" بأنه على مقربة من مبتغاه، قبل أن يسقط هو نفسه في جُبّ خيبته فيموت دون أن يتعرف على معنى الحياة التي كان يبحث لها عن خلود عبثي. ومع ذلك ظلّ البشر يدورون مذّك في متاهة كلكلامش، ويتفننون في "تخليق" مشاتل لنبنة الخلود، ولن ينفصّ عنهم وهم فجيعتهم سوى بالموت، بوصفه الحقيقة المطلقة العصيّة على الإنكشاف!..

كنت أنا ضحية هذا الوهم، وأنا أراهن على أن عزيز محمد يمكن أن ينتظر يوماً آخر ربّما أتفرغ للقائه المؤجل: مجرد يوم آخر، لا غير.

لكن عزيز محمد بدّد وهمي ورحل في لحظة لم تكن أحفورات الموت قد بانّت فوق جبينه أو تركت لها أثراً في محيآه، ما يُنبئ باحتمال رحيل مبكر لم يستعد له هو نفسه. وهكذا هو الموت، نسغ الوجود والعدم، خبيثة المطلق وهو يتحدى العقل البشري، ويجول حيثما يشاء وأنا أراهن، وكيفما قرر..!

لم يكذب عزيز محمد على نفسه. كان يعرف ماهو عليه، ويُفصح عن ذلك كلما رأى في الإفصاح ما يشكّل مثلاً أو سياقاً يساعد في مواجهة تعثر أو تأكيد لقيم يريد لها أن تتسيّد في صياغة نموذجٍ لمراودة الحياة وهي تستشرف المستقبل. وقد ظلّ

ثورة 14 تموز عام 1958. كان السجن، دون أن يكون دخوله خياره الشخصي كما هو حال مجايليه ممن قادمهم النضال وتحدياته الى المعتقلات والسجون، مدرسة التعلم والتكوين المعرفي والسياسي. وفيه إنكبّ عزيز على القراءة، وصار أسير الشغف بتعلم العربية وفهم مدلولاتها اللغوية. ولم تقتصر قراءاته على كتب السياسة، بل كانت الرواية والشعر وكتب السيرة تحتل الاولوية في إختياراته، ونهل من كنوزها باللغتين العربية والكردية. وظل حتى لحظاته الاخيرة يتعذر أن يمر اليوم عليه دون أن يكون الكتاب أنيسه، إذ نقل لرفيقه حيدر الذي لازمه دون مفارقة، قبل ساعة من رحيله، أنه كان يتمنى ان يستطيع التحرك لينتقل الى الكرسي ويقرأ!

حال إنعتاقه من السجن بعد ثورة تموز، إنخرط في العمل القيادي الحزبي، وتنقل في المهام والمواقع القيادية، وساهم في إعادة بناء التنظيمات الحزبية التي تعرضت للإقطاع والتصفيات من قبل طغمة البعث وحرسه القومي الإجرامية بعد انقلابه الدموي في 8 شباط 1963. وأنتخب في اجواء احتدام الصراع وغياب الرؤية وتفكك التنظيمات الحزبية سكرتيراً للجنة المركزية للحزب، دون أن يصوت هو لنفسه، مردداً حتى بعد إنتخابه بسنوات وكلما وجد ذلك ضرورياً، أنه لم يكن وليس الأكفأ بين رفاق القيادة. ويعرف من عمل معه في العمل القيادي، أنه كان يعير اهتماماً إستثنائياً للكفاءات في اللجنة المركزية والمكتب السياسي ويصطفيهم الى جانبه في بلورة المواقف والسياسات وادارة العمل القيادي. ولم يكن ليتردّد في أن يكون بين هؤلاء من هم على خلاف

التفكير ويسأل كلاً من هم أقرب اليه، ويقرأ قدر مستطاعه ولم يكن قد تمكن من اجتياز الصفوف الابتدائية، ولم يتردد في البحث عن إجابات من الأكبر سناً حول الأشكالات التي كان يواجهها في فكّ ما يلتبس عليه من أفكار ومفاهيم وتفسيرات تبدو له أحياناً أعقد من الظاهرة نفسها. وإهتدى أخيراً الى فهمه الخاص لكل ما يحيط به وببيئته من أسباب الجور. وببساطة يافع إكتسب أعمق معرفة بمدلولات ما هو فيه، من الحياة نفسها دون حاجة لتعقيدات المفاهيم والتنظير، فاصبح شيوعياً ودخل دروب الشيوعية، وتوحد منذ اللحظات الاولى بلا تحفظ في كيان الحزب. أصبح نزيل بيوناته السرية، في مطبعة الحزب ومحطات بريده وحواضن كوادره القيادية. تعلم فيها الأمانة والإلتزام والولاء المطلق. كانت تلك سمات الشيوعي في تلك المرحلة التاريخية المعمدة بأبلغ التضحيات ونكران الذات، والحبلى بالوعود والآمال والتحديات والمرتجى من قلب الموازين وإعادة خلق القيم وإشاعة مبادئ العدالة الاجتماعية وحرية الضمير والمعتقد ونبذ كل ما يتعارض مع عالم ينفي الاستغلال والجور والتمييز. وكانت تلك مرحلة تسلّل الوعي منها الى كل ميادين المجتمع والحياة السياسية.. الوعي بكل جديد يستنهض قوى التغيير ويكرّس في الضمير العام المبادئ النافية للظلم والاستغلال والعسف.

إنعمر عزيز محمد في النشاط الحزبي منذ لحظة إنتمائه، دون أن يلتفت لشأن غير ما يُمليه عليه التزامه وواجبه الحزبي، لينتهي به المطاف في اواخر أربعينيات القرن الماضي الى السجن الملكي حيث أمضى فيه عقداً، وحررته من أسواره

أو يلحق أمدح الأضرار بوجود الحزب والحفاظ على سلامته، بل وبالمصالح الوطنية العليا، وهو ما يلقي الأضواء على مراحل مختلفة من تصدده العمل القيادي.

لكن عزيز محمد، رغم كل ما يُقال أو يُنسب له من أخطاء ومواقف مخلة، لم يكن "فردياً" أو متسلطاً إلا بالقدر الذي يتيح قدراً من ذلك، صمت من كان يعمل معه، أو تجنب اتخاذ مواقف واضحة من قبلهم في المنعطفات أو الصراع المنفلت. وهو بطبيعته كان يركن إلى من يرى فيه الكفاءة والرأي والخبرة لإنضاج التوجه والموقف. وتتضح هذه الطبيعة التي قد يرى فيها البعض نزوعاً سلبياً وضعفاً، في اجتماعات اللجنة المركزية، حيث يتردد في بلورة تلخيص لما دار فيه، تاركاً تحديد ذلك لوجهة الأراء المطروحة، وما تنتهي إليه الأكثرية من مواقف واء وتوجهات. بقي عزيز حتى اللحظة الأخيرة مشدوداً إلى ما اعتبره دون تردد قضية حياته، ومحور قضيته وأداة انجاز ما كان يطمح ليتحقق في الحياة ظل الحزب. وإذ تخلى عن المسؤولية القيادية، لا تهرباً وإنما رغبة في ضخ دماء جديدة قد تستطيع التفاعل مع التطورات العاصفة التي غيرت العالم، وتجديد الحزب والارتقاء بوسائله وأدواته وأساليبه وبناء للتناغم مع ما يجعل منه قوة محرّكة خلاقة لبناء عراق ديمقراطي تسوده العدالة الاجتماعية والسلم الاجتماعي.

رحل عزيز محمد قبل ان أخوض معه آخر جولة من حوار في قضايا ومواقف، أردت أن يقول كلمته الأخيرة فيها لعلها تعيد النظر فيما استقر في ذاكرتي من تقييم حول أحداث عاصفة ومواقف مربكة.

فكري أو سياسي معه، أو تقاطع مع الاتجاه السائد في الحزب وقيادته. كانت مرونته في معالجة الخلافات بين العناصر القيادية والإتجاهات المتصارعة داخل الحزب موضع عدم رضاً وقبول، وخصوصاً حين كان الخلاف يتخذ منحى متعارضاً مع الرأي العام في الحزب، وليس في قيادته فحسب. وقد لا يعرف الغالبية من الشيوعيين أن تلك المرونة والتسامح وغض الطرف أحياناً عن المخالفين أو المختلفين، لم تكن بمعزل عن التجربة الحزبية المبررة التي عاشها وكوكتها من القياديين في السجن الذين كتبوا للقيادة وجهة نظرهم حول السياسة السائدة، دون أن يعبروا أو يبشروا بها علناً، فما كان من المسؤول الأول إلا أن يشطب عليهم بالجملة دون مناقشة أو إستيضاح، ودفعهم إلى "العزل" في السجن!

والغريب أن جميع من تم فصلهم أصبحوا قادة في الحزب، وأستشهد البعض منهم، وصار من اتخذ قرار طردهم ومعاناتهم خارج الحزب والبعض من حواريه صاروا بحكم المرتدين والخونة.

ظل عزيز محمد أسير هاجس القهر اللامبدأي حتى وهو في فراش المرض وسكرات الموت، إذ لم يرفض مكاملة من لم يتركوا وسيلة للنيل من الحزب ومنه شخصياً، ولم يتعفف بعضهم من وضع نفسه تحت تصرف السفارات العراقية، وأختار آخرون الإفتراء عليه.

وقد تكون عزيز محمد، بطبيعته المحافظة، في بيئة إنكسارات وتراجعات وأخطاء وصراعات عصفت بالحزب، وفي أجواء سادتها أحياناً غير قليلة معايير لا مبدئية، وإنحيازات ذاتية منفعة، وتنافس غاب عنه في لحظات فارقة التوقف عند ما يفيد

اكتب عن عزيز محمد، وانا اقرّ بتميّزه عن كثيرين من مجايلينا. كان صديقاً لا يחדس صداقته الخلاف والاختلاف في الفكر والتقييم والمواقف. مرت سنوات كنا نبدو فيها كما لو اننا على رأي واحد، رغم اننا لم نكن كذلك . وعصفت بنا في سنوات أخرى تصدعات في المواقف، لكننا ظللنا على ولاء لا تخمد جذوته لصداقة تعمدت بالوفاء للامل والقضية التي ظلت عميقة الجذور. ربما يعود ذلك الى اننا كنا من منبِت واحد وعلى مرتجى أن لا نرى أما تكدح كسيرة العين، واما تقوّس ظهره وهو يلتقط رزق اسرته.
لكنه مرتجى ظل وربما سيظل مؤجلاً الى حين.

فالأمهات الكسيرات يملأن دنيانا بالاحزان والشجن، والأبء المنكسرة ظهورهم، والملبدة وجوههم لا يلتقطون رزق اسرهم الا بين اشلاء الضحايا خاصتهم، ومنهم من يلتقطها بعيداً عن الانظار في فضلات اوباش النظام ..
الآن فقط، ابكيك صديقي عزيز، وأغفر لك خطيئة الرحيل دون وداع ..
الآن ابكي قصورنا وخيبتنا أذ لم نبين جنة الفقراء في الارض ...
ليتك انتظرت يوماً واحداً لا غير. أكان ذلك كثيراً عليك، ام انه الوهم الذي يظل يرافقنا حتى اللحظة الابدية ..؟!

الاربعاء 7 / 6 / 2017

ذكريات مع المناضل الكبير عزيز محمد

جاسم الحلواني

لا تعرف فكيف تريد مني أن أعرف". كان سؤال الرفيق عزيز محمد يتعلق بمنظمة "راية الشغيلة" التي أشارت في بيان حلها في عام 1956 إلى دور للصهيونية في انشقاق الحزب في عام 1953. إن قصة هذا الانشقاق ودور عزيز فيه هو باختصار ما يلي: لقد كان العديد من كوادر الحزب يلاحظ بروز نزعة يسارية - انعزالية وسلوكاً بيروقراطياً وفردياً في قيادة الحزب. وقد تحولت تلك الملاحظة إلى "معارضة" داخل الحزب بعد صدور ميثاق (برنامج) جديد للحزب، في ربيع 1952، والذي صار يعرف باسم ميثاق "باسم"، نسبة إلى الاسم الحزبي لبهاء الدين نوري قائد الحزب آنذاك. نشر هذا الميثاق دون عقد مؤتمر أو كونفرنس أو حتى اجتماع للجنة المركزية لمناقشته وإقراره. وغير الميثاق ستراتيجية الحزب لتلك المرحلة من حكومة وطنية ديمقراطية إلى جمهورية شعبية متماثلاً مع تجربة جمهورية الصين الشعبية. وقتها فجر الميثاق الخلاف الفكري داخل الحزب وكانت اللجنة القيادية المسؤولة في "سجن الموقف" في بغداد أبرز المعارضين في السجون، وكان سكرتيرها الرفيق عزيز محمد ومن بين أعضائها الرفاق جمال الحيدري وإبراهيم شاؤول وحمزة سلمان ويعقوب مصري. وقد كتب الرفيق عزيز محمد رسالة إلى قيادة الحزب تتضمن ملاحظات حول الميثاق

مع أن الأخبار التي كانت تصلني من أربيل مباشرة، بعد تعرض الرفيق عزيز محمد إلى كسر في ساقه وملازمته الفراش، أشارت إلى احتمال مغادرته دنيانا، فاني قد صُدمت بوفاته وتألمت وحزنت بعمق، نظراً لوشائج الرفقة الطويلة التي ربطتنا والتي امتدت لستة عقود. وكلما هممت بالكتابة عنه، تنهال علي الذكريات بحلوها ومرها وشجونها وملابساتها... فتمنعني من الكتابة. في نهاية المطاف آليت على نفسي أن أكتب قدراً من ذكرياتي عنه. تعارفنا الذي امتد لستة عقود لم تكن لقاءاتنا فيها متواترة ومستديمة، سوى في الفترة التي كنت سجيناً معه لأكثر من سنة قبل ثورة 14 تموز، 1958 والفترة التي كنت فيها عضواً في اللجنة المركزية (1964 - 1985) وخاصة خلال عمر سكرتارية اللجنة المركزية (1973 - 1978) التي كان يرأس الرفيق أبو سعود اجتماعاتها أسبوعياً. ولا يسعني أن أعطي كل تلك الفترات فقد تركت الكتابة منذ مدة غير قصيرة بسبب الأحوال الصحية وضريبة الشيخوخة، وسأكتفي بأول فترة وبآخر لقاء معه. فقد التقينته لأول مرة في سجن بعقوبة الانفرادي في عام 1957. لم تكن في بداية الأمر سوية في قسم واحد، فتعارفنا من وراء القضبان وعلى عجل وكان مكبلاً بالحديد، فبادرني بالقول: "ما هي علاقة الصهيونية بالانشقاق؟" أجبتة: "إذا أنت

الجديد، باعتباره يحرق مرحلة التحرر الوطني وبالتالي لا يعير أهمية لتجميع القوى الوطنية. وأشير في هذه الرسالة إلى أن الحزب يبالغ في تقدير قواه ويقلل من دور الأحزاب الوطنية (البرجوازية)، وأن المهمة الراهنة هي إقامة حكم وطني ديمقراطي وإن شعار الجمهورية الشعبية من شأنه التفريط بقوى متمسكة بالملكية. وقد عُرفت هذه الرسالة برسالة "م" نسبة إلى الاسم الحزبي للرفيق عزيز محمد آنذاك (مخلص). وكان رد فعل بهاء على الرسالة، هو عزل عزيز عن مهمته القيادية واحتجاجاً على هذا الإجراء اعتذر أعضاء اللجنة الآخرون عن استلام المهمة. فقرر بهاء طردهم جميعاً من الحزب! فقرروا الانشقاق عن الحزب وسموه انتشالاً وأصدروا جريدة باسم "راية الشغيلة" ومن هنا جاء اسم منظمته.

وانشقت المنظمة داخل السجن، وأصبح لكل جناح قاعته ولجنته الخاصة. وقد التحقت بالمنظمة المنشقة كوكبة لامعة من كوادر الحزب، استشهد الكثيرون منهم بعد ذلك تحت التعذيب الوحشي مثل جمال الحيدري وحمزة سلمان وحسن عويبة ونافع يونس وعدنان البراك وإبراهيم حكاك وعواد الصفار (استشهد في انتفاضة 1956). ومن بين الكوادر أيضاً التحق بالمنظمة الرفاق عادل مصري وعبد الرزاق الصافي وسلام الناصري وإبراهيم شاؤول وعادل سليم وكاظم فرهود ويوسف حنا وعبد الحسين خليفة وحسين سلطان وغيرهم.

كنت مهتماً في السجن بمعرفة تفاصيل تاريخ الحزب وقادته ولم يكن ذلك، إطلاقاً، عن سابق تصميم أو لأني قد أحتاج إلى ذلك لكتابة ذكرياتي في يوم ما، والتي

لم أفكر في كتابتها، بل كانت محض نزعة غريزية بحكم قناعاتي الراسخة بارتباطي المصيري بالحزب. و قد لقيت ضالتي في الرفاق القدامى. ولم يبخل الرفيق عزيز محمد، الذي عشت معه في زنزاة واحدة لفترة طويلة بالإجابة على أي سؤال لديه معلومات عنه، ما عدا الحديث عن ظروف انشقاق منظمة راية الشغيلة. فقد باءت محاولاتي لتحفيزه، على الحديث عن تفاصيل ذلك بالفشل. إن كل ما سمعته منه هو: "صدقني لم نكن نفكر يوماً بالانشقاق عن الحزب، لا أدري كيف حصل ذلك". يقولها متوتراً ويُغلق الموضوع. ومرة أجابني: "جلسنا على سطح الفرن" ولم يكمل كلامه إنما نفخ بيده وضرب الهواء بقوة، وكأنه يصفع أحداً، وأضاف "لعد شعبالك؟" (ما الذي يخطر ببالك إذن؟)

وأعتقد بأنه كان يريد أن يسخر من عملية الانتشال (الانشقاق)، وأراد بحركته وكلامه ذاك أن يرسم صورة كاريكاتيرية لها.

تحولت سجون الشيوعيين في العهد الملكي المباد إلى مدارس لتخريج الكوادر الحزبية. ولمكافحة هذه الظاهرة قام النظام الملكي ببناء سجن بعقوبة الانفرادي بإشراف "النقطة الرابعة الأمريكية" سيئة الصيت. وتعرض السجناء في هذا السجن إلى ظروف قاهرة تكتنفها صعوبات جمّة. وفي هذه الظروف التقيت وعشت مع الرفيق عزيز محمد حوالي سنة في زنزاة واحدة، حتى إطلاق سراحنا بعد ثورة تموز.

إن أحلك الظروف التي واجهتنا في سجن بعقوبة الانفرادي هو حرماننا من الكتب والصحف والورق والأقلام، والتفتيش اليومي المصحوب بالإهانات والعقوبات بالسجن الانفرادي أو بالمقرعة لأسباب

تأففة. كانت أخبار الحزب ومنشوراته تصلنا وتداولها سرا، وتستنسخ الكراريس على دفتر أوراق لصنع السكاثر اليدوية (دفتر لف). وكانت جريدة البلاد، وغيرها تصلنا بشكل سري وغير منتظم، وتداول أهم ما فيها سرا.

لم يتوان الحزب يوماً عن المطالبة بإطلاق سراح السجناء السياسيين، ولا عن فضح ما يتعرضون له من تنكيل. فعلى سبيل المثال، نشرت جريدة "اتحاد الشعب" في عددها الصادر في تشرين الأول 1957 ما يلي:

"مرة أخرى نعود للتحدث للرأي العام العراقي والعربي والعالمي عما يلاقيه السجناء الأحرار في سجن بعقوبة. فوراء البوابة السوداء لهذا السجن يجري أبشع أنواع التنكيل بحق معارضي حلف بغداد ومبدأ أيزنهاور والمناضلين في سبيل حقوق الشعب العراقي الدستورية وفي سبيل حرية الأمة العربية ووحدتها. ولم يعد أحد يجهل أساليب التعذيب التي تتبناها إدارة سجن بعقوبة تجاه هؤلاء المناضلين وياشرف من (لجنة مكافحة النشاط الهدام) التابعة لحلف بغداد... إننا نناشد كل الوطنيين الشرفاء ورجال المعارضة الوطنيين ورجال القانون وكل ضمير إنساني أن يرفع صوته استنكاراً لهذه الأساليب الوحشية".

وما أن طرأ تحسن نسبي على ظروف السجن، وذلك بالاكْتفاء بغلق أبواب الزنانات من الساعة العاشرة ليلاً إلى الساعة الثامنة صباحاً، ومن الساعة الثانية إلى الساعة الرابعة من بعد الظهر، حتى أقيمت في السجن دورات تدريسية تضم الواحدة منها بحدود 5-7 رفاق لتدريس الاقتصاد السياسي واللغة

العربية واللغة الإنكليزية و... الخ. وكان الاشتراك في دورة واحدة إلزامياً. ويتم التدريس بشكل شفهي. واستخدم المساهمون في دورات اللغة الإنكليزية قطعة صغيرة من لب قلم الرصاص ليكتبوا الكلمات الجديدة على أذرعهم، بعد أن يشدوا تلك القطعة برأس ثلاثة عيدان شخاط!

كان في السجن لجنة حزبية مشكلة بقرار حزبي من قبل قيادة الحزب في الخارج وتضم كل من زكي خيري وعزيز محمد ومهدي حميد وبهاء الدين نوري وعمر علي الشيخ وهادي هاشم الأعظمي، وكان الأخير المسؤول الأول في السجن.

كانت علاقتي بالرفيق أبو سعود علاقة رفاقية عادية، أي أنها لم تكن علاقة صداقة ضيقة. وكان هو قد ترك التدخين حديثاً، فكان يلف لي السكاثر ولم يفتنه أن يخبرني بأنه يقوم بذلك لرغبته بشم رائحة التتب ليس إلا، وبيتسم. وكانت السكارة التي يلفها غاية في الرشاقة.

صباح ثورة 14 تموز كنا في الفرن، فقد كان الدور في ذلك اليوم لرفيقنا، الذي يضم الرفاق عزيز محمد وسلام الناصري وأكرم حسين وعدنان عبد القادر وأنا وآخرين. وبين الساعة السادسة والنصف والسابعة صباحاً، صاح أحد السجنانيين وهو يركض بجوار باب الفرن "انقلاب" فاندھشنا. ولم تدم دهشتنا طويلاً فقد مر سجان آخر اركضا وصائحاً "صارت جمهورية" تحلقنا حول الطاولة المخصصة لتقطيع العجين ووزن (الشنكة) وتهيئتها، وكان ذلك عملي في الفرن. بادر الرفيقان عزيز محمد وسلام الناصري بالقول: "ستفشل"؟! لا أتذكر موقفي بالدقة ولكن ما أتذكره بالتأكيد هو أنني لم أعترض عليهما خاصة وإنني كنت

أنظر إليهما باعتبارهما من أساتذتي. ولكن قلبي بالتأكيد لم يكن معهما ليس لطبيعتي المتفائلة فحسب، بل أن معظم السجناء الجدد استوعبوا الأمر بنحو أسرع من السجناء القدماء. ولم تدم هذه الحالة طويلاً فقد تبددت بفضل المنحى السريع للتطورات.

عندما عدنا إلى جناحنا في السجن بعد انتهاء عملنا في الفرن وجدنا أبواب الغرف مغلقة، خلافاً للعادة. وهذا الإجراء هو أول رد فعل لمدير السجن على الحدث. كانت الأناشيد الوطنية تسمع من راديو بغداد بواسطة مكبرة الصوت. وقد فتحت أبواب الغرف لاحقاً في نفس اليوم. ساد القلق الموقف، فنحن سجناء عزل تحت رحمة قوى غاشمة، فلم تغب عنا حتى هواجس الانتقام في حالة فشل الثورة أو حتى نجاحها. جاءت التشكيلة الوزارية بشخصيات وطنية وقومية معروفة لنا لتشير إلى أن تحولاً جذرياً قد حصل. بعد فترة خفت القيود علينا، فأخذت الصحف تدخل إلى السجن وأبواب الغرف أصبحت مفتوحة دائماً. وبعد حوالي الأسبوعين من الثورة صدر أول مرسوم جمهوري بقائمة أسماء المطلق سراحهم، وقد أطلق سراحهم فوراً، وتوالت المراسيم وأطلق سراحنا جميعاً خلال بضعة أسابيع.

في لقائي الأخير مع الرفيق عزيز محمد في أربيل حيث زرتها لبضعة أيام في كانون الثاني 2017 ذكّرته بسؤاله حول علاقة الصهيونية بانشقاق الحزب عندما تعارفنا في السجن. رد علي قائلاً: "سألت الرفيق سلام عادل أيضاً أول ما التقيته، بعد خروجي من السجن في إثر ثورة 14 تموز، ولم أحصل على جواب". اللقاء الأخير مع الرفيق أبو سعود جرى

قبل عدة أشهر من رحيله، وتحديداً في كانون الثاني 2017. عندما اتصلنا تلفونياً، واتفقنا على موعد لاصطحابي إلى بيته، عرض علي أن أقيم معه خلال وجودي في أربيل، إذا ما أعجبني المكان، فشكرته واعتذرت بكل ود. زارني في نفس اليوم في الفندق الذي أقيم فيه وبعد استراحة قصيرة أخذني إلى بيته. وحال جلوسنا بادرنى بالسؤال عن إحدى مداخلاتي في المؤتمر العاشر للحزب، وكان يصغي باهتمام، كعادته، ويبتسم لما هو مثير في الحديث دون أن يعلق. وعندما انتهيت سألته سؤالاً محدداً، أجابني بكلمة واحدة كانت تكفيني. وبعدها تشعب الحديث. اعتذرت عن تناول العشاء فقد كنت شعباناً ولم تجد معي إغراءاته لتناول كبة برغل، وتعشى هو عشاء بسيطاً. لم أتبين ماذا كان يأكل لتجنبي النظر إليه وهو يعاني صعوبة كبيرة في تناول طعامه بسبب الرعاش في يده.

وجدت عزيز بنشاط ذهني جيد وبذاكرة جيدة أيضاً نسبة لعمره الذي ناهز الثالثة والتسعين. يعاني من رعشة اليدين ولكن ذلك لم يعقه عن تناول طعامه وشرابه، واستخدام العكازة في حركته، وتفقد مجاليه من الرفاق مثل الشاعر دلزار (97 عاماً) وكريم أحمد (94 عاماً) وعمر علي الشيخ ناهز (90 عاماً). ولكن أعاقه في السنين الأخيرة من عمره من حضور الكثير من الدعوات المهمة. وأخبرني بأن أخشى ما يخشاه هو أن يصبح مقعداً، وتحققت أمنيته!

بيت الرفيق عزيز قديم وأثاثه بسيط وقديم، ولم تدخله التكنولوجيا الحديثة، فلا وجود للكومبيوتر ولا للانترنت ولا للتلفون الذكي، وعرفت بأنه يقرأ يومياً

ما معدله 5 ساعات. سألته كيف تتسلى؟ أجاب بأنه يشاهد الرياضة في التلفزيون. يعني لا موسيقى ولا غناء ولا أفلام ولا مسلسلات وكل هذه متيسرة في التلفزيون. عندما هممت بالمغادرة جدد عرضه بالإقامة معه وأراني الغرفة المهيأة لإقامتي ومن ثم غرفته وهما تحتويان على أسرة من الطراز القديم وأجواءهما كئيبة، فعلقت عفو الخاطر بكلمة واحدة وهي: دروُشة، سمعني ولم يعلق. شكرته مجدداً على عرضه لاستضافتي وغادرت.

وعند مغادرتي أربيل أصر على أن يرافقني إلى المطار وكان يحمل كارت يعفي سيارته من التفتيش، ويتجدد هذا الكارت كل ستة أشهر بعد دفع مئة ألف دينار. عند وصولنا المطار كان معي حقيبتان. ذهبت لأجلب عربية لهم، وعندما عدت وجدت الرفيق عزيز متجها نحو باب المطار وهو يسحب إحدى الحقيبتين بيده اليمنى وعكازته بيده اليسرى! وبعد أن لحقت به داخل المطار، وجدته قد حجز لي موقع في الدور. لقد تأثرت كثيراً لتصرفه هذا الذي يجسد تواضعه الجم ووفاءه غير المحدود لتاريخنا النضالي المشترك، والذي هو جزء من التاريخ النضالي للحزب الشيوعي العراقي، ورغبت أن أعبر له بعبارة مؤثرة تتناسب مع لطفه، عندما تعانقنا عناق الوداع، فقلت له "مرافقتك لي أعتز بها كثيراً وستبقى خالدة في ذاكرتي". وقد ظل واقفاً يراقبني حتى غبت عن النظر بأخر تلويحة من أيدينا. هل كل هذا الاهتمام بتوديعي مبعثه شعوره بأنه الوداع الأخير؟ ربما. أما أنا فلم يخطر ذلك ببالي.

كانت علاقتي بالرفيق عزيز علاقة رفاقية عادية أي لم تكن علاقة صداقة ضيقة، كما ذكرت سابقاً. وبدا لي بأنه كان يحرص على

أن تكون علاقاته مع الرفاق الآخرين على مسافة واحدة، غير مقاسة بالسنتيمترات، فهناك هامش معين للبعد والقرب، ولكني أعتقد أنه لم تكن لديه علاقة صداقة حميمة خاصة مع أحد يفتح فيها قلبه ويتبادل همومه معه، فجميع الرفاق أصدقاؤه. ولا أحسب بأن ذلك كان درءاً لتهمة العلاقات التكتلية، بقدر ما هو سلوك حزبي نابع من مستوى رفيع وخصلة قيادية. وظل هذا السلوك ملازماً له، وكان ذلك أحد أسباب انتخابه واستمراره سكرتيراً للجنة المركزية لمدة طويلة. هذا إلى جانب تواضعه وإخلاصه للحزب وقضيته، وصلابته أمام العدو وعفة لسانه، فهو يتجنب الإساءة إلى أحد، بمن فيهم خصومه ولم يحقد على أحد ويتجنب استخدام الألفاظ البذيئة، و يده بيضاء، وقيل هذا أو ذاك فإن إنسانيته عميقة. وكان يعوض عن مستواه النظري والثقافي باستثمار كل إمكانات الرفاق الأكفأ منه في هذا الميدان. الرفيق أبو سعود قليل الكلام ولكنه منقوه ضليع باللغتين العربية والكردية وعندما يتكلم تكون أفكاره واضحة ومرتبنة. ويصغي بانتباه وتفهم ولا يتنصل عن مسؤوليته من أخطائه. ولكن هل تعرضت بعض خصاله تحت ضغط هذا الظرف أو ذاك للاهتزاز مؤقتاً؟ لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال، إلا بالإيجاب، لأن الرجل كان إنساناً طبيعياً وليس معصوماً. وكل من التقى به بعد تخليه عن مسؤوليته السابقة لمس خصاله الحميدة الجيدة. وإن "دروُشته"، التي سبق وأن أشرت إليها، بمعناها الإيجابي أي الزهد بمتع الحياة، دليل على ذلك.

لقد رفض الرفيق عزيز محمد بجد ترشيحه سكرتيراً للجنة المركزية في الاجتماع الكامل للجنة في براغ عام 1964، معلناً

بأنه غير مؤهل لتلك المهمة وطلب دراسة حزبية، ولكن الاجتماع رفض اعتذاره وأصر على ترشيحه وإرساله للدراسة الحزبية في نفس الوقت! شارك في الاجتماع عامر عبد الله وبهاء الدين نوري عضوا مكتب سياسي سابقاً وكذلك باقر إبراهيم وسلام الناصري عضوان مرشحان للمكتب السياسي، ألم يكن أحدهم مؤهلاً لسكرتارية اللجنة المركزية آنذاك؟ كلا لم يكن، ليس بدليل عدم انتخابهم لهذا المركز في الاجتماع فحسب، بل بدليل عملي فقد عاد بعد الاجتماع بهاء الدين نوري كمسؤول أول مع عدد من أعضاء المكتب السياسي الجديد مع كامل الصلاحيات، ولم يدبروها وناخوا تحت العباء، فطلبوا من الرفيق عزيز محمد قطع دراسته التي باشرها والعودة إلى الوطن لممارسة مهامه، وظل هذا القرار المجحف يحز في نفسه. بناء على ذلك أجد بأن الرفيق عزيز محمد يبالغ

بتواضعه عندما يحسب وجود آخرين أكفأ منه وبأنه كان سكرتيراً توافقياً. باعتقادي كان الأكفأ ضمن ظروف الحزب آنذاك، لخصاله القيادية والأخلاقية التي أشرت إليها، وهذا ما لمستته حتى آخر اجتماع كامل للجنة المركزية حضرته وانتخبته في عام 1984.

ومهما قيل ويقال فسيبقى الرفيق عزيز محمد قامة شيوعية عراقية وأممية وكردية مميزة، في تاريخ العراق الحديث، ومن حق الشيوعيين وكل العراقيين المنصفين أن يفتخروا به، فقد ظل واقفاً ولم ينحن أمام العواصف، مهما كان سعيها، تماماً كنجيل جنوب العراق، وشامخاً وثابتاً لا يتزحزح، كجبال كردستان، عن حلمه ونضاله من أجل عراق حر وشعب سعيد وعالم يسوده السلام.

9 حزيران 2017

خواطر عن الرفيق العزيز الراحل عزيز محمد

د. خليل الجنابي

الرفيق العزيز والطيب الذكر (عزيز محمد - أبو سعود) كان إنساناً متواضعاً إلى أبعد الحدود ويتميز بذكاء فطري وحنكة سياسية أهلته لخوض معترك العمل الحزبي بكل مقدرة ومسؤولية. ولا غرو في ذلك لأنه خريج مدرسة السجون التي قضى فيها ردهاً من الزمن ما يقارب العقد .

تعلم خلالها الصبر والإخلاص والتضحية والفداء، إكتسب الشهامة والنبيل والدفاع عن قضية العمال والفلاحين والطبقات المسحوقة التي ينتمي إليها، برع في الدفاع عن الشعوب والقوميات وحققها في تقرير المصير وخاصة الشعب الكردي والشعوب الأخرى التي يحتضنها العراق.. كان صمام الأمان لوحدة الحزب وتقويم سيره في خضم الصراعات الحزبية والإختلافات في الرؤى في مواقف الحزب في العديد من القضايا الداخلية والعربية والعالمية. لم أكن في موقع يؤهلني للخوض في دقائق الأمور، لكن اللقاءات العديدة التي تشرفنا في اللقاء بها مع رفيقنا الراحل عزيز محمد عندما كنا في بلغاريا للدراسة في بداية السبعينات ولمدة عقد كامل جعلتنا نتعرف عن قرب على هذه الشخصية الفذة ورفاق آخرين كانوا في موقع المسؤولية ومنهم الرفاق (زكي خيري، باقر إبراهيم، عبد الرزاق الصافي، بهاء الدين نوري، آرا خاجادور، حميد مجيد موسى، كمال شاكر، فخري كريم . حسين سلطان، عادل حبه، حميد بخش، لبيد عباوي، يعقوب

إن المساعدات الجمّة التي قدمتها بلغاريا لهذه الأحزاب لا يمكن عدها ابتداءً من منح الزمالات الدراسية لطلبة بلدان تلك الأحزاب والتي تعد بالآلاف وفي شتى الإختصاصات العلمية والأدبية والتقنية والمهنية ونهيتهم كوادر علمية تخدم بلدانها في عملية البناء والتعمير إلى جانب المساعدات العينية والدراسات النقابية والحزبية لإعدادهم كوادر علمية ليتصدروا المشهد السياسي في بلادهم.

نعم لقد كان لي شرف المساهمة مع رفاق آخرين في اللقاء مع مجموعة الأسماء التي ذكرتها وخاصة مع الرفيق الراحل (عزيز محمد - أبو سعود)، ولا أبالغ من أن اللقاء معه كان يمتاز بروحية عالية من الألفة والمحبة والأمل والتفاؤل والتي كان يمتاز بها رفيقنا العزيز .

وهناك لقطات جميلة أتذكرها في لقاءاتنا مع الرفيق (أبو سعود)، ففي إحداها كنا مجموعة من رفاق منظمة بلغاريا للحزب الشيوعي العراقي ذهبنا لزيارته في موقع إقامته في صوفيا، كنا خمسة رفاق ورفيقة واحدة فقط، وخلال اللقاء صادف أن الرفاق (الذكور) كانوا في المقدمة وجاء دور

(الرفيقة) في النهاية، هنا قال لنا وبصوت مسموع (بعدكم فليح - فلاحين!!)، وصافح الرفيقة بحرارة لأنه يعرفها ويعرف تاريخها النضالي ومكانتها في الحركة النسوية العراقية ورابطة المرأة.. والرفيقة هي الراحلة (عميدة الرفيعة).

بعد اللقاء وخروجنا سألنا أحد الرفاق .. قائلاً الحقيقة (ما فهمت شئو قصد الرفيق عزيز محمد .. بعدكم فلاحين) .. وتم الشرح له بأن الفلاح ينظر إلى المرأة نظرة دونية ومتخلفة ودائماً يجعلها بعده حتى في المسير .. التفت الرفيق إلى الرفيقة (عميدة) معاتباً إياها على هذا الإشكال، وقال لها (من وراج أكلنا رزالة من الرفيق عزيز). فأجابته: (تستاهلون لأن واحدكم مثل أي شيخ عشيرة نافخ نفسه ويمشي في الأمام)!!.

الحقيقة لم تكن إشارة الرفيق (عزيز محمد) للموضوع على أنها (رزالة)، لكنه قالها بشكل تربوي مؤدب تعني الكثير خاصة ونحن متواجدين في بلغاريا وعلينا أن ننهل من ثقافتهم ومواقفهم إتجاه المرأة ومساواتها الكاملة مع الرجل .

اللقطه الأخرى لي .. حيث علمت بأن الرفيق عزيز محمد سيصل مطار صوفيا على الخطوط الجوية البلغارية القادمة من بغداد في أحد الأيام . وفي الموعد المذكور ذهبت إلى المطار لإستقباله، وأنا أعرف مقدماً أن ممثلاً للحزب الشيوعي البلغاري (العلاقات الخارجية) سيكون في إستقباله أيضاً . وصلت الطائرة ووصل الرفيق عزيز محمد ودخل صالة التفتيش كأى مسافر عادي، وللأسف لم يصل لحد الآن ممثل الحزب الشيوعي البلغاري المكلف بإستقباله وتسهيل عملية دخوله، هنا بادرت وإتصلت بضابط المطار وعرفته بنفسى

وبالضيف القادم وتم دخوله على أفضل ما يكون. إقترح الرفيق عزيز أن ننتظر بعض الوقت في صالة الإنتظار لكي نعطي فرصة لوصول الرفيق البلغاري، مضى بعض الوقت ولم يصل أحد، عندها إقترحت على الرفيق عزيز أن نأخذ (تاكسي) ونذهب إلى الفندق المخصص عادة للضيوف من الأحزاب الشيوعية فندق (ريلا) على ما أتذكر، الرفيق عزيز كان يحمل معه (جنطة ملابس متوسطة)، حاولت أن أساعده وحملها عنه إلى التاكسي رفضاً قاطعاً وقال (بعدي شباب) وقال حتى ما تزعل هذا كيس صغير، كان يحمله في يده، يمكن أن تساعدني به. وعندما وصلنا الفندق المذكور حمل الجنطة بنفسه ودخلنا وعند تقديمه جواز سفرة للإستعلامات عرفوه ونادوا على مدير الفندق وإستقبله إستقبالاً حاراً ويبدو أن لديه معلومات بوصول الرفيق الضيف. وأخبرنا بأن الرفيق البلغاري قد حصل له حادث سير عرضي مما أدى إلى تأخره وهو في طريقه إلينا الآن .

بعد نصف ساعة تقريباً وصل الرفيق البلغاري وهو من الذين يجيدون اللغة العربية وكان العرق يتصبب منه خجلاً وقص لنا ما حدث له وإعترت كثيراً على هذا التأخير وقال كيف وصلتكم؟، أجابه الرفيق عزيز مبتسماً (جنئنا مشيا على الأقدام!!) عندها سألني كم دفعتم إجرة للتاكسي؟، وأصر على معرفة ذلك، بعدها ناولني ويالحاح (عشرة ليفات) مع علبة جلكيت وباقة ورد كان يحملها معه قدمها للرفيق أبو سعود.

اللقطه الثالثة للرفيق أبو سعود، هو أنه في إحدى زيارته إلى بلغاريا صادف وجود الرفيق الخالد (خالد بكداش) في زيارة هو الآخر بدعوة من الحزب الشيوعي

لقد كانت لقاءاتنا المتكررة مع الرفاق الذين يزورون صوفيا دعماً معنوياً وتثقيفياً لنا لمواكبة الأحداث .. وكان الجميع بدون إستثناء أول سؤالهم عن أحوالنا الدراسية وتشجيعنا وحثنا على نهل العلم من البلد الصديق، تماشياً مع شعار منظماتنا الطلابية والحزبية (التفوق العلمي والعودة إلى الوطن)، لكن للأسف عاد العشرات وتسكعوا في الشوارع ولا أحد إهتم بهم ولم يُعترف بشهاداتهم خاصة خريجي الدول الإشتراكية في ذلك الوقت وعادوا أدرأجهم من حيث أتوا .

لقد كان بعض الرفاق لهم الحظوة في اللقاءات الكثيرة معهم بحكم وجودهم الطويل في بلغاريا وفي المقدمة منهم الرفيق العزيز (حميد مجيد موسى - أبو داود) بحكم دراسته الحزبية والأكاديمية في صوفيا، كان قريباً منا ورفيقاً ودوداً يساهم معنا في معظم نشاطاتنا وفعالياتنا، وكان خير المرشد وخير الموجه لما يمتاز به من حنكة ودراية حزبية وثقافية وسياسية .

نعم لقد كانت لقاءاتنا مع هذه المجموعة الخيرة من الرفاق القياديين ذات أثر فكري وتنظيمي وتربوي نعتز بها وفي المقدمة منهم الرفيق الخالد (عزيز محمد - أبو سعود) .. الذكر الطيب لك على الدوام أيها الرفيق العزيز .

البلغاري، إتقى القائدان الشيوعيان في منتجع سياحي في مدينة فارنا الجميلة الواقعة على البحر الأسود في لقاء غير رسمي، كان الرفيق عزيز مرتاحاً من هذا اللقاء حسب ما نقله إلينا حيث إمتد لساعات طويلة ولأيام عديدة أفرغ كلا منهما ما بجعبته عن أوضاع الحركة الشيوعية في العالم العربي والعالم الثالث وفي أرجاء العالم، وتناولوا العلاقات الحميمة بين الحزبين الشيوعيين السوري والعراقي والعلاقة مع الأحزاب الأخرى خاصة مع الحزبين الحاكمين في هذين البلدين وهو (حزب البعث العربي الإشتراكي) اللذين يتشابهان في الإسم والمختلفين إلى حد العداء السافر بينهما، وإستخلصا التجارب والعبر، حيث كما ذكر الرفيق عزيز محمد كان اللقاء بينهما يتسم بالصراحة وامتطابقاً في الرؤى رغم وجود بعض المشاكل التنظيمية التي ظهرت واضحة في تلك الفترة وظهور أجنحة متعددة في الحزب الشيوعي السوري أدت إلى تعثر مسيرة الحزب الشيوعي الشقيق.

كما كانت توصياته لنا أن نوطد العلاقة مع الرفاق في منظمة الحزب الشيوعي السوري ومتابعة نشاطاتهم وفعالياتهم والسعي على تذليل الصعوبات الفكرية والتنظيمية بين أطرافهم .

د. مهدي الحافظ

واعداء الوطن، ومناضلا من أجل تعزيز الوحدة الوطنية. لقد سجل دوره المميز في حياة الحزب الشيوعي في مرحلة حساسة، على الرغم من التبعاعد الذي مرت به اسرة الحزب الشيوعي العراقي وتعرضت خلاله الى مصائب جمّة . احيي ذكراه واشد على سواعد عائلته ورفاقه متمنياً لهم الحياة الافضل والسلامة الدائمة.

فوجئت بحزن وألم بالغين بالغياب المفجع للأخ الكبير والشخصية السياسية البارزة عزيز محمد القائد الشيوعي الكبير.

كان الرجل مثالا للتسامح الانساني والخلق القويم، ومفكراً مستنيراً وحريصاً على الجميع، ومثالا لتناسي الخلافات، ومكافحاً جاداً في وجه الارهاب والطغيان

عزيز محمد

عدنان حسين

قريباً منهم، أو فرداً من عائلتهم... التواضع كان من أبرز خصال الرجل الذي أمضى، أو بالأحرى أرغم على أن يمضي، ثلاثة عقود على رأس قيادة الحزب الشيوعي، في واحدة من أكثر حقب العراق التاريخية صراعاً - سياسياً - واضطراباً ودموية وإشكالاً.

مرات عدة سعيت وآخرون، لإقناع عزيز محمد، بعد أن تخلّى منذ سنوات عن موقعه سكرتيراً للحزب، بأن يكتب مذكراته. كان رافضاً الفكرة على نحو قاطع.. قلنا له إنه إذا كان يستتقل التفرغ للكتابة، فيمكننا أن نعيّنه بأن نلتقيه في جلسات مطوّلة أينما يكون ونسأله عن حياته وتجربته وذكرياته، ونسجلها إلكترونياً ثم نفرغها ونعيد تحريرها بإشرافه... بيد أنه كان

لو قُيِّضَ، بقدرة قادر، للزعيم الشيوعي العراقي الراحل عزيز محمد أن يعود إلى الحياة وينهض من التابوت، وإن لخمس دقائق، أثناء تشييع جثمانه إلى المقبرة في أربيل الخميس الماضي .. ماذا كان سيفعل؟

أزعم أنني أعرف ما كان سيفعله .. كان سيوقف موكب التشييع الرسمي المهيب طالباً الكف عنه، وكان سينضمّ إلى رفاقه ومحبيه ممن اصطفوا على جانب الطريق لوداعه.

عزيز محمد يستحق المهابة التي شُيع بها جثمانه إلى المقبرة، لكنه لم يكن يحب أي شكل من أشكال التبجيل والتقدّيس .. كان يتصرّف بتواضع ويحبّ أن يتعامل معه الآخرون بوصفه إنساناً عادياً، صديقاً

يتمسك على نحو عجيب بموقف الرفض. كان يكرر القول بأنه ليس بالأهمية التي نراها.. هو في نظره "شخص عادي" يشبه سائر الأعضاء العاديين في الحزب الشيوعي، وكان يقول إنه لم يكن مقتنعاً تماماً بأنه الأنسب لأن يكون سكرتيراً أول للجنة المركزية.. يقول: في اللجنة المركزية وفي هيئات الحزب الأخرى كان هناك دائماً رفاق أحسن مني وبمستوى ثقافي أفضل من مستواي. في هذا إشارة إلى مستواه التعليمي المتواضع، فقد وُلد وعاش في عائلة فلاحية معدمة، واعتقل في وقت مبكر من حياته في العهد الملكي، وفي السجن فقط تمكن من تحسين مستواه التعليمي والإقبال على القراءة. مع ذلك فإن عزيز محمد كان دائماً يتحدث بلغة عربية فصيحة لا تقل في مستواها عن مستوى غالبية خريجي الجامعة. فضلاً عن ذلك تميّز بأفكاره المنظمة وباللغة الودودة التي يتحدث بها، والمُبهره دائماً بالمأثور من الكلام وبالطرائف.

كان رأينا، ، أن عزيز محمد شاهد رئيس على كل الأحداث العاصفة في تاريخ العراق منذ منتصف الستينيات حتى منتصف التسعينيات من القرن الماضي .. كان في قلب الصراعات والمواقف والسياسات المختلفة لحزب كان من صناع تاريخ

العراق المعاصر .. التقى وأجرى مباحثات رسمية وشخصية ليس فقط مع أقطاب نظام حزب البعث (في السبعينيات) وقيادات الأحزاب الوطنية العراقية، وإنما أيضاً مع الكثير من الشخصيات السياسية في منطقة الشرق الاوسط، بمن فيهم رؤساء دول ورؤساء حكومات وزعماء أحزاب، فضلاً عن زعامات الحركة الشيوعية العالمية بمن فيهم زعماء الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى.

حاولنا إقناعه بأن لشهادته قيمة تاريخية كبيرة تُوجب عليه الإدلاء بها لتبقى للمؤرخين، لكنه ظل في تلك الجلسة اللندنية وفي سواها من لقاءات لاحقة يرفض، وقد فعل الزميل توفيق التميمي خيراً في استنطاقه ليحفظ لنا شهادته على التاريخ وإن كانت منقوصة.

عزيز محمد الإنسان العادي في نظر نفسه والزعيم السياسي في الواقع، كانت له ولا شك أخطاؤه .. هو لم يبرئ نفسه منها، بل هو أعلن تحمله كامل المسؤولية عن كل ما فعلته قيادة الحزب في عهده، بيد أن من الانصاف القول إن عزيز محمد لم يكن مستبداً لتلقى على كتفيه كامل تبعات سياسة الحزب.. الآخرون، وهم بالعشرات، لكل واحد منهم حصّة من المسؤولية.. ربما أكبر من حصّته.

القلب الصافي في رحاب الخلود ..

جاسم المطير

غادرنا اليوم المناضل عزيز محمد. غادرنا صاحب عينين واسعتين ظللتا منشغلتين خلال تسعة عقود بالأرض العراقية، كلها.. ظللتا منشغلتين بماء الوطنية الحقة وبرمل الشيوعية وعطرها وحبها لوطن الرافدين وكيانه. انتقل الى الخلود قائد عراقي اخطأ واصاب خلال عمره النضالي الطويل ، لكنه منح شعبه ، كله، صفاء وطنيا مطلقا. ارتدى منذ عام 1945 قميص الشيوعية الاحمر ليزيد الهوية الوطنية لمعانا. انتقل الى الخلود وهو على ثقة بأن الاشجار العراقية الخضراء لن تضعف ولن تنهوى بعد رحيله. اورث، بنضاله الطويل، خضرة ابدية ستظل ملازمة لكل الاشجار من زاخو حتى الفاو. سيكبر المسار والعلو بعد رحيله، أيضاً .. سيظل التلاميذ ممسكين بوصية معلمهم، الداعية الى مواصلة نضال الكادحين العراقيين من اجل تحقيق ذاتهم في بناء دولة مدنية عراقية يكون فؤادها مولعا بالاشتراكية وبالعدالة الاجتماعية للعراق، كله، بما فيها ارض ميلاده وطفولته كردستان. لم يقهرني رحيلك المحتوم يا عزيز محمد.. نم قرير العينين فتلامذتك الاوفياء كثيرون، سيجعلون السفينة الحمراء بلا انتهاء ولا توقف، بل بحركة وارتفاع كبير لتجاوز كل الموجات العاتية وحماية المصابيح المضيئة الى الابد. رحلت يا عزيز لكن مسار رفاقك سيظل منطلقا بوجودك الابدی.

الأصدقاء والاخوة الأعزاء في المكتب السياسي واللجنة المركزية، للحزب الشيوعي العراقي المناضل . اشاركم الاسى العميق برحيل الشخصية الشيوعية والوطنية الباسلة، عزيز محمد، ذي التاريخ العريق، والعطاء الجليل على مدى عقود طويلة / الخلود للفقيد العزيز، عزيز محمد، ولعائلته ولكم ومحبيه الصبر الجميل.

رواء الجصاني

نشاطرکم والحزب الأسى بوفاة المناضل عزيز محمد، الذي كافح طوال عمره الانظمة الدكتاتورية ودعا الى الوحدة الوطنية.

معاذ عبدالرحيم

ابو سعود وحديث قديم وواقع يتدحرج

د. صبيح الجابر

ورؤيته للمستقبل. في سياق حديثه ذكر ان الظروف التي عاشها الحزب لم تتح له فرصة اللقاء المباشر بالجماهير الشعبية مباشرة او من خلال المنابر الاعلامية، ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فضلا عن المساجد او الجوامع المتاحة للآخرين ومحرمة علينا.. الخ. باستثناء ما يقارب الخمس سنوات بعد ثورة 14 تموز المجيدة عام 1958 حيث عمل الشيوعيون في العلن تنظيميا وتثقيفا وكذلك ما يقارب الخمس سنوات في السبعينات بعد قيام "الجبهة الوطنية التقدمية" .. اما ما تبقى من سنوات عمر الحزب فقد قضاها في السجون والمعقلات والملاحقات والمنافي. خلال الفترتين القصيرتين المذكورتين استطاع الشعب العراقي وفي طليعته الشيوعيون ان يخرج الى الفضاء الواسع ليعبر عما في داخله من حب وفرح للواقع الجديد الذي اشاعته ثورة تموز. واقع جديد وغريب، لكنه كان اشبه بالمنقذ، الذي تنتظره الجماعات الشعبية وكأنها تعرفه منذ الازل.. وقد تميز هذا الواقع بتصدر الشيوعيين مشهد الحياتي اليومي، فضلا عن قيادته وتوجيهه.. واقع استطاع ان يحرق 70 في المائة من ابناء الشعب العراقي من عبودية الاقطاع، الذي بدأ العودة منذ انقلاب شباط الاسود حتى صار اكثر سطوة سياسية من عهد الملكية.. عاد بلباس جديد وبعربة جديدة تسمى (انتخابات برلمانية) وهي ذات الانتخابات التي كانت تجرى في العهد الملكي.

حقا كان رحيله المفاجئ صدمة لنا جميعاً: رفاقاً واصدقاء وجماهير عربية وكردية، ولقوى التحرر والتقدم عامة. اسم حزبه، حزب العمال والفلاحين وفقراء العراق جميعا، كان قد ارتفع عالياً مقترناً باسم الشهيد سلام عادل منذ اندلاع ثورة 14 تموز المجيدة. وبعد كارثة شباط الاسود عام 1963 عاد الشيوعيون في سبعينات القرن الماضي نجوماً غطت سماء العراق من شماله الى جنوبه، وكان اسمه يتألق بينهم. لكن غدر الفاشية عاد ثانية بأبشع صورته واخر السبعينات ليوزع طغيانه على كل شبر من ارض العراق: اعدم ونفى وهجر وابتعد كل من له علاقة بالشيوعية من خلال الملاحقات والاعتقالات وممارسة ابشع انواع التعذيب والقتل السافر. انه القائد والمناضل الوطني والاممي البارز عزيز محمد. في مطلع 1980 وصل ابو سعود الى عدن للقاء بكوادر الحزب وقواعده في عدن، ومع قادة الحزب الاشتراكي اليمني الشقيق، قادة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي كان قد وصل اليها مئات الشيوعيين والشيوعيات وعوائلهم. وقد كلفت انا ومدير تحرير جريدة "الثوري" وقتذاك الاخ ناجي بريك لزيارة الرفيق ابو سعود في محل اقامته للترحيب به نيابة عن هيئة تحرير الجريدة واجراء مقابلة صحفية للجريدة. كان حديث الرفيق عزيز محمد دقيقاً ومركزاً، بعيداً عن الخطابية والتنظير والتهويل، كان واقعيًا حد البساطة في قراءته للحاضر

في 2003 هل استطعنا ان نحقق اثرا بارزا في الواقع الاجتماعي العراقي شبيها بما حققناه سواء بعد ثورة 14 تموز المجيدة او في سبعينات القرن الماضي.

للانصاف نقول ان حجم العمل المنظم وحجم الجهد السياسي والفكري والثقافي المبذول خلال هذه الفترة يفوق اضعاف المرات ما بذل في السبعينات او ما بذل بعد ثورة 14 تموز. لكن الواقع العراقي الذي يشبهه الارض القاحلة يبتلع كل ما يلقي عليه من اسباب الحياة والنماء. إذ ان حجم الخراب الفكري والثقافي والتعليمي والاقتصادي الذي تعرض له العراق في هذه السنين لا يمكن تصوره. فقد واصلت وسائل التطور والتقدم ونقل المعرفة انهيارها منذ اواخر السبعينات، لا سيما بعد اندلاع الحروب الدامية والقتل الجماعي والموت المنظم الذي ما زال يفتك بالعراقيين جيلا بعد جيل صاحبه انهيار منظم ايضا للبنى التحتية بالكامل. واقع لم نجد له مثيلا اينما ادركنا ابصارنا. لا سيما وان النظام السياسي الذي استبدلنا به النظام الفاشي المباد هو نظام تحاصص طائفي وزع الغنائم التي هي ملكية عامة الى اقربائه ومناصريه، وترك الدولة فقيرة عزلاء تستجدي قوتها من دول اخرى. نظام اعتمد على القوانين السابقة في ادارة شؤون الدولة ولم يطبق من القوانين الجديدة سوى ما يضمن له السلطة والمال والنفوذ.

وهل يعقل ان بغداد التي تشكل وطنا في محافظة لم يرمم فيها شارع واحد، وان نسبة الامية بين شبابها تبلغ 25 في المائة وانها وهي عاصمة الدنيا قبل مئات السنين تصبح اليوم غير صالحة للعيش البشري حسب التقييمات الدولية؟

ملاحظة اجريت المقابلة مطلع عام 1980 - عدن.

اما الفترة الثانية فهي فترة السبعينات التي لم تستنفد سنواتها الخمس. فقد اربعبت البعث الحاكم رغم ان الشيوعيين يعملون معهم في (جبهة وطنية) اذ ان هذه الفترة القصيرة تميزت بتمدد الحزب في ارجاء العراق بشكل اخاف البعثيين. كما ان العراق لم يشهد في تاريخه الحديث طفرة ثقافية ثانية بعد طفرة الخمسينات، كالطفرة الثقافية التي حصلت ايام تصدي الشيوعيين للواقع الثقافي الذي تصدرته "الفكر الجديد" و"طريق الشعب" و"الثقافة الجديدة" وما كان يصور من الكتب العلمية والفلسفية والفكرية والروايات ودواوين الشعر (الفصح والشعبي) وتنوع المجالات وتعددها.. وكان ما يجري على الارض مصحوبا بحركة نقدية تنظيرية، نراه يتحرك على صفحات هذه المطبوعات من خلال الشعر، والشعر الشعبي، والمسرح، والفن التشكيلي، والموسيقى، والتلحين والغناء، والفكر والفلسفة، والعلوم والندوات والمحاضرات والمنافسة الشديدة في القراءات والكتابة والنشر وتداول المطبوعات في التجمعات والمقاهي وحتى في اماكن العمل، وتشجيع التعليم وملاحقة الامية في ملاذاتها الامنة في الاهوار والارياف والقرى البعيدة وحتى في اماكن البدو الرحل.

هذا بعض ما قاله لنا الرفيق عزيز محمد في ذلك الحين.

اذن مرت في تاريخ الحزب فترتان علنيتان (رغم المضايقات) لم تتجاوز أية منهما الخمس سنوات، عمل الحزب في اجوائهما تحت سماء صافية، وكان الحزب يتصدر مشهد النضال السياسي والابداع الفكري والثقافي العام..

ولكن اليوم لو سالنا انفسنا بعد مرور اربعة عشر عاما، ونحن نعمل في العلن بعد التغيير

عزيز محمد !

اسحاق يعقوب الشيخ

ونعود بها إلى الوطن ونوزعها على آخرين منا وكان البعض منا يُعيد كتابتها بخط يده ويقوم بتوزيعها (!) واحسب ان الافكار في تطواف منازلها في الحياة بين الناس ولا مصدات تستطيع ان توقفها: فمن الفكر إلى المادة ومن المادة إلى الفكر عفواً: فمن المادة أولاً ثم إلى الفكر ومن الفكر ثانياً إلى المادة ذلك ما يحسب في الحياة وذلك ما أدى إلى ضجة في صفوف الفلاسفة في التاريخ وحتى يومنا هذا (!).

وبعد أعوام طالت وأحداث تنامت أتلقى سيرته بعد رحيله واعجب لهذا العراقي الجميل الذي وضع كامل توجداته خبزا طريا شهياً في تنور الحياة من أجل انتصار الحقيقة... واحسب ان امانة ثقافية رائعة قام بها الدكتور سيف أرحيم القيسي في نشر السيرة الذاتية لعزیز محمد السكرتير السابق للحزب الشيوعي العراقي: فيما جسد المستحيل في الاصرار والاخلاص لوطن عراقي حر وشعب سعيد عند عزيز محمد وذلك في سيرته التي تشكل مدرسة نضالية تتجدد بها الاجيال الشابة التي تنخرط وطنياً في صفوف الحزب الشيوعي العراقي.

إن سيرة حياة عزيز محمد تشكل امتداد عزم وتضحية حياة وتفاقي إرادة وانكار ذات من اجل تحرير العراق من عبودية القهر والتخلف...

العزاء لأهل بيته ورفاق دربه ومحبيه ومُريديه وستبقى ذاكرته ملهم عزم واصرار للانسانية التقدمية في عراق الرافدين !.

الرجال في الدنيا محطات وهو من المحطات التي اذا مررت عليها لا تريد ان تفارقها وعندما تفارقها تتشكل وجدانياً في أحاسيس بصماتها الانسانية: ان سمعة العراق في مجد سمعة نضال شعبه وتتمجد هذه السمعة العراقية نضالاً متفانياً منذ الاربعينات وحتى اليوم في هذه القائمة التاريخية النضالية العظيمة: قامه الحزب الشيوعي العراقي متمثلة في رموز قاداته.. وكان المناضل الكبير (عزيز محمد) احد قاداته الذين ترحلوا الحياة توأ وتركوا بصمات ذاكرة تفاني نضالاتهم الوطنية في الحزب الشيوعي والشعب العراقي على حد سواء (!).

فالراحل الغد المميز كما عرفته في بساطة متواضعة ودودة واخلاقيات كريمة شديدة البعد في إمكانية تأثيرها وتراه في بصر وبصيرة تنم عن امكانياته الفذة في قيادة حزبه (...). وكنت المح الفرح يُزهر في الق عينيه وهو يلوي ذراعه على كتفي بمودة وعجب بهجة بشخص من اصقاع صحراء جزيرة العرب يحمل ذات الافكار التي يحملها (!) وكنت أحسُ بدفء روعي كاني في لحظات معرفتي به: كنت أعرفه منذ سنوات فآلمح تساؤلاً في عيونه فأقول له شأن فكري من شأن فكركم (...). ففي اوائل الخمسينيات كنا نذهب إلى البصرة.

وهناك تعرفنا على (جعفر الجزائري، ونوري الهواز) أتعرف احدا منهم اقول له: يهز كتفيه بالنفي وكنا نأخذ منهما اعدادا قديمة من نشرة الحزب وكنا نخفيها

وداعا عزيز محمد القائد والانسان

د. مهند البراك

على الفاشية، وكيف صارت مثالنا. في ظروف البلاد القاسية والاصعب فيها، ظروف الحزب المتخّن بالجراح اثر انقلاب شباط الاسود عام 1963، التي انتخب فيها سكرتيراً عاماً للحزب وكان يردد فيها انه الأقل تأهيلاً من بقية القياديين، الأمر الذي فسح المجال على مصراعيه لأعضاء القيادة من لعب ادوارهم في القرارات التي صدرت فتحمل الجميع مسؤوليتها بنجاحاتها واخفاقاتها تحت اسمه باعتباره السكرتير العام للحزب، الأمر الذي جعله يصرّح بعد سنين بأنه كسكرتير الحزب يتحمل مسؤولية الأخطاء والنواقص، التي (اعرفها والتي لا اعرفها)، على حد تعبيره.

ويجمع من عاش معه على ان هيبته الخاصة كانت واضحة بين المناضلين والقياديين البارزين آنذاك، في الظروف التي جمعت الجميع معاً كالسجون والفعاليات الواسعة او في الأنصار.. تلك الهيئة التي تعمّدت بالمواقف البطولية وحسن التصرف في المعتقلات، في مواجهة الظلم بابشع صورته حين يكون السجين بايدي جلادين مطلقي اليد بلا ضوابط.. وعكستها امثلة ذات دلالات رواها وسمعتها منه عن محاولات الهروب من سجن نقرة السلطان الرهيب، حين اشاع الداعين لها بين السجناء (بانها ستحقق الحرية والخلاص وانجاز احسن الاعمال والاحلام). ورغم مشروعية تلك الأفكار

خسر الحزب الشيوعي العراقي والكرديستاني والشعب العراقي بمكوناته بوفاة المناضل الوطني والامي البارز الرفيق عزيز محمد (ابو سعود)، مناضلاً باسلا عمل وضحيّ بحياته الثرة من اجل الجميع وصار مثلاً بارزاً في مسيرة ونضال شعبنا بعربه وكرده ومكوناته.. ومهما اختلف محللون في دوره وصحة مواقفه، إلا ان الدراسات الجادة والمعمقة لمسيرة وحياته شعبنا الشاقة، ستثبت مدى صواب نهجه وفكره ورؤاه في الفترة التي شغل بها موقع السكرتير العام للحزب الشيوعي والى وفاته، رغم نواقص واخطاء في المسيرة الشاقة الطويلة للحزب وللشعب..

ويؤكد سياسيون وخبراء سياسيون ومستقلون مطلعون، انه لا بد من التذكير بظروف المرحلة التي نشط فيها المناضل ابوسعود، حين امتلئت اجيالها بالحماس نحو مستقبل افضل في بلاد تستحقها، الظروف المليئة بالتحدي والامال بتحقيق الأهداف وقطافها الدانية، في عالم الحرب الباردة بين عملاقين، عالم النضال العنيد من اجل الحقوق والعدالة الاجتماعية، الظروف التي قال عنها ابوسعود والى الأخير، على من يريد معرفتها ان يقرأ كتب : 10 أيام هزت العالم، كيف سقينا الفولاذ، المؤامرة الكبرى على روسيا، ليعرف كيف هزتنا ثورة اكتوبر الاشتراكية واداتها النضالية والانتصار

الا في الموقف من قضية الشعب، عاش اممي النزعة والفكر وانطلق في فكره من الواقع العراقي الحزين المعاش، تركت اصوله العائلية المعدمة تأثيراً واضحاً في طبعه المتسامح الكريم وعنايته بزوجته المناضلة الباسلة المربية ام فينك وبناته وابنه.. وعاش كأبي انسان له امزجته وعوالمه الشخصية وانواع معاناته.. فيما قد يكون من الصعب اعطاء تصور متكامل لشخصيته المتعددة الجوانب والمواهب السياسية .

تعرفت عليه شخصياً في ربيع 1973 يوم زارني الرفيق ابوسعود بنفسه في غرفة الطلبة في بناية "طريق الشعب" في عمارة الطحان، لمتابعة قضية حساسة لاعلاقة لها بتنظيم الطلبة كنت اتابعها مع رفيق قيادي كان قد سافر.. واستمرت اللقاءات وتطورت وصارت عائلية وحميمة اكثر تجمعت على احاديث عن عوائل السجناء السياسيين وذكرياتهم عن سجنى نقرة السلمان وبعقوبة، عرفت من خلالها كثير من الحقائق التي لم اعرفها قبلاً عن مناضلين اشداء يتحدثون عن كيف حولوا السجون الى ساحات نضال حيّة بصلاتهم المتواصلة مع الشعب بمختلف فئاته وعبر الترانزستور وعبر الرسائل الملفوفة على احجار ترمى بمقلاع، مع العالم، ساحات مواجهة وصراع مباشر مع اقصى جلادي الشعب.. ومعاهد علم ومعارف.

و عرفت فيها زيارات السجون للفقيدة والدتي ابنة رجل الدين الكبير رفقة والدي ورفقتنا نحن الصغار الى الشاب ابن عمي الذي اسشهد لاحقاً، الصحفي اللامع عدنان البراك، زيارات خزنت عنها ذاكرتي صوراً متفرقة، وعرفت فيها

والأحلام لشباب عُزلوا عن الحياة بالقوة في معتقل صحراوي ناء، فإن دعوته وهو المحكوم مؤبداً الى النقاش على الأقل والتعقل، في ظروف لم يتوفر فيها من ينتظر الهاربين ولا اين سيختبأون ولا كيف؟؟ دعوته تلك انقذت الجميع وخاصة الشباب الذين كانوا ينتظرون اشهراً فقط لإنهاء محكومياتهم ، فيما ضاع اثر من اصّر على الهروب في رمال تلك الصحراء المترامية الوحشية.

وامثلة عن نشرهم اضراب سجناء سجن بغداد المركزي عن الطعام بالقيام بمخالفات ليعاقبوا بابعادهم الى سجن نقرة السلمان لنشر اخبار الاضراب لیتضامن السجناء في النقرة مع سجناء سجن بغداد.. اضافة الى اعتراض اللجنة الحزبية لسجن بغداد التي كان مسؤولها على (ميثاق باسم - بهاء -) سكرتير الحزب آنذاك، الذي سمعته منه اثر سؤال له في السنوات الأخيرة.

لقد هاجمه من هاجمه حتى في رحيله وكأنه هو الذي كان كل شيء في الحزب، وليس حزباً ضمّ هينأت ولجان قيادية ودونها والآلاف من النشطاء والاعضاء واضعافهم من واثق الأصدقاء.. هاجموه ناسين ان الماركسية موقف شخصي وذاتي من الحياة وظروفها وصرورها لآلاف مؤلفة من اوسع اوساط الشعب الفقيرة ورجال علم وادب وثقافة وفن، وان الإنتماء للحزب هو قرار فردي حرّ، في ظروف اعتمد فهمها على كيفية فهم ماهية النجاحات التي يمكن ان يحققها حزب شيوعي في بلاد عاشت وتعيش الظلم وحكم الحديد والنار والتجهيل، كبلادنا .

عاش زاهداً ذا طبع بسيط ومتواضع

عمق الصداقة التي جمعت بينهما منذ
الاربعينات.

وتعرّفت من شتى الأحاديث تلك عن
حقائق اوسع لأحداث سياسية وحزبية
هزّت البلاد والحركة السياسية والحزب،
رغم الحدود الصارمة التي تقيد بها
الرفيق ابوسعود دائماً، بأن لا يذيع سراً
دفيئاً لمناضلين ابطال تفرقت طرقهم
وعادت فالتحمت، او اختاروا طرقاً اخرى
وبقوا في خنادق النضال من اجل الحرية
والسعادة للشعب.. الحدود التي بقي
ملتزماً بها الى رحيله حيث التقينا قبل
شهر من ذلك الرحيل..

وفيما تحدّث مرة عن معاناته في الحياة
السرية، مما واجه في الاربعينات كطريقة
حين توجب عليه التسوّق لبيت المطبعة
حين نفذ الطعام، في محلة بغدادية ندر
تواجد كرد فيها وغلب التشدد على
ساكني البيت بعدم جلب الانتباه لوجود
غرباء لإشتداد هجمة بوليسية، وكان
لايجيد العربية. حين خاطب القصاب
بلغة عربية فصحي : صباح الخير ايها
القصاب ! وفتح القصاب عينيه سائلاً
: يالحم تريد تشتري ابني ؟ اجابه بعد
تفكير : لحم رز ! فقال القصاب محدّقاً:

يبين الأخ فلسطيني مو؟؟ ومرّت بسلام.
تحدّث عن صديقه الاقرب الاكبر
سنّاً الذي كان يتعلم منه في السياسة
والاقتصاد واللغة عضو المكتب السياسي
الساكن بنفس البيت في الاربعينات، الذي
جمّد والرفيق عزيز لم يكن يدري، فحامت
شكوك حوله وعوقب حزبياً لإستمرار
تواصله معه.. وعن سنوات اواخر
الستينات في بغداد بعيداً عن العائلة
المحاربة التي ضمت زوجته ووالدته
واطفاله الثلاثة، وهو ساكن في بيت حزبي

سريّ قريباً منهم متحرّقاً لهم ولايستطيع
ان يلتقيهم..

وفيما كان ضد المظاهر الفارغة التي
لاتعني شيئاً على المحك يستشهد بمثال
مسؤول خلية في اربيل سمى نفسه هه
لو (النسر) وربى شارباً ستالينياً وحمل
مسبحة حمراء بخرز كبير، الا انه افشى
كل اسراره بضرية كف واحدة، فيما صمد
رفيق ناحل رقيق العود ولم يحصلوا منه
على كلمة!

فانه دعى الى تفهم الضعف الانساني وان
الانسان يمكن ان يبني نفسه مجدداً..
ففيما كان يشيد بالبطولات في المعتقلات
وفي معارك الانصار ومعارك الشوارع،
كان يتألم لمعاناة من ضعفوا امام آلات
القمع والتعذيب الرهيب، وكان يعلّق
بانهم أخرجوا من صفوف النضال بالقمع
والإكراه وليس عن قناعة وفكر اختلف،
الأمر الذي كان يعكسه في لقاءاته الأهمية..
ودعى الأنصار الى احترام ابطال العمل
السري، حيث بطولات اليبشمركة ليست
افضل من بطولات العمل السري ولكل
نشاط له بطولاته وابطاله..

كان كل لقاء عمل مع الرفيق ابو سعود
او لقاء اجتماعي عائلي، يحمل معنى
وحكمة وتجربة.. عكس فيها الرفيق
اهمية القراءة وزيادة الاطلاع والمعرفة
لكل من قرر خوض " النضال من اجل
قضيتنا الوطنية " كما كان يردد والى
الأخير، وقد عرف عنه كونه قارئاً نهماً
للكتب والروايات الجادة المتنوعة، شهد
على ذلك محل جلوسه في بيته المتواضع
الأخير المحاط بكتب السياسة والأدب
باللغتين العربية والكردية، تحت ضوء
اللمبة المنضدية العالية المثبتة يدويّاً
خلفه، وتحت صورة لها تاريخ لمجموعة

شباب في سن العشرين امام مكتبة (شيخه شه ل) في اربيل في الاربيعينات، التي كانت مركز تجمع الشباب الشيوعي واليساري، وبدا في الصورة بينهم الشاب الأثيق عزيز محمد.

من جانب آخر، ورغم اهمية النشاط العلني للحزب وتحقيقه التلاقي مع الجماهير الشعبية، وهو نادر في العراق، وللحقيقة لايد من القول وبعد عقود على مئات الشهداء والآلام والدماء التي سالت بسبب الجبهة المشؤومة مع البعث، لم المس من احاديث ابو سعود بيننا حماسا للجبهة حينها اكثر من التزامه بواجبه الحزبي تجاه قضية قررها الحزب، بل كان يثير الحذر من البعث في مواقف عديدة.. خاصة وانه اثار الإنتباه في كلمته عند التوقيع عليها، بأن التوقيع ليس الا النصف السهل وان الأهم هو النصف الأصعب وكيف سنطبق، و اشار الى انه عندما يتوقف المرء عن طموحاته، لن يعد ثوريا.. في تأكيد على التمسك باستقلالية وديمومة الحزب وقرارته..

واضافة الى مسؤولية وجريمة البعث الكبرى في تحطيم الجبهة بالتعذيب والإغتيالات، فإن اعضاء الحزب يحملون قيادتهم بكل اعضائها كلاً بدرجة موقعه مسؤولية الثغرات والأخطاء في التعامل مع البعث، ويحملون آليات النظام الحزبي الداخلي الجامد آنذاك، الذي ضيَع الهيئات المسؤولة الوسطى بين واجبها في عكس مطالب الجماهير والهيئات القاعدية الى الاعلى والضغط على الأعلى من اجل تغيير السياسة، وبين تنفيذ اوامر المافوق فقط !!
اتذكر جيداً الم وانفعال ابو سعود في حدود عام 1975 على رد فعل البعث

على احتجاج الحزب واستنكاره لقتل الجلادين اكثر من ثلاثين سجيناً سياسياً من شيوعيين سابقين ويساريين متنوعين وقوميين تحرريين كرد، قتلهم بالفؤوس وامرار مئات المعتقلين السياسيين لرؤية اكوام اجسامهم المقطعة الطاهرة، حين اجاب المجرم صدام ب (اننا نبحت عن عقوبة اقوى من الموت (1) ولانصنع لأعداءنا شهداء).

وتحذيره الدائم من كلام صدام في لقاءات الجبهة آنذاك القائل ب (اننا نطمح ان نتفاعل وتكون كياناً واحداً) وسط انواع الضغوط على اعضاء واصدقاء الحزب، وشدة حذره من محاولة البعث احتضان الشيوعي اللبناني في سنوات الحرب الأهلية اللبنانية ومن حضور كوادره المتواصل الى بغداد، وحرص على تنبيههم باستمرار. اضافة الى حديثه الدائم بما كان يقوله الشهيد عادل سليم في لجان الجبهة احتجاجاً متواصل، عما كان يجري في كردستان من اعدامات وتهجير وحرق قرى وانتهاكات فضيعة واعتقالات ..

وحذره الدائم عند سياقة سيارته وكان غالباً لوحده رغم تحذيرات رفاقه له، وكان قد انتهى خروجه مع عائلته كأبي أب للتنزه مع زوجته وبناته بعد غيابه الطويل عنهم، لكثرة وتواصل ملاحقات رجال الأمن الخاص له وهم معه، صائحين من خلفه (ها؟؟؟ طلعتوا من جحوركم المظلمة؟؟)، (والله نربيكم ونرجعكم للجحور اذا بقيتوا احياء)، وكان يعيش مع عائلته كأبي ملاحق ومرصود من اجهزة الأمن، بعد ان اسكنوا عدداً من رجال الأمن مع عوائلهم في شارعهم السكني.. وغير ذلك الكثير من الدلائل على عدم ارتياح سلطة البعث له

وتحديدها لتحركاته، وكان يردد ابيات الجواهري الخالد بادئاً بـ (سلامٌ على جاعلين الحتوف جسرا للوكب العابر)، في كل منعطف حرج. (2)

في وقت كان فيه عدد من قياديين متنفذين في الحزب عائشين اعراساً ومتحمسين فعلاً للجبهة مع البعث حتى طرح بعضهم امكانية (ان نكون كياناً واحداً وحزباً واحداً!!) على حد تعبيرهم، وكتبوا في الصحف ونشروا كراريس بتلك الإتجاهات، وبيّنت السنوات اللاحقة وكشفت مواقفهم الحقيقية وسط تخرصاتهم وتهماتهم على ابوسعود، وكأنه هو الذي كان السبب!!

وتبقى هناك اسئلة مفتوحة في قضية الجبهة تلك، وللوقوف على ذلك يتطلب بحثاً خاصاً مطولاً، هل قامت الجبهة بشروط البعث - رغم تعديل وتخبئة قسم منها لغوياً -، هل قامت بسبب ضغوط الأنظمة الإشتراكية على الحزب بعد توقيع معاهدة الصداقة العراقية السوفيتية وانفتاح سلطة البعث بشكل غير مسبوق على الدول الإشتراكية، لمحاولة البعث الاستفادة من المعسكرين العالميين؟؟ ام هل بسبب الأفتراق المؤسف للطرق مع الحركة القومية الكردية وتوازنات المنطقة؟؟ وغيرها.

من جانب آخر، يكاد يجمع القريبون منه على ان الشغل الشاغل لأبو سعود وسط انواع التيارات المتلاطمة، كان سعيه لإحراز اي تقدم لشعبنا بمكوناته واحراز أي تقدم للحزب الشيوعي ودعوته للأمن والديمقراطية الحقبة والتقدم الاجتماعي للبلاد، سواء من خلال نشاطه لتقريب وجهات نظر متنوعة كانت تسود الحزب والأطراف الوطنية، وصفت تارة

باليسارية واخرى باليمينية.. ولا انسى فرحه الغامر لنجاح الجهود لمساعدة ووصول الشاعر الكبير مظفر النواب الى الشام آنذاك.

رغم انواع ماتعروض له الفقيد من اوساط حزبية قيادية - آنذاك - متصارعة، خرج عدد منها عن اللياقة السياسية والأدب وارتمى عدد من موجهيها في دروب الخيانة، وكشف عدد من قياديين سابقين عن عجزهم في اتخاذ القرارات في المواقف الصعبة، حين لم يبدو رأياً او انتظروا رأيه هو ليؤيدوه ثم هاجموه، وآخرون التزموا الصمت حينها، وبعض آخر اجهش بالبكاء لعجزه، كما بيّنت انواع الأحاديث والمذكرات واليوميات التي نشرت بعد ان مرّ الزمان على الأحداث..

ولم يبرز اسم المناضل الراحل على الصعيد اليساري والكردستاني والوطني، الذي لايتسع المجال هنا للخوض فيه بتفاصيله، بل برز عالياً على صعيد اليسار العربي، تجلّى ذلك في الدور الذي لعبه الحزب آنذاك بشخصه في المساعدة على حل الخلافات في اليسار السوري والمصري وبرز في مساعي توحيد جهود اليسار في جمهورية اليمن الديمقراطية.. وكان من المحذرين من الركود الذي بدأ يخيم على سياسات الأحزاب الإشتراكية الحاكمة في تلك الفترة، ومن المشجعين على الإصلاح، وكم كان فرحه كبيراً بإعادة الإعتبار للقائد العسكري السوفيتي الكبير جوكوف قائد الجبهة السوفيتية التي حطمت النازية في الذكرى الستين لثورة اكتوبر الإشتراكية العظمى، بعد ان حكمت عليه اجهزة ستالين بالإقامة الإجبارية وبتجريدته من استحقاقاته في اواخر عهد ستالين .

اجتاحت العالم ودوله وبنائه، لم يفقد ابو سعود الأمل واستمر يبشر به الى الاخير.. وبقي مؤمناً بعدالة القضية التي اوقف لها حياته، وبحق الكادحين في حياة حرة كريمة اسعد بلا تمييز قومي او ديني او طائفي، وابقى بابه مفتوحا لكل من طلب منه رأي او مشورة، واستمر بالنشاط من اجل لم الشيوعيين ووحدتهم ووحدة القوى الوطنية العراقية.

بعد ان تخلى عن المسؤولية القيادية املاً بضخ دماء جديدة تستطيع مواجهة والتفاعل مع مايجري، لمواصلة تجديد الحزب واعادة بنائه وتحديث أساليبه ومن اجل كل ما يجعل منه قوة فاعلة لبناء عراق ديمقراطي ومن اجل تحقيق مكاسب على طريق العدالة الاجتماعية.

الى المجد الخالد عزيز محمد.. وتبقى كلماتك ترن في الذاكرة " هناك مشاعر بعيدة عن اللمس والرؤيا، فإما ان تتحول الى رماد او يتحول بها المناضل الى إنسان متألق " !

و فيما كان يحذر من تحوّل الأنظمة الإشتراكية الى بيروقراطية اوامرية ان لم ينتبهوا لأهمية الإصلاح الجذري لوضع حد لتسخير الإنسان وكأنه آلة صماء كما جرى في العرض العسكري لإعلان جمهورية المانيا الديمقراطية اواسط السبعينات، حين كان الجنود يستعرضون بدقة شبه خيالية وكان القادة الإشتراكيون الألمان فرحين بذلك، كان الفقيه يتساءل من القادة الألمان : كأنهم لم يعودوا بشراً؟؟ يعني الاتوجد حركة يد انسانية بالغلط او تأخر جندي في السير عن رفيقه؟؟ انه مؤلم !!

و حذر من اسلوب تنفيذ وتطبيق البريسترويكا في الاتحاد السوفياتي الذي يمكن ان يؤدي الى تخريب وتحطيم الدولة السوفيتية لتزايد نشاط الغرب المالي والعسكري وتزايد نشاط الصهيونية العالمية والمنظمات العنصرية في الجمهوريات السوفيتية، وكان يطرح ذلك في اللقاءات بين الأحزاب الشقيقة آنذاك . و اليوم وبعد التغييرات العاصفة التي

"1

"2

رحيل القائد الشيوعي عزيز محمد

باقر الفضلي

على الصعيد الوطني، وكانت شخصيته، تمثل رمزاً لحقيقة ما تمثله شخصية المواطن العراقي، ذلك النسيج المتجانس للوطن العراقي، بمكوناته المختلفة، وطيلة العمر المديد الذي أمضاه في كنف الحزب وقيادته، لم تسجل بشأنه ما يفهم من إنحياز أو إستقطاب ينحرف فيه أو إتجاه لميل إثنى أو مذهبي، بقدر ما كان يتميز به من إنسجام عراقي خالص، سواء على الصعيد الإثني القومي، أو الإنحياز المذهبي، فقد كان عزيز محمد "أبو سعود" نعم المواطن العراقي الأصيل، الذي تمثل فيه الإنسجام العراقي العام، وهي من المواصفات الفريدة لقائد حزبي بمستوى الحزب الشيوعي العراقي، ذلك الحزب الذي إتسم بأهميته المشهودة على المستوى الأممي، وتاريخه الطويل كقائد لذلك الحزب، يعبر عن حقيقة المسيرة المفعمة بالنضالات والثبات الدائب على الصعيد الوطني والأممي؛ ومن هنا فإن رحيل الرفيق الخالد عزيز محمد، يمتلك أهميته التاريخية بالنسبة لحركة التحرر الوطني والقومي في المنطقة والعالم!!

المجد والخلود للراحل الرفيق العزيز عزيز محمد، ابي سعود!!

ومشاركة عائلته الكريمة مصابها الأليم، ولرفاقه في قيادة الحزب، ولكافة الشيوعيين العراقيين وأصدقائهم الصبر والسلوان!!

في الأول من حزيران الحالي، نعى الحزب الشيوعي العراقي القائد الشيوعي الرفيق عزيز محمد عن عمر ناهز الثالثة والتسعين، وكان لنبأ رحيل الرفيق المناضل عزيز محمد، وقع مؤلم في نفوس الشيوعيين العراقيين، وأصدقاء ومعارف الحزب الشيوعي العراقي!! فالقائد الشيوعي العراقي عزيز محمد، أبو سعود شخصية عراقية وطنية معروفة في جميع المحافل والأوساط العراقية السياسية والثقافية والاجتماعية، وكان رمزاً شامخاً على الصعيد الوطني، ومن القادة المعروفين على صعيد العالم العربي والأممي، فقلما هناك من لا يعرف عزيز محمد، أو يتعرف عليه، سواء في الحياة السياسية، أو في غياهب المعتقلات، مثل معتقل "نقرة السلامان" أو أثناء الحياة السياسية، في مقر الحزب في بغداد، أو موقع جريدة الحزب "إتحاد الشعب" أو الفكر الجديد " وطريق الشعب"، وفي ربوع كردستان، أو في أوساط حركة الإنصار الشيوعيين، التي كان إسهامها ملحوظاً في معمعان النضال ضد الدكتاتورية!!

كان الرفيق عزيز محمد من القادة الشيوعيين الذين إمتازوا بالبساطة والشعبية، وكان لصدى إسمه، ما يعكس حقيقة وجود الحزب الشيوعي العراقي،

تمهل أبا سعود . . تمهل

ناصر حسين

الازمات والصراعات التي مرّ بها البلد منذ سقوط نظام الطاغية وحتى اللحظة الحاضرة.

تمهل ابا سعود تمهل، لترى بعينك كيف يتساقط رموز الفساد المالي والاداري مفسدو جهاز الدولة ونظام الحكم، سرّاق المال العام بأيدي رجال القضاء العراقي الشرفاء ليعتثوا بهم الى المستقر الذي يستحقونه - السجن ومزبلة التاريخ- ويستعيدون منهم كل ما سرقوه من ثروات الشعب العراقي، وسيرون بأنفسهم ان لا عاصم يعصمهم من قبضة القضاء العراقي والانتربول الدولي، لا جوازات السفر الاجنبية التي يحملونها في جيوبهم ولا أية حماية لا داخلية ولا دولية.

تمهل ابا سعود تمهل، لترى شعبك يشمر الساعدين ويبنى لنفسه دولة مدنية ديمقراطية اتحادية وفق دستور ديمقراطي، وقيم العدالة الاجتماعية الحقيقية وليس الشكلية في ربوع الرافدين.

سنفتقدك يا ابا سعود، فما زلت اذكر جيدا يوم افتتحنا مقرا لحزبنا في مدينة الحلة عام 1973 أي حالة وجوم سيطرت علينا، لأن ابا قيود لم يكن بيننا ذلك اليوم فقد غيبته عنا وبالرغم منا الاجهزة القمعية للمقبورين ناظم كزار وصادم حسين.

تمهل ابا سعود، وان كان منطق الحياة له

تمهل رفيقنا الغالي فما حان وقت الرحيل بعد.

تمهل لتشاركنا فرحنا وابتهاجنا واعراسنا التي سنقيمها في طول البلاد وعرضها ونحن نعلن للعالم اجمع نصرنا على قوى الظلام والفاشية وطرد زمر داعش الارهابية من ام الربيعين وتحرير الحويجة وعنه والقائم من رجسهم، شاكرين للجميع ما قدموه لنا من مساعدة ممجدين ما قدمناه من شباب بعمر الورود شهداء، طلقوا مباحج الحياة وتصدوا ببطولة للزمر الداعشية التي تجمعت علينا من اكثر من ثمانين دولة.

تمهل رفيقنا الغالي فالطموح الذي اشرت اليه وانت توقع في السابع عشر من تموز 1973 وثيقة التحالف وتعلن امام الجميع بأننا ندخل هذا التحالف "لجنب شعبنا" المزيد من التضحيات والمزيد من الدماء والمزيد من الآلام، فالطموح باق يا ابا سعود، مازال في البلد مستغلون ومستغلون، مازال في البلد انسان يستغل اخاه الانسان.

تمهل ابا سعود لترى كيف سيتغلب شعبك بصموده وتصميمه واصراره على نهج المحاصصة الطائفية العرقية الذي فرضه علينا المستر بريمر والذي فرضته علينا الحياة وقرار مجلس الأمن الذي شرعن الاحتلال وكلفه بإدارة الشأن العراقي لمدة عام كامل قابل للتجديد، والذي شكل اس البلاء ومصدر جميع

منحى آخر فهذا الشاعر الزهاوي يخاطب ابنة الشاعر عبد المحسن الكاظمي التي اخذت تبكي اباها عندما رحل عن الدنيا في القاهرة بعيدا عن شعبه ووطنه :
رباب صبرا فالحياة فريسة والموت ذئب
ان سطى لا ينتني

صباح اليوم الاول من حزيران ولم اكن قد اطلعت على نعي الحزب له على صفحات (طريق الشعب) أخبرني سائق سيارة تاكسي عن وفاة الرفيق ابو سعود - عزيز محمد - الذي ارتبط اسمه بالحزب الشيوعي العراقي واصبح جزءا يحكي تاريخه منذ اربعينيات القرن الماضي.

ولد الرفيق عزيز محمد في قرية من قرى كردستان العراق ابناً للأمة الكردية التي جزأتها الاطماع الاستعمارية البغيضة مثلما جزأت الأمة العربية اتفاقيات سايكس بيكو السرية حالها حال فلسطين التي جزأها قرار مجلس الامن الدولي عام 1947.

وهو ابن العشرين التحق بإحدى الكتل الحزبية التي جعلتها ظروف معينة ان تكون خارج الإطار التنظيمي للحزب الشيوعي العراقي الذي كان آنذاك يخطو اولى خطواته التنظيمية لإعادة بناء الحزب التي تصدرها الشهيد الخالد "فهد" بعد عودته من موسكو اوائل عام 1938 حيث عقد الكونغرس الاول للحزب عام 1944 والذي اقر الميثاق الوطني للحزب وتم عقد المؤتمر الاول للحزب في آذار 1945 وأقر النظام الداخلي فاتفقت جميع تلك الكتل على حل نفسها وجعلت مسألة الألتحاق بصوف الحزب متروكة لأعضائها ليقرر كل منهم موقفه بنفسه، وقد اختار الرفيق عزيز محمد الانتساب للحزب حاله حال

الكثيرين من مدنيين وعسكريين كالشهيد مهدي حميد والضابط الوطني المعروف عائد كاظم العوادي وحمزة سلمان ونافع يونس وعمر الياس وغيرهم.
واخر عام 1948 اوائل عام 1949 وجهت الاجهزة القمعية للنظام الملكي ضربتها الانتقامية للحزب الذي تصدر رفاقه وثبة كانون الثاني عام 1948 التي اطاحت بحكومة صالح جبر ومعاهدة بورتسموث قبل ان ترى النور، فاحتاجت جهود الحزب لاعادة بناء منظمة العاصمة وهي مركز الحركة الثورية في العراق ان ينتقل الرفيق عزيز محمد من كردستان الى بغداد ليقوم هو ووالده في احد البيوت الحزبية.

حدثتني ذات يوم الرفيقة الراحلة زكية خليفة كيف تحدثت صحف النظام الملكي بأرتياح عندما استطاعت اجهزتهم الامنية كبس ذلك البيت واعتقال الرفيق عزيز الذي تحدثوا ويانبهار عن شبابه وجمالية طلعتة وشياكته التي لم تفارقه طيلة حياته.

عندما أصدر سكرتير اللجنة المركزية بهاء الدين نوري ميثاقا جديدا للحزب وبأسمه الحزبي - ميثاق باسم - ليكون بديلا عن الميثاق الوطني الذي اعده الشهيد فهد وأقره الكونغرس الاول للحزب عام 1944 كان الرفيق عزيز محمد سجيناً ولم يرضه ذلك التصرف من بهاء الدين نوري كتصرف فردي يتعارض مع جماعية العمل وبين مفرداته - ميثاق باسم - توجهات متياسرة تتجاوز مرحلة التحرر الوطني التي كان العراق يعيشها، وكانت المهمة الاساسية الاولى للنضال آنذاك تتمثل في التخلص من السيطرة الاستعمارية

لأستمرارها بعد التطورات العميقة في عمل الحزب سياسيا وتنظيميا. فكان ان التقى في قرية الجدية في ناحية العباسية القريبة من مدينة الكوفة وفي بيت الرفيق الراحل عبد الامير مظلوم وفدان يمثلان الحزب و"راية الشغيلة". مثل الحزب الشهيد سلام عادل ومثل "راية الشغيلة" الرفيق الراحل حسين سلطان صبي، وحلت "راية الشغيلة" وتوحد الحزب وعقد الكونغرس الحزبي الثاني عام 1956 والحزب موحد الصفوف وانتخبت لجنة مركزية جديدة للحزب ضمت السكرتير الشهيد سلام عادل والشهيد جمال الحيدري لعضوية المكتب السياسي وصدرت الجريدة البديل (اتحاد الشعب).

وانتصرت ارادة الشعب بقيام ثورة الرابع عشر من تموز 1958 واطلق سراح السجناء والمعتقلين السياسيين، والتحق العديد من قادة الحزب الذين كانوا سجناء او مبعدين في بكرة بعضوية اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب، وكان ان اصبح الرفيق عزيز محمد عضوا في المكتب السياسي ومسؤولا عن التنظيم العسكري. واتذكر جيدا ان انقلابي شباط 1963 كانوا يكثرون من نداءاتهم لزم الحرس القومي التي تتصلون وتجوّل في الشوارع والطرق تدعوها الى القبض على الرفيق عزيز محمد، وقد كانت صحفهم تنشر اوامر القبض الصادرة في حقه معززة بصور مختلفة له.

آنذاك انسحب الرفيق عزيز محمد الى كردستان ليشكل هو والرفيق عمر علي الشيخ مركزاً قيادياً للحزب على نطاق كردستان ليضاف الى المراكز الحزبية

غير المباشرة على العراق ونيل السيادة والاستقلال الوطني التامين وبتجاهل تام للحديث الشهير للشهيد فهد مع عبد الله مسعود القريني عندما قال له: (وان كنا شيوعيين لكننا لا ندعو للشيوعية فنحن لا يمكننا في يد التاريخ).

الرفيق عزيز دون وجهة نظره وكان يؤدي بذلك واجبه الحزبي في ان يساهم في رسم سياسة الحزب... الا ان الفردية في العمل والبيروقراطية في السلوك كان لهما الدور البارز في الوقوف بحدّة تجاه وجهات النظر تلك، سواء التي طرحها عزيز محمد او الشهيد جمال الحيدري او الشهيد حمزه سلمان او الشهيد حسن عوينه، مما تسبب في تشكيل راية الشغيلة واصدار جريدة بنفس الاسم وأن يكون في الساحة السياسية حزب شيوعي لسان حاله جريدة القاعدة وتنظيم شيوعي بأسم راية الشغيلة ولسان حاله جريدة راية الشغيلة.

عام 1955 وبعد عودة الشهيد سلام عادل من لندن حيث حضر اجتماع الاحزاب الشيوعية لبلدان الكومنولث واجتماع اللجنة المركزية للحزب واعفاء حميد عثمان من موقع السكرتير الذي تبوأه بعد هروبه عام 1954 من سجن بعقوبة على ضوء محاسبته عن تصرفاته المتشنجة تجاه الاطراف السياسية الأخرى واصداره ميثاقا جديدا للحزب اسماه (اطلاقات آيار) وانتخاب الشهيد سلام عادل سكرتيرا للجنة المركزية للحزب، وضعت نفسها مسألة وحدة الحزب على بساط البحث باعتبارها المهمة التنظيمية الاولى. كان الطرفان - الحزب و "راية الشغيلة" - يحسان بمدى ثقل تلك الحال على عمل الحزب وإنها حالة لا مبرر

طاقة حزبية مهما صغرت، وكان حريصاً أيضاً على الاستماع إلى آراء الرفاق ووجهات نظرهم. ولهذا نجده عندما قررت اللجنة المركزية للحزب في اجتماع نيسان 1965 إدانة خط أب باعتباره ((سياسة يمينية ذيلية)) طلب من الرفاق تدوين ما لديهم من وجهات نظر بخصوص خط أب ومسبباته، وعن سياسة الحزب بشكل عام، وما أن دخلنا العام 1966 حتى أصبحت بين يدي الكادر الحزبي وثيقتا تقييم لسياسة الحزب في تلك الفترة إحداهما معدة من قبل عامر وبهاء، والأخرى معدة من قبل زكي وعزيز الحاج. وعندما اجتمعت اللجنة المركزية في شباط 1967 وأطلعت على ما قدمت شبكة الكادر الحزبي من ملاحظات بخصوص الوثيقتين قررت أحالة الوثائق إلى المؤتمر الوطني للحزب، فهو صاحب القول الفصل في اقرار التقييم، وعليه تقرر تشكيل لجنة للاعداد للمؤتمر برئاسة عزيز الحاج، وحدد موعد المؤتمر في كانون الأول 1967 على أن تجتمع اللجنة المركزية في تموز لوضع اللمسات الأخيرة على التحضيرات للمؤتمر. ونتيجة للمحاولة الانقلابية للاستيلاء على قيادة الحزب التي تصدرها عزيز الحاج في أيلول 1967 استعيض عن المؤتمر بالكونفرانس الثالث وقد عقد المؤتمر فعلاً في آب - أيلول 1970 حيث أعادت اللجنة المركزية التي أنتخبها المؤتمر انتخاب الرفيق عزيز محمد سكرتيراً لها. تماماً مثلما فعلت اللجنة المركزية التي انتخبها الكونفرانس الثالث للحزب.

في تلك الفترة وحتى أواخر عام 1971 كانت منظمات الحزب تواجه حملة

الأخرى التي تشكلت في بغداد وفي الفرات وفي الخارج..

في العام 1964 غادر الى (براغ) لحضور اجتماع اللجنة المركزية للحزب، الاجتماع الذي اقر خط أب / 1964 وفي الاجتماع انتخب الرفيق (ابو سعود) لموقع السكرتير الاول للحزب. وبعد اشهر معدودات حضر مؤتمر الحزب الشيوعي الهندي. ومن الكلمة التي القاها امام المؤتمر والتي بثتها اذاعة الحزب استنتجنا في سجن الرمادي - أنا كنت آنذاك سجيناً في سجن الرمادي - ان قيادة الحزب تتهاياً لتصحيح خط الحزب السياسي الذي اقره اجتماع براغ، وهذا ما تم فعلاً حيث عقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعاً لها في نيسان 1965 وأصدرت بلاغاً دعت فيه الى اسقاط طغمة عارف يحيى الدكتاتورية الرجعية. وقد كان من بين قرارات اجتماع نيسان 1965 قرار بعودة كافة رفاق اللجنة المركزية للحزب الى داخل الوطن ليعيشوا بين ابناء شعبهم يتعرفوا تعرفاً مباشراً على هموم شعبهم ومزاجه، وكان طبيعياً ان يكون الرفيق عزيز محمد الذي لم يغادر الوطن عام 1963 بل توجه إلى جبال كردستان ليكون هناك قائداً انصارياً في قواعد البيشمركة الشيوعيين وقائداً سياسياً موجهاً لنشاط الشيوعيين العراقيين داخل الوطن وخارجه أول المبادرين للعودة إلى الوطن، وأن يرفض رفضاً قاطعاً الرسالة التي بعث بها اليه من موسكو عزيز الحاج علي حيدر المرشح لعضوية اللجنة المركزية آنذاك - والتي يطلب فيها استثناءه من القرار، وأصر على أن يعود إلى الوطن حاله حال الآخرين. وكان في حينه حريصاً على كل

الفسحة الزمنية المقررة للكلام لكل مندوب. ومن حرصه على تجميع كافة الطاقات لم يحذف اسمه من قائمة المرشحين لعضوية اللجنة المركزية المعدة للتصويت عليها وهو المشوش فكرياً، ذلك التشويش الذي شكل لاحقاً الجذر الفكري لموقفه من النظام الصدامي ومن الحزب.

عندما دخلت غرفة عمل الرفيق (أبو سليم) (الرفيق كريم أحمد- المحرر) في عام 1973 وجدت الرفيق عزيز أيضاً. ودار بيننا حديث حول مساهمة قيادة الحزب في حفل افتتاح مقر الديوانية وحسم الموقف الرفيق أبو سعود عندما طلب مني إبلاغ الرفاق في محلية الديوانية بحياته وان وفداً من قيادة الحزب سيحضر الحفل وقد حضر الوفد يوم حفل الافتتاح صباح اليوم المقرر ولم يغادرننا عائداً إلى بغداد إلا مساءً.

أواخر عام 1973 كان للرفاق الذين انتدبهم الحزب لتمثيل المنظمات الحزبية في لجان الجبهة في المحافظات لقاء موسع في مقر (الثقافة الجديدة) في بغداد، وكان قد حضر اللقاء العديد من قادة الحزب منهم الرفيقتان عزيز محمد ورحيم عجيبة.

وأ تذكر كيف رحب أجمل الترحيب بالرفيق هاشم جلاب الذي وقف وسط القاعة لحظة وصوله إلى الاجتماع ليقول معرفاً بنفسه (جئتم من الكوت، فانا رفيقكم هاشم جلاب) لم تكن نعلم أن اللجنة المركزية للحزب لديها اجتماع يعقد بعد انتهاء اللقاء. ولدى انتهائه بدأنا بمغادرة القاعة فأحاط بعض الرفاق بالدكتور رحيم ودخلوا معه في حديث مطول.

مطاردة شرسة من جانب امن الثنائي ناظم كزار - صدام حسين، ووصلت بهم الوقاحة حدّ مدهامة بيت الرفيق عزيز محمد والعبث بمحتوياته عام 1971 وعليه اضطرت اللجنة المركزية الى أن تتخذ قراراً بان يكون الرفيق عزيز محمد خارج بغداد، فقد اعدم لنا سكرتير للحزب عام 1949 واستشهد لنا تحت التعذيب الوحشي سكرتير للحزب عام 1963 لذا كان ينبغي حماية الرفيق عزيز محمد من إن تناله يد السلطات الأمنية البعثية وان يكون لنا سكرتير ثالث للحزب شهيداً أيضاً أمر صعب جداً. وما أن هدأت الأمور أواخر عام 1971 واضطر البعث لتغيير تكتيكية وأوعز إلى الأمن للتوقف عن مطاردة الشيوعيين حتى عاد الى بغداد ليكون قريباً من الأحداث المتسارعة أوائل السبعينات، داخلياً وعربياً..

في تلك الفترة أي ما بعد عام 1971 كان لنا الكثير من اللقاءات في مقر اللجنة المركزية للحزب فقد كانت قيادة الحزب تعقد وكحد أدنى ندوة سياسية أو فكرية في مقر اللجنة المركزية يتحدث فيها احد قادة الحزب أو علماء متخصصون في الفلسفة أو الاقتصاد السياسي من مختلف البلدان الاشتراكية.

في إحدى جلسات المؤتمر الثالث عام 1976 تحدث احد الرفاق وهو من القادة، لم يكن موفقاً في حديثه حيث اضطر الرفيق محمد حسن مبارك إلى إن يلتفت إلي ويقول (ما هذا التشوش ؟) فقلت له (كما تسمع يا أبا هشام).

الرفيق عزيز محمد وهو المسؤول الأول عن إدارة جلسات المؤتمر لم يقاطعه، لم يوقفه عن الكلام حتى عندما تجاوز

لاحظت وقتها ان الرفيق عزيز من خلال الحاح أحد الرفاق عليه حول موعد اجتماع اللجنة المركزية كان يستصعب قطع حديث الدكتور رحيم مع رفاق الحزب، وبقي منتظراً انتباهه هو الى موعده وإنهاء الحديث مع الرفاق.

عام 1974 كانت قد عقدت على قاعة نقابة المعلمين في المنصور ندوة علمية حول التحالف بين المنظومة الاشتراكية وحركة التحرر الوطني بمبادرة من مجلة الوقت وسكرتارية اللجنة العليا للجبهة استمرت جلساتها أربعة أيام كاملة وقد حضرت كافة جلساتها.

في إحدى فترات الاستراحة جمعتنا الصدفة الرفيق أبو سعود والرفيق علي يعته - سكرتير اللجنة المركزية لحزب التقدم والاشتراكية المغربي - هكذا كان يسمى الحزب الشيوعي المغربي - وأنا. لم ينطق الرفيق أبو سعود ولا كلمة واحدة عن عملنا نحن، كان متلهفاً ان يسمع من الرفيق علي يعته أنباءً سارة عن نضال الرفاق المغاربة وتطور الأوضاع في المغرب الشقيق.

وفي إحدى الجلسات توجه رئيس وفد حزب البعث في الندوة (وهو مازال على قيد الحياة يسكن احدى الدول الأوروبية يمتلك إحدى الفضائيات الناطقة باللغة العربية ويصدر جريدة يومية توزع في مختلف المدن العراقية)

توجه بسؤال محرج إلى الرفيق ممثل الحزب الشيوعي السوري الشقيق حول توقيع الحكومة السورية اتفاقية فصل القوات مع إسرائيل و "الأ يعتبر ذلك خيانة وطنية لمصالح الشعب السوري والقضية الفلسطينية" هكذا وبالتحديد كانت صيغة السؤال. تناول المايكرفون من أمام الرفيق أبو سعود وأجاب جواباً مقتضباً أتذكره وبالنص قائلاً: "قدمت الى بغداد بالطائرة من براغ دون المرور بدمشق كي أطلع علي ما حصل من اتفاق وأنا لست ناطقاً بلسان الحكومة السورية كي يوجه السؤال لي أنا" واقفل المايك وأعاد وضعه أمام الرفيق عزيز والتفت الي وهو يقول "بدهم يرحجونه، موش هيك يا رفيق!!".

ومرت الأيام، ومرت السنين وها هو الرفيق أبو سعود يودعنا وداعه الأبدي، لكنه سيبقى ماثلاً أمامنا في نضاله المتفاني كقائد للحزب، في تضحياته الجسام، في صمود البطولي يوم واجه الجلادين وهو في عز الشباب وفي قتاله ضد النظام الفاشي في سفوح كردستان.

لقد كان الرفيق عزيز محمد مناضلاً بأسلاً من أجل أن يكون العراق حراً مستقلاً ويعيش شعب العراق سعيداً موفور الكرامة. فالمدد كل المدد للرفيق العزيز أبي سعود والعهد بان تبقى راية الحزب عالية خفاقة.

مجالس التآيين

قيادة الحزب الشيوعي العراقي تستقبل المعزين بوفاة القائد عزيز محمد



استقبلت قيادة الحزب الشيوعي العراقي يتقدمها الرفيق رائد فهمي سكرتير اللجنة المركزية، حشود المعزين بوفاة القائد الشيوعي الرفيق عزيز محمد. وأقيم مجلس العزاء على قاعة المركز الثقافي النفطي في بغداد، وحضرته شخصيات سياسية ووزراء سابقون وأعضاء في مجلس النواب ومستشارون لرئيس الجمهورية، ومسؤولون في الدولة وممثلون عن القوى السياسية والمنظمات الديمقراطية. وغصت قاعة مجلس العزاء، بمئات من الشيوعيين وأصدقائهم ومناصريهم، فضلاً عن وفود كبيرة أمت المجلس قادمة من محافظات عديدة.

مجلس عزاء في ستوكهولم على روح الشخصية الشيوعية والوطنية والكردية، الرفيق عزيز محمد

والقوى السياسية العراقية والكردستانية منها: التيار الديمقراطي العراقي في ستوكهولم، الحزب الديمقراطي الكردستاني، الإتحاد الوطني الكردستاني، حركة التغيير، هاوكاري، المؤتمر القومي الكردستاني، الحزب الديمقراطي الكردستاني- إيران، حزبي ديمقراطي كوردستان، بزاك، الحزب التقدمي الكردستاني في سورية، الحزب الإشتراكي الديمقراطي، حزب كادحي كوردستان، الحزب الشيوعي العمالي العراقي، رابطة الأنصار الكردستانيين القدامى، كومي زحمت جيشاني شورشجيري كوردستان إيران، وممثلين عن العشرات من منظمات المجتمع المدني العاملة في السويد، العديد من الشخصيات العراقية والكردستانية، والعديد من الناشطات النسويات. كما وصلت العديد من الرسائل وبرقيات التعزية.

نم قرير العين رفيقنا أبو سعود فنحن على درب الشيوعية الحقبة سائرون من أجل وطن حر وشعب سعيد.

نظمت منظمتنا الحزب الشيوعي العراقي في السويد والحزب الشيوعي الكردستاني في السويد، مجلس عزاء على روح الرفيق الفقيد عزيز محمد الذي ودعنا عن عمر ناهز الثالثة والتسعين، في مدينة أربيل بتاريخ 31/ 5/ 2017، بحضور جمهور غفير من الشيوعيين والوطنيين وأصدقائهم من العاصمة ستوكهولم والمدن الأخرى. تلقى التعازي الرفيقان الدكتور صالح ياسر، والدكتور علي مهدي، عضوا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، ورفاق المنظمين. وقد ازدانت القاعة بصور الرفيق الراحل وأعلام الحزب محاطا بباقات من أكاليل الزهور إعتزازا بالتاريخ المشرف للرفيق المحبوب عزيز محمد الذي قاد الحزب عام 1964 إلى 1993 كما تم عرض فلم وصور تروي بعضاً من مراحل السفر النضالي للرفيق الراحل.

شارك في تقديم التعازي سفير جمهورية العراق في السويد الأستاذ بكر فتاح ووفد مرافق له، وممثلة حكومة إقليم كردستان، إضافة إلى ممثلي الأحزاب

حفل تأبين في موسكو بمناسبة رحيل السكرتير الأسبق لحزبنا المناضل الشيوعي الرفيق عزيز محمد

السكرتير رائد فهمي في مراسيم تشييع القائد الشيوعي الراحل عزيز محمد ، والتي جاء فيها " نحن نودع اليوم واحدا من ابرز الشخصيات الشيوعية والوطنية العراقية والكردية ، ونستذكر صفحات ساطعة من سيرة حياة كانت سلسلة من الأمثلة المضيئة " .

والقى سكرتير المنظمة بعد ذلك كلمة منظمة الحزب في روسيا والتي اشار فيها الى ان مسيرة القائد الشيوعي عزيز محمد غنية بالتجارب والعبر والمعاني ، وان الفترة التي قاد فيها الحزب اتسمت بتعقيدات كبيرة منذ فقدان الحزب لخيرة قادته وكوادره الحزبية عام 1963 ابان انقلاب شباط الأسود واستيلاء البعث على السلطة مروراً بالجبهة الوطنية الى اعتماد الحزب الكفاح المسلح وسيلة لاسقاط النظام الدكتاتوري..

وفي كلمة للأنصار الشيوعيين العراقيين القاها الرفيق ابو خلود تحدث فيها عن نضال الشيوعيين العراقيين ابان فترة الكفاح المسلح ضد النظام الدكتاتوري. و اشار الى ان رحيل القائد الشيوعي البارز عزيز محمد يعتبر خسارة كبيرة لكل الوطنيين والديمقراطيين العراقيين ، وستبقى ذكراه الطيبة في قلوب الجميع الى الأبد..

ثم تناول الرفيق حسن الندواوي صفحات مضيئة اخرى من حياة ومسيرة الرفيق

أقامت منظمة الحزب الشيوعي العراقي في روسيا الاتحادية يوم الأربعاء 7 حزيران 2017 حفلا تأبينيا بمناسبة رحيل الشخصية الشيوعية والوطنية العراقية والكردية البارزة ، المناضل الرفيق عزيز محمد حضره عدد كبير من المدعوين ، بينهم السكرتير الأول للسفارة العراقية السيد حسين علي عبد الباقي الرماح وممثلو اتحاد الجمعيات والقوى اليسارية العربية في موسكو واعضاء الجالية العراقية الى جانب رفاق منظمنا وأصدقائهم.

افتتح الحفل الرفيق حسن الندواوي بالترحيب بالحاضرين وطلب الوقوف دقيقة حداد على روح الرفيق الراحل عزيز محمد . ثم تناول في كلمة مسهبة حياة الرفيق الراحل منذ نشأته وطفولته وصولاً الى تعرفه على رفاقنا وانضمامه الى صفوف حزبنا ، والطريق النضالي الذي سلكه ، والمراحل والفترات الصعبة التي واجهها منذ انتخابه سكرتيراً للحزب عام 1964 .

ثم القى سكرتير منظمة روسيا كلمة المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي بهذه المناسبة، و اشار الى ان الدرب النضالي الذي سلكه رفيقنا الراحل سيبقى ينير طريق الرفاق والمناضلين السائرين على خطاه.

بعدها القى الرفيق ابو خلود كلمة الرفيق

الاضطهاد والقمع البوليسي ، فترة كانت تتطلب تضحيات جسام والقدرة على القيادة والعمل بشجاعة.. وذكر ان مرحلة الجبهة كانت مليئة بالتناقضات ما ساعد على انهيارها. وذكر الكاتب والزميل عبد الله حبة بأنه كان على معرفة جيدة بالرفيق عزيز محمد والتقاء مع الكاتب العراقي المعروف غائب طعمة فرمان خلال زيارته الى موسكو. وقال ان عزيز محمد كان يتحدث بشكل واسع عن الأدب الروسي وعن الكتاب الكلاسيكيين الروس، وكان شخصية نادرة عفيف اللسان يحترم جميع الشخصيات الذين كانوا حوله، وقاد الحزب في فترة صعبة للغاية.

8 حزيران 2017

عزيز محمد ، صفحات لم تكن معروفة لدى الكثير من الحاضرين.. بعد ذلك فتح المجال امام الحاضرين للتحدث بهذه المناسبة عن رفيقنا الراحل : وقال رئيس تحرير صحيفة الخازر الكردستانية العراقية سعيد مومازيني الذي يزور موسكو حالياً بأنه كان على معرفة قريبة بالرفيق عزيز محمد وان الرفيق كان كثير القراءة ويوسع يومياً من دائرة معارفه. وكان يؤمن بالقضية الانسانية ويكره الشوفينية ، و اضاف أن الرفيق عزيز محمد التقى الرفيق فهد لأول مرة في السجن .وذكر ان انتقاداته كانت كثيرة لكنها إيجابية، وأشار احد الضيوف السوريين الى ان الفترة التي قاد فيها الرفيق عزيز محمد الحزب كانت من أصعب واعقد المراحل - فترة تفاقم

في 7 / 7 / 2017 فجمعت ((الثقافة الجديدة)) برحيل عضو مجلس وهيئة تحريرها العزيز د. صادق البلادي " حمدان يوسف"، ونظراً لأن لحظة الرحيل وقعت والعدد 390-391 كان قد ارسل الى المطبعة لذا سنكرس في العدد القادم ملفاً خاصاً عن فقيدنا العزيز "أبي ياسر". لعائلة الفقيد الكبير د.صادق ولرفاقه وأصدقائه ومحبيه الصبر والسلوان... وله الذكر الطيب دوماً



مقالات



جدلية التغيير الجذري في 14 تموز 1958 وعلاقته بقدوم العسكر للسلطة

د. عقيل الناصري

الدكتور عقيل الناصري بكالوريوس في العلوم الاقتصادية من جامعة بغداد/ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، فرع الاقتصاد (1967)، حائز على شهادة الدكتوراه في اقتصاديات العمل من معهد بليخانوف للاقتصاد الوطني في موسكو (1979). كاتب ومؤرخ متخصص في شخصية الزعيم العراقي الفقيه عبد الكريم قاسم قائد ثورة الرابع عشر من تموز 1958. عمل أستاذاً في جامعة وهران في الجزائر، ثم باحثاً متفرغاً في معهد الاستشراق في الاتحاد السوفياتي السابق. نشر العشرات من الدراسات والمقالات والعديد من الكتب والكراسات، معظمها عن شخصية وحياة عبد الكريم قاسم. متفرغ للكتابة منذ اعوام عدة في ما يتعلق بالشأن العراقي، وعلى وجه التخصص بقاسم وتموز.



الفترة العثمانية..."، وكان المنعطف الثاني "... وقتاً للتغيير السياسي والاجتماعي الحاسم في المجتمع العراقي. وقد أفضت إلى انهيار الملكية وإعلان الجمهورية وتمكين الطبقات الدنيا في المجتمع، وتولي ضباط القوات المسلحة للحكم، ونتيجة لذلك، فقد انقطعت الاواصر مع السلطة الاستعمارية البريطانية.."⁽¹⁾.

سننطلق من الفكرة الأخيرة التي تنص على تولى الضباط للحكم في العراق، وسنرى ما مدى صحة هذه الفكرة من خلال بحثنا، على وفق المنهج التاريخي التحليلي. كما سنحاول البرهنة من فرضيتنا المضادة التي تقول ماهياتها:

شكلت قوى الاحتلال البريطاني الأول الدولة العراقية وسلمت مفاتيحها المركزية

يتمحور تاريخ العراق المعاصر في القرن العشرين، حول منعطفين أساسيين، يمثلان، كما نعتقد، انقطاعاً تاريخياً مهماً مع أساسيات حوادث الماضي من الناحية الطبقيّة وانماط الانتاج والأبعاد الاجتماعية. بمعنى إنهما يحملان في ماهياتهما طبيعة جديدة ذات نكهة خاصة اقتصادية سياسية، بل وحتى فكرياً، وهذه المنعطفات، حسب تاريخية تحققها، هي:

– تأسيس الدولة العراقية في آب 1921؛
– التغيير الجذري في تموز 1958.
لقد أفضى المنعطف الأول إلى "... فرض الانتداب البريطاني ومعه تأسيس الدولة، وتحديد الحدود وإقامة الملكية ومؤسسات للدولة أدامت الهيمنة السنية الموروثة من

هذه التأثير والاستمرارية لذلك المسلك التاريخي لخصائبي العنف المنظم في الحياة السياسية في عالم الأطراف بعامة، وستتجسد في أن "...العلاقة غير العادية بين مؤسسة الجيش وبين السلطة والشؤون العامة. ففي حياتنا السياسية العربية قدر هائل - وفوق العادة - من تدخل العسكر في الحياة السياسية، ولسنا الوحيديين في هذا الكوكب من يعيش هذه الظاهرة. لنا اشباه ونظائر في أمريكا اللاتينية.. في إفريقيا.. في آسيا... إذ نلاحظ مثلاً ظاهرة الانقلابات العسكرية التي تتناسل من بعضها كالفطر. عشنا أكثر من خمسين انقلاباً عسكرياً في الوطن العربي خلال ثلاثة عقود! هذه ظاهرة مثيرة...". (5). هذه الظاهرة سوف تثير جملة من الاستفهامات المعرفية والسوسيولوجية تتمركز إحدى ماهياتها، على دور الجيش وتأثيره على النظام السياسي، بخاصة إذا علمنا بأنه ساهم "... في 37 محاولة انقلابية بين 1936 - 1967 في البلدان العربية وحدها. أما على صعيد الشرق الأوسط، فبلغ عدد هذه المحاولات 83 بين 1945 - 1979". حسب دراسة جاك وودس (6).

وأعتقد بأن هذه الظاهرة الموضوعية ذات امتداد تاريخي مستمد من ذات تاريخيتها باعتبار أن دول هذه المناطق هي الأكثر عرضة للغزو العسكري، نتيجة جغرافية المكان. وما يجري في هذه المنطقة في الوقت الحاضر، يعتبر من أكثر الأدلة سطوعاً. كما إن "... معظم دوله قامت كنتيجة للفتوحات. وكان للأعمال العسكرية دور كبير في معظم التغييرات التي طرأت على نظم هذه البلاد. والثقافة التقليدية للمنطقة مستمدة من دين يضيف على

للضباط العراقيين الذين تعاونوا معها منذ ما يطلق عليه (الثورة العربية) وبخاصة الشريفيين منهم (2).

ترى هل أن هذه الفرضية بكليتها يمكن إثبات صحتها ضمن الاستقراء الموضوعي ببعده التاريخي؟ وهل أن التغيير الجذري في 14 تموز 1958 هو الذي فتح ابواب السلطة أمام ضباط المؤسسة العسكرية؟ أم أن النزعة العسكرية لدور ضباط المؤسسة العسكرية سكنت رحم الدولة العراقية المعاصرة منذ ولادتها؟ إن لم يكن هم ملكوا الدولة منذ تأسيسها؟

في البدء لا بد من الإقرار، كما اعتقد ومستنداً إلى التجربة التاريخية، بأن نظرية المسلك التاريخي أو المسلك الطبيعي لدور ضباط المؤسسة العسكرية في الحكم في عالم الاطراف، والتي تسري على العالم العربي بإعتباره ضمن هذا العالم؛ إذ لعب هؤلاء (أخصائيو العنف المنظم)، دوراً تأثيرياً وتقريرياً في حماية النظام وسريان قراره المركزي، بغض النظر عن تسمياتهم (مجاهد، مقاتل، محارب وضابط)، منذ الحضارات الأولى وإلى الوقت الحاضر. "... هذه النظرية تندرج تحتها ثلاث افتراضات:

1 - يعيش العالم العربي حالة شديدة من التخلف وأزمة انتقال لا يمكن تخطيها إلا عن طريق التغيير الثوري للبناء الاجتماعي والنظام السياسي؛

2 - ليست هناك قوة قادرة على التأثير في هذا التغيير (3)؛

3 - الضباط لديهم القدرة على التأثير في هذا التغيير... (4)، من خلال تحكمهم بوسائل التغيير وسيطرتهم على مؤسسة تحكمها قواعد انضباطية صارمة.

ستقر النظرة الموضوعية بوجود مثل

تأمين مظهر مهيب رسمي للنظام، وأهميته في إيقاف عناصر الهدم والتخريب عند حد، ضمننت له حُظوة ومكانة رسمية عالية. ووجهت إليه اهتماماً خاصاً من النظام الملكي. إن كفاءات مسلك الضباط الادارية والفنية كانت عموماً تفوق من هم في مسلك الخدمة المدنية أو العاملين في القطاع الخاص. والوضع المتميز الذي تسبغه عليهم خدمتهم وتماسكهم الاجتماعي بل امتيازاتهم على غيرهم في ارتداء البزات العسكرية، كل هذا منحهم ثقة بالنفس وكبرياء الطبقة المنغلقة على ذاتها. وأهم من كل هذا طبقة الضباط هذه كانت قد استحلّت مذاق أربعة أعوام ونصف العام من السلطان السياسي، ابتداءً من عهد بكر صدقي في خريف عام 1936... (9). بل منذ تكوين الدولة العراقية.

وهكذا أصبحت المؤسسة العسكرية، ضرورة موضوعية تملئها العلاقات الدولية المتناحرة من جهة، وأصبح وجوده المشتق من الضرورة السابقة، ركيزاً للسلطة، إن لم يكن هو السلطة بذاتها (بصورة مباشرة أو غير مباشرة) في عالم الاطراف من جهة ثانية. لذا تحاول حكوماتها الحصول على ولاء الجيش لتأمين سلطتها وقرارها المركزي. وعلى ضوء ذلك "... فليس مستغرباً في هذه الحالة أن يكون مفهوم النخبة أو الصفاة في المخيلة الشعبية منذ أواسط القرن العشرين قد انحصر بمرتدي البدلة العسكرية أكثر من اقترانه بنخبة الفكر والثقافة والأدب والعلوم والطب والهندسة. وجاءت الانقلابات العسكرية على أيدي الضباط لتزيد من ترسيخ هذه المخيلة. ولم يتم طرد هذه الانطباعات من الذهن الجماعية العربية بصورة نهائية

العسكرية هيبية وشرعية. كما أن الجهود التي بُذلت لتحديث الثقافة التقليدية عززت، بشكل مباشر أو غير مباشر، الدور القائد للقوات المسلحة ورجالها. وعلى ضوء هذه الخلفية، لا يصح أن ننظر إلى الدور البارز والحاسم للجيش في أوضاع الشرق الأوسط الراهنة، باعتباره أمراً عارضاً مخالفاً لوضع دستوري طبيعي، بل أنه وضع تاريخي وطبيعي" (7).

كما ورثت ظاهرة نزعة العسكرة والتجيش (وبخاصة) الاجتماعي السياسي لدى الضباط الأوائل في الجيش العراقي، قد تمت من السلطنة العثمانية وعقليتها التي تعتبر أن معيار التقدم يكمن في إمتلاك قوة عسكرية ضاربة وجيش قوي. يضاف إلى ذلك ما تهيؤه البنية الاقتصادية وأنماطها لمجتمعات هذه البلدان، وتعمق تبعيتها وتخلف قواها الانتاجية؛ إذ تفرز لقوى العنف المنظم (المؤسسة العسكرية والأمنية) دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية/ السياسية باعتباره أكبر قوة منظمة في هذه الدول.

ومن المعلوم، من الناحية التاريخية، أن نواة تشكل المؤسسة العسكرية العراقية كانت في رحم المؤسسة العسكرية العثمانية، أي قبل تأسيس الدولة العراقية بأكثر من ثلاثة عقود ونيف، من خلال الضباط العراقيين في الجيش العثماني الذين بلغ عددهم في حدود ألف ضابط، وعدد ليس بالكبير من ضابط صف، قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى حسب مذكرات الوزير والضابط إسماعيل العارف (8).

كانت النظرة حينذاك أن تكوين الجيش حدث أعظم من كونه مجرد حدث تاريخي "... فالقيمة المقدرة لحسن نيته وفائدته في

رغم فشل أنظمة الانقلابات العسكرية في تحقيق الانجازات التي وعدت بها الجماهير... (10).

بعد هذا الاستعراض المكثف لدور الجيش في عالم الأطراف فسوف يطرح السؤال الآتي نفسه:

ترى هل أن التغيير الجذري في تموز 1958 هو الذي فتح أبواب السلطة أمام العسكر؟ أم أن هذه الظاهرة قد رافقت تأسيس الدولة العراقية المعاصرة منذ البدء؟

دعونا نستعرض تاريخية المؤسسة العسكرية بتكثيف عالي، وعلاقتها بسلطة الدولة الجديدة، من خلال فرضيتي العلمية المارة الذكر.

اقول.. أصبح الضباط العراقيون لهم الدور الأكبر، لاسباب موضوعية للبلد وذاتية للضباط ومؤسستهم، عند تأسيس الدولة ولغاية نهاية الجمهورية الثانية (9 شباط 1963 - 9 نيسان 2003) وبخاصة أثناء المرحلة الملكية، حيث سيطروا على المواقع الأرسية للسلطة وأداروها على وفق فلسفتهم العسكرية وعقيدتهم العثمانية ومن خلال تبنيهم لفكرة عربوية العراق دون النظر لتعددية المكونات الاجتماعية كدليل على ذاتويتهم، وباعتبارهم أهم مراكز القوة من خلال:

أولاً- لاعبين أرسيين في الفعل السياسي من خلال سيطرتهم على المناصب الأرسية والرئيسية في السلطة الجديدة، وبالأخص في السلطة التنفيذية. وقد تجلى هذا الموضوع في كونهم نواة النخبة الحاكمة، او صراعاتها الزبائنية والمصلحية، وقد انعكس في التبدل السريع المستمر لقوام السلطة التنفيذية، وفي الحراك السياسي المتواتر للوزارة وضيق دائرة الانتقاء

لشخص الوزراء. وكما كانت نسبة ذوي الأصول العسكرية، في قوام النخبة السياسية الحاكمة الأوغاركية (وأعني بها هنا حصراً الوزراء)، عالية جداً، كما سيتضح لنا لاحقاً، ولهم سيطرة على المراكز الحساسة وفي المناصب الرئيسية (أقل من وزير) كمحافظين (متصرفين) ونواب وأعيان ومدراء عامين وسفراء وقادة فرق عسكرية.

ثانياً- كما تجلى ذلك في دورهم ضمن تركيبة قاعدة الحكم الملكي رغم التناقض الثانوي بين عناصرها وامتداد ألقها الزمني، وهي:

1- قوى الاحتلال الاجنبي والكاادر الاداري المرافق لها؛

2 - القوى الاجتماعية التقليدية والارستقراطية المحلية:

أ- المدنية: المتمثلة بالاشراف والتجار والملاك،

ب- الريفية: وتتمثل برؤساء العشائر وبخاصة الكبيرة، وقيمها واعرافها،

ج- المؤسسة الدينية وبخاصة الاسلامية السنية واليهودية؛

3 - الإرث المعنوي للملك المستورد؛

4 - مجموعة الضباط العراقيين في الجيش العثماني وبخاصة الشريفيين منهم.

ثالثاً- كما أنهم مثلوا أحد أهم أضلاع مثلث الحكم المتكون من: مؤسسة العرش ورئاسة الوزارة وقوى الاحتلال الأول لغاية 1932 ومن ثم السفارة البريطانية لغاية 1958، من خلال تسنمهم أكثر من 60% من رئاسة الوزراء.

هذه الظروف (الموضوعية والذاتية للضباط) أفسحت المجال تدريجياً لهم للعب دور مؤثر في قيادة الدولة والقاعدة الاجتماعية المكونة لها، وقد وطلتها من خلال عدة مصادر للقوة،

متعددة ومتداخلة جدلياً، وهي:
 - كفاءتهم المعرفية والإدارية؛
 - من دعم قوى الاحتلال الأول لهم (11)؛
 - من الشللية التي نسجوها في ما بينهم،
 ومن علاقات المصاهرة والمصالح المشتركة،
 كضباط قادة، والعوائل المتنفذة اجتماعياً
 واقتصادياً؛
 - في تضخيم بعدهم الذاتي حيث ينظرون إلى
 أنفسهم أكبر من ماهياتها الحقيقية؛
 - من خلال تحصيلهم العلمي واتقانهم
 للغات عدة، وثقافة عصرية مقارنة بالفئات
 الاجتماعية الأخرى؛
 - مما يناط بالمؤسسة العسكرية من
 دور (قوى قمعية ولحماية الحدود) وبما
 تملكه من وسائل قسر مادية؛
 - من خلال مكوناتهم الدائم في السلطة الملكية
 (12).

تحليل بنية الوزارة في المرحلة الملكية على
 وفق الأصل المهني:
 عند تحليل بنية النظام السياسي ومكوناته
 في المرحلة الملكية من خلال استنطاق تاريخ
 العراق المعاصر، يستدل ويوضح أن قوى
 الإحتلال الأول قدرت أمور بلدان المشرق
 العربي على وفق اتفاقية سايكس - بيكو،
 المتناقضة حد التناحر، للاتفاقات المبرمة
 مع الشريف حسين (13)، وجسدتها
 قرارات مؤتمر القاهرة لعام 1921، التي
 صاغت ماهيات ومضامين طبيعة الحكم
 ومكوناته الاجتماعية والفكرية وأليات
 (ميكانيزمات) إدارته. فقد حددت الهيكل
 العام لسلطة الدولة، ليس على وفق
 طبيعة الظروف الاجتماعية الداخلية
 السائدة والارتقاء بها، بل على قاعدة
 استحداث مؤسسات حديثة تطورت حسب
 ظروف البلدان المتقدمة. فسنت القانون

الاساسي (الدستور) على قاعدة السلطات
 الثلاث (السلطة التنفيذية والتشريعية
 والقضائية). واستحدثت مؤسسات تماثل
 وأليات ظروف تلك البلدان (14).
 وتوضح التجربة العراقية إن السلطة
 التنفيذية المتمثلة بالوزارة ورئاستها،
 التي سيطر عليها ذوو الأصول العسكرية،
 لعبت دوراً أساسياً من خلال تعطيلها
 عملياً لبقية الهياكل الدستورية وبخاصة
 التشريعية، مما افقدت أليات العمل
 المتوازن بين هذه السلطات الثلاث؛ إذ تم
 الحكم بالقوانين الاستثنائية والاحكام
 العرفية. وقد ساهم دستور عام 1925
 وتعديلاته، في تكريس هذه الهيمنة، إذ
 منح السلطة التنفيذية على وفق (المادة
 26، فقرة 2) حرية حل مجلس النواب
 دون ضوابط تحكمية، كما منحت (ذات
 المادة، فقرة 3)، سلطة سن التشريعات
 وعلى وفق المراسيم والقرارات، وتطبيق
 أحكامها دون أن تلزم السلطة التشريعية
 بتقرير رأيها حول مدى التطابق بينها وبين
 الدستور والقوانين المرعية. ولقد مهد
 الدستور لهذه بعد أن جعل عطلة السلطة
 التشريعية ستة أشهر بالسنة. بمعنى آخر
 أصبح البرلمان، عملياً، ألعوبة بيد السلطة
 التنفيذية وتابعا لها؛ إذ أمسى الأول عملياً
 مسؤولاً أمام الحكومة وليس العكس، كما
 نص الدستور النافذ آنذاك، إذ اشترط
 العديد من رؤساء الوزراء، على مؤسسة
 العرش حل البرلمان قبل تأليفها أو تقوم
 بحله بالاتفاق معه بعد تشكيلها.
 وهكذا أصبح حل البرلمان سمة من سمات
 البرلمانية الملكية؛ إذ كان من المفروض
 انبثاق ثمانية مجالس نيابية طول المرحلة
 الملكية، أي منذ عام 1925 - 1958، لكن
 الواقع، يشير بقوة الموضوعية، إلى أنه

أكثرية هذا المجلس كانت محسوبة على البلاط في حين كان نوري السعيد يريد لها بجانبه، بغية تهيئة الأجواء لعقد حلف بغداد.. " (16) في وزارته الثانية عشرة (3/ 8/ 1954 - 17/ 12/ 1955). وبصورة مكثفة فالتجربة النيابية الملكية لم تسقط أو تشكل وزارة واحدة من الوزارات العراقية الثمانية والخمسين تحت قبة البرلمان، كما اشارت حتى الوثائق البريطانية.

لقد تشكلت طوال الحكم الملكي 58 وزارة (17)، احتوت على 778 منصباً وزارياً، تناوب على احتلاله 166 شخصاً فقط (18)، فكان المعدل العام للترات التي استوزر فيها عضو النخبة الاوليغاركية بلغ في حدود 4.7 مرة. ومن خلال تحليل بنية هذه المكونات سيتضح أن هناك:

- 64 شخصاً من ذوي الأصول العسكرية، اي ما نسبته 38,6%.

- 102 شخص من ذوي الأصول المدنية، أي ما نسبته 61,4% من المجموع الكلي.

- تداول 77 شخصاً منهم، مناصب وزارية رئيسة (سيادية وهي آنذاك: الدفاع والداخلية والخارجية والمالية) وثنائية معاً، ليس بالضرورة في الوقت ذاته، كان منهم:

- 47 شخصاً من ذوي الأصول العسكرية، أي بنسبة 61%،

- في حين كان 30 شخصاً من أصول مدنية، أي بنسبة 39%.

أما بصدد رئاسة الوزارة وعدد المرات التي ترأسها من هم من ذوي الأصول العسكرية والمدنية طيلة المرحلة، والتي تصب في ذات الاتجاه العام للظاهرة التي نحن بصدد إثباتها، فهذا ما يوضحه الجدول رقم (1) أدناه:

أفرز ستة عشر مجلساً، أي ضعف المقرر دستورياً، علماً أن عمر الدورة البرلمانية حسب الدستور هو أربع سنوات، ولم تكمل سوى دورة واحدة مدتها القانونية كاملة طوال هذه المرحلة، وهي الدورة التاسعة (2/ 6/ 1939 - 9/ 6/ 1943)، وحتى هذه الدورة لم تستكمل مدتها القانونية إذ "... أن الفضل في ذلك لا يعود إلى أحد، إنما الصدف، نعم الصدف أو حسن الصدف هي التي أوجبت إكمال المجلس دورته، فقد اتضح أن الدعاية المغرضة في الخارج كانت تثبت دعائها بعدم مشروعية الحكومة الحاضرة، فكان خير جواب عليها عدم حل المجلس النيابي، لإفهام من في الخارج بأن المجلس لم يتغير ولم يؤت بمجلس جديد لتأييد الوضع الحاضر..." (15)، بحسب تعبير نوري السعيد. علماً أن هذه الدورة هي نفسها التي أقالته الوصي عبد الإله، أثناء هروبه عند قيام حركة مايس 1941، وعين الشريف شرف وصياً على العرش بدلا منه، وهي ذات الدورة التي أقالته هذا الأخير، وأعادت تعيين عبد الإله وصياً على العرش بعد عودته بحراب الانكليز بعد فشل الحركة. لقد بلغ عدد دورات المجلس النيابي التي حلت، 15 دورة من أصل 16، بل "... والأكثر من ذلك إن إحداها، الدورة الرابعة عشرة، لم تكمل سوى سويغات من عمرها الفعلي، إذ بعد الانتخابات مباشرة التي انتهت في 26/ 7/ 1954 تمتع المجلس بعطلته الصيفية وحل في 8/ 3/ 1954، بعد جلسة الافتتاح وإلقاء خطاب العرش نتيجة فوز 11 نائباً وطنياً معارضاً من خارج نخبة الحكم من جهة، ومن جهة أخرى لأنه بالرغم من كونه مجلساً انتخبت أكثريته بالتركية... بل لأن

جدول رقم (1)
الأصول المهنية لرؤساء الوزارات خلال الفترة 1920 - 1985 ونسبتهم المئوية

الأصل المهني	العدد	النسبة المئوية %	الزمن المفترض بالشهر*	%
المدنيون	٢٣	٣٩,٧	١٨٤	٣٩,٦
العسكريون	٣٥	٥٩,٣	٢٨٠	٦٠,٤
أ - الشرفيون	٢٩	٥٠	٢٣٢	٥٠
ب- آخرون	٦	١٠,٣	٨٤	١٨
المجموع	٥٨	١٠٠		١٠٠

* أحتسب الزمن على أساس المعدل العام لعمر الوزارة، وهو ما يقارب 8 أشهر.
المصدر: تم تجميع مفردات الجدول من عدة مصادر.

ومن الجدول أعلاه يتضح بأن الذين تسنموا رئاسة الوزارة بلغ عددهم 58 شخصاً، كان 23 منهم من ذوي الأصول المدنية أي بنسبة 39.7%، في حين بلغت هذه النسبة 59.3% لذوي الأصول العسكرية، الذين تسنموا رئاسة الوزارة 35 مرة، وبالتالي مكثوا في الحكم 280 شهراً من أصل 464 شهراً، وهي المدة بكاملها أي بنسبة 60.4%. ومن الملاحظ أن الضباط الشرفيين كونوا النواة المركزية للنخبة الأوليغارشية؛ حيث كانت مدة مكوثهم في رئاسة الوزارة 50%. وهكذا استحوذ ذوو الأصول العسكرية، ومن ضباط الجيش العثماني الآخرين، على منصب رئيس الوزراء، فقد ترأس كل من: نوري السعيد الوزارة 14 مرة، جميل المدفعي 7 مرات، عبد المحسن السعدون 4 مرات، علي جودت الايوبي 3 مرات، جعفر العسكري وياسين الهاشمي وحمدي الباجه جي وأرشد العمري مرتين لكل منهم. وكل من ناجي السويدي وناجي شوكت وحكمت سليمان وطه الهاشمي ومزاحم الباجه جي ومصطفى العمري ونوري الدين محمود، مرة واحدة لكل منهم. ليس هذا فحسب، بل هيمن وتسمن ذوو الأصول العسكرية المناصب الوزارية السيادية كما يوضحه الجدول رقم (2) أدناه:

جدول رقم (2)
عدد شاغلي المناصب السيادية حسب الأصول المدنية للفترة 1921 - 1958 ونسبتها

عدد شاغلي المنصب من المدنيين	%	عدد شاغلي المنصب من العسكريين	%	المجموع
٣٠	٣٩	٤٧	٦١	٧٧
عدد مرات تسنم المنصب				
١١٥	٣٢,١	٢٤٣	٦٧,٩	٣٥٨

المصدر: كتابنا الجيش والسلطة، ص 329، مصدر سابق.

بلغت مدتها ما مقداره 3138 يوماً، أي 8 سنوات من أصل 17 سنة.

لقد ترتب على صغر حجم النخبة الحاكمة، مدى انغلاقها على ذاتها، وهذا كان أحد الأسباب في منع التداول السلمي للسلطة بين القوى الاجتماعية وبخاصة الجديدة منها. إذ كانت النخبة السياسية صغيرة الحجم، مصدرها الرأس من 30 عائلة من عوائل الحكم، قياساً لحجم المناصب الوزارية، بمعنى آخر إن هذا يعكس ظاهرة التداولية المغلقة للسلطة، إذ أغلقت منافذ الدخول إلى النخبة السياسية بدرجة كبيرة، انعكست هذه الظاهرة في نسبة التجديد في كل وزارة من الوزارات الثامنة والخمسين، والتي لم تتجاوز، كمعدل عام، 20%، حيث هناك 13 وزارة لم يستوزر فيها أي وزير جديد، وهذا دليل ساطع على عدم قدرة القوى الاجتماعية، من خارج النخبة السياسية، على تسنم جزء من القرار المركزي للسلطة.

كما كان هذا الانغلاق الذاتي لنخبة الحكم، أحد أسباب تبني فكرة التغيير الجذري، التي قامت بها ذات المؤسسة العسكرية، بمعنى آخر إعادة فتح المسالك الطبيعية لمؤسسة العنف المنظم من خلال الانقلابية العسكرية والولوع إلى معتك السياسة بشكل آخر، وبأهداف وغايات جديدة بماهياتها الاقتصادية والسياسية، بعيداً عن توجهات السلطة الملكية وتحالفاتها الاجتماعية وروابطها الخارجية. هذه الأرقام الصماء توضح مدى سيطرة العسكريين على المفاصل الأساسية للسلطة منذ تأسيس الدولة العراقية المعاصرة، وبالتالي فالعراق الملكي كان مجتمعاً يتحكم فيه العسكريون بالتحالف مع شبه الاقطاع في الريف والكمبرادور والاستقرائية التقليدية في المدينة. وهكذا فالاستنتاج الرأس من هذه الإطالة

ومن الجدول أعلاه يلاحظ سيطرة ذوي الأصول العسكرية على الوزارات السيادية وتوجيهاتها حسب تصوراتهم وفلسفتهم. وبهذا فقد ركزوا مصادر القوة والقرار المركزي للدولة بأيديهم. وإذا أضفنا نسب رئاسة الوزارة إلى ما ذكر أعلاه، فسوف تتضح الصورة بجلاء أكبر وهي سيطرة ذوي الأصول العسكرية على المفاصل الأساسية والرئيسية للسلطة الملكية.

ليس هذا فحسب، بل إمتدت سيطرة ذوي الأصول العسكرية حتى على السلطة التشريعية (مجلس الأمة: الأعيان والنواب)؛ إذ تولى رئاستهما 49 شخصاً كان 24 منهم من ذوي الأصول العسكرية، أي بنسبة 49%، وإن تباينت هذه النسبة بين مجلس وآخر؛ فكانت نسبتهم في رئاسة مجلس الأعيان في حدود 38,5% (5 من 13). أما رئاسة مجلس النواب فكانت نسبتهم 52,8% (19 من 36) (19).

أما إذا أضفنا مؤشراً آخر لحضور المؤسسة العسكرية، المتمثل في سريان مفعول الأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية (الجزئية والكلية لعموم العراق)، ومضمونها الحد من سريان مفعول الدستور، وقد بلغ عدد هذه المراسيم للمرحلة الملكية برمتها، 27 مرسوماً (19). وعلى ضوء هذا المعيار وفعاليتها، يمكننا تقسيم المرحلة الملكية إلى فترتين:

- الأولى: 1921 - 1932 (مرحلة الانتداب) وسريان مفعول الأحكام الاستثنائية برمتها؛

- الثانية: 1932 - 1958 (مرحلة الاستقلال الشكلي) حيث أعلنت الأحكام العرفية 16 مرة، غطت أكثر من 40% من المساحة الزمنية. وقد ازدادت كثافتها منذ الاحتلال الثاني (1941 - 1947) حيث

جديدة أكثر تلائماً من روح العصر والانتقال بالعراق ووضعه على سكة الحداثة. لقد حاولت المؤسسة العسكرية منذ نهاية أربعينيات القرن المنصرم، إحداث التغيير الاقتصادي والسياسي المرتقب، من خلال التكتل الغائي للضباط الواعين سياسياً، بعد حدوث الطلاق الذي لا رجعة فيه، مع مثلث الحكم، بفعل عوامل أراسية داخلية وأخرى عربية وإقليمية وثالثة دولية. لذا دخل الضباط معترك الحياة السياسية ليجربوا المحاولة ثانية، لكن بأشكال مغايرة لمهيات ومضامين وغايات ما كانت عليه في تجربتهم الأولى (منذ تأسيس الدولة)، للارتقاء بالتجربة العراقية إلى ما وراء الظروف السائدة وبغية تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي، والارتقاء بالطبقات الاجتماعية، مادياً ومعنوياً، وإفساح المجال للطبقة الوسطى بكل فئاتها في إدارتها للحكم، لأن (الثورة ثورتها) بكل نجاحاتها وإخفاقاتها وتراجعاتها.

المكثفة يكمن في صحة فرضيتنا المعرفية والعلمية من أن قوى الاحتلال البريطاني الأول (1914 - 1932) شكلت الدولة العراقية وسلمت مفاتيحها المركزية للضباط العراقيين الذين تعاونوا معها منذ ما يطلق عليه (الثورة العربية) وبخاصة الشريفيين منهم. وهكذا فالتغيير الجذري في 14 تموز 1958 لم يكن هو الذي شرع ابواب السلطة لقدم العسكر، قدر ما هي محاولة من اصل 41 محاولة تم استخدام الجيش في حل الإشكاليات التي انتصبت أمام السلطة الملكية. لكن ميزة التحرك في 14 تموز 1958، يكمن أساساً في التعبير عن مطامح الطبقات والفئات الاجتماعية من خارج نخبة الحكم، وهي استجابة لذلك التراكم الكمي النضالي التي خاضتها الحركة الوطنية المعارضة، بأحزابها السياسية، السرية والعلنية، والتي قادت مطلبية التغيير والانتفاضات الشعبية (20) بغية المساهمة في إدارة الحكم على وفق ماهيات

الهوامش:

- (1) صراع الهويات في العراق، تحرير أماتيزيا بارام وأكيم رود ورونين زيدل، ترجمة مصطفى نعمان أحمد، ص. 14، دار ميزوبوتاميا، بغداد 2017.
- (2) الضباط الشريفيون، هم مجموعة الضباط الذين التحقوا من معسكرات الأسر أو/ والذين انضموا إلى ما يسمى بالثورة العربية التي قادها الشريف حسين بالتعاون مع بريطانيا منذ عام 1916، والتحقوا بالملك فيصل الأول عندما كان ملكاً في سوريا، وقد جاؤوا معه للعراق بالاتفاق مع بريطانيا.
- (3) توضح، في الغالب، التجربة التاريخية في عالم الأطراف أن ضباط المؤسسة العسكرية قد أصبحوا الأداة الأراسية، المباشرة أو غير المباشرة، في حسم الصراع الاجتماعي، وترجيحه لهذا الطرف أو ذاك، طالما لا توجد في هذه البلدان سوى قوتين حاسمتين للتغيير، وهما: مؤسسة العنف المنظم؛ والجماهير الشعبية. ولأسباب موضوعية وذاتية، كما نعتقد، بأن الجماهير الشعبية لا تستطيع تجسيد هذا التغيير.
- (4) اليعازر بعيري، ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي، ت. بدر الرفاعي، ص. 9، المكتبة الثقافية في بيروت، وسينا في القاهرة 1992.
- (5) مجموعة مؤلفين عبد الإله بلقزيز، مستل من الجيش والسياسة والسلطة في الوطن العربي، ص 109، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2002.
- (6) الجيش والسياسة، ت. ابو عادل، الثقافة الجديدة، العدد 127 كانون الثاني 1981.

- (7) اليعازر بعيري، ضباط الجيش، ص 9، مصدر سابق.
- (8) عقيل الناصري، الجيش والسلطة في العراق الملكي 1921 - 1958، دفاعاً عن ثورة 14 تموز، ص 98 وما بعدها، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد 2005. وتعود الجذور الأولى لتكوين الجيش العراقي الحديث إلى اللبنات الأولى التي أرساها مدحت باشا، اثناء توليه لولاية بغداد 1869 - 1873، عندما أسس أول متوسطة عسكرية في بغداد عام 1871. وتم عام 1893 تأسيس مدرسة متوسطة ثانية في مدينة السليمانية. كما تم تأسيس أول اعدادية عسكرية عام 1878. التي تخرجت دورتها الأولى عام 1881، ارسلوا جميعاً إلى الدراسة العليا (الكلية الحربية).
- (9) أوريل دان، العراق، ج.1، ص 17، مصدر سابق.
- (10) منذر سليمان، في كتاب: الجيش والسياسة والسلطة، ص 90، مصدر سابق. وهذه الهيئة قد تجسدت في اعتبار 6 كانون الثاني 1921، هو عيد الجيش، في حين تقول الوقائع الموضوعية، أن مؤتمر القاهرة في آذار من ذات العام وافق على تأسيس الجيش، باعتباره قوة قمعية داخلية، وبدأت بوادر التطوع في حزيران من ذات العام.
- (11) تعرض العراق المعاصر إلى ثلاثة إحتلالات؛ الأول: 1914 - 1932؛ الثاني 1941 - 1947؛ الثالث 9 نيسان 2003 - 31 كانون الأول 2011.
- (12) مكث الفريق نوري السعيد وحده في السلطة ما يقارب 148 شهراً، أي نحو 35% من زمن المرحلة الملكية. وتسري هذه الحالة على أعضاء النخبة الآخرين من ذوي الأصول العسكرية كوزارات محسن السعدون، وجعفر العسكري وجميل المدفعي وياسين الهاشمي. كما أن أغلب الوزارات التي مكنت بالسلطة أكثر من 10 أشهر (معدل عمر الوزارة في المرحلة الملكية 6 أشهر) كانت من نصيب ذوي الاصول العسكرية. كما تسنم نوري السعيد 47 منصباً وزارياً، يقول عضو النخبة الدائم توفيق السويدي: "... كانت آمال نوري السعيد معلقة في إسناد الجيش والتفافه حوله في كل الوقائع السياسية التي حصلت خلال الأربعين سنة الماضية.. فبقوة الجيش تمكن نوري من أن يؤلف 14 وزارة.. وبقوة الجيش كان يسمع صوته للملك والحكومة ويفرض إرادته عليهم..." توفيق السويدي، مذكراتي، ط2، دار الحكمة، لندن 1999.
- (13) والمعروف أن اتفاقية سايكس - بيكو تمت في سرية تامة بين نوفمبر من عام 1915 ومايو من عام 1916 وبمعزل عن الشريف حسين الذي لم يكن يعلم عنها شيئاً، رغم أن سايكس وبيكو اجتمعوا بالشريف حسين بعدها بأيام، وطلباً منه ضرورة مساعدة العرب للحلفاء في الحرب. ولم يعلم الشريف بالاتفاقية إلا بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا سنة 1917، وإعلان البلاشفة عن المعاهدات السرية التي وقعتها روسيا القيصرية، ومن بينها اتفاقية "سايكس - بيكو"، ولم يصدق الشريف حسين هذه الاتفاقية، وسارع بتقديم احتجاج إلى السلطات البريطانية، لكنها طمأنته بأنها ملتزمة بالعهد التي قطعتهامعها، فمضى في تأييدها ومساندتها واستمر في ثورته ضد الأتراك.
- (14) "... ادخل البريطانيون انموذجاً سياسياً جديداً للحكم - نظام برلماني على النمط الغربي مع ملكية (على غرار مالديهم) ومفهوم للانتخابات (غير المباشرة في البلد) وتأسيس احزاب سياسية، ونوع من المفاهيم اللبرالية على غرار حكم القانون وحرية الدين والتعبير وحماية الأقليات. وحقيقة أن هذه الأنظمة كان أداؤها رديئاً لم يكن واضحاً إلا جزئياً..." مستل من: صراع الهويات، ص 34، مصدر سابق.
- (15) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج 6، ص 159، ط4، دار الكتب، بيروت 1974 ب 10 أجزاء.
- (16) عقيل الناصري، الجيش والسلطة، ص 298، مصدر سابق.
- (17) دون احتساب الوزارة النقيببة الأولى لأنها تأسست قبل تأسيس الدولة.
- (18) المصدر السابق، ص 327. مما أثار المندوب الخاص للرئيس روزفلت الذي زار العراق عام 1942. وصرح متهمكاً: "وقد علمت أن كل وزير تقريباً تولى في وقت ما، كل وزارة في الحكومة".
- (19) للمزيد راجع مؤلفنا: الجيش والسلطة، الفصل الخامس، مصدر سابق.
- (20) لقد شرعت حكومات كل من: نوري السعيد 15 مرسوماً، رشيد عالي الكيلاني 7 مراسيم، جميل المدفعي 4 مراسيم، وياسين الهاشمي مرسوماً واحداً.

معالجة رياضية في التخطيط الاقتصادي بين النظريتين الرأسمالية والاشتراكية (1)

الدكتور صبري زاير السعدي (2)

ولد الدكتور صبري زاير السعدي في بغداد وتعلم في مدراسها، ونال البكالوريوس في الاقتصاد من جامعة بغداد. كما حصل على درجة الدكتوراه في تخطيط الاقتصاد الوطني من جامعة برمنكهام البريطانية. بدأ حياته العملية في المجالات الاقتصادية مبكراً وشغل مناصب وظيفية اقتصادية بارزة في الدولة العراقية، واستشارية في المنظمات الاقتصادية والإنمائية الدولية، عمل من خلالها في عدد من الدول العربية. نشر العديد من الدراسات والبحوث الخاصة بتخطيط التنمية وبالسياسات الاقتصادية، وبمتابعة الأحداث الاقتصادية الدولية في الأدبيات المحلية والعربية والعالمية. وقد تركت اهتماماته الفكرية والمهنية والسياسية منذ فترة في الأزمة الاقتصادية بالعراق والدعوة للمشروع الاقتصادي الوطني. يعتمد الدكتور صبري الأسلوب الرياضي والكمي في تحليلاته الاقتصادية النظرية والتطبيقية.

الطبعة الثانية منقحة

تقديم الطبعة الثانية

نشرت هذه الدراسة لأول مرة في حزيران عام 1973 في مجلة "العلوم الاقتصادية والمالية والإدارية والاحصائية" التي تغير اسمها لتصبح الآن "مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية" المجلد 1 العدد 1 (الصفحات 31 - 52) والصادرة عن "مركز البحوث الإدارية والاقتصادية" بجامعة بغداد، والتي تأسست بمبادرة الدكتور خير الدين حسيب، الجديرة بالتقدير، وترأس تحريرها آنذاك. وقد وجدت في إعادة نشرها الآن، عددا من الضرورات الموضوعية والذاتية تتمثل في أهمية التخطيط الحكومي في إدارة الاقتصاد

الوطني، كما نستنتج من طبيعة التطورات الاقتصادية والسياسية في العراق منذ نحو نصف قرن من ناحية، ولحفز المناقشة، ولو بقدر محدود، في هذه الأهمية لإجلاء ضبابية الآراء والمواقف الاقتصادية في تناول مسؤوليات الدولة والقطاع العام، ودور القطاع الخاص وآلية السوق في تعبئة وتوزيع الموارد الاقتصادية لتلبية احتياجات المواطنين والمجتمع. كذلك، نجد أن تزايد الآراء المعارضة لممارسة التخطيط الاقتصادي المركزي والعمل بآليات وقوى السوق، منذ عقد الثمانينيات بخاصة، نتيجة واقع انهيار تجربة النظام الاشتراكي ثم هيمنة النظام الرأسمالي التي توسعت بانتشار تأثيرات الثورة التكنولوجية والمعلوماتية والانخراط في

الاقتصادية في مقابل فاعلية آلية السوق ودور القطاع الخاص. كما تظهر أيضاً، جذور وحدود ممارسات التحليل الاقتصادي "الكمي" المتعددة، كصياغة "نماذج التنبؤ بالنمو الاقتصادي" أو قصور فكر المحاكاة في الأدب الاقتصادي الحديث لسياسات مثل "السوق الاجتماعية" و"الليبرالية والليبرالية الجديدة" أو الترويج لمقاييس المقارنة الدولية عن "تنافسية الاقتصاد الوطني" و"اقتصاد المعرفة" و"معايير الحرية الاقتصادية"، أو التعريف واستخدام "الاقتصاد الرقمي"، أو جدوى اعتماد أولويات السياسات الاقتصادية في دول العالم، كالتى تطرح في مؤتمرات "منتدى الاقتصاد العالمي". فالمعرفة بأسس القرارات الاقتصادية ضرورية دائماً في إدراك خصائص وديناميكية الاقتصاد الوطني والافتقار بدور الدولة المباشر في الانتفاع من تعبئة موارد "الريع - النفطي" للإسراع في التنويع الاقتصادي الهيكلي لضمان استدامة النمو الاقتصادي والتشغيل. كما يمكن أن تفيد الدراسة في تفسير جوهر هذا التقارب المستمر الذي يصاحب تطور النظم الرأسمالية نحو تطبيق أنظمة المساعدات والرفاهية الاجتماعية في مقابل الاتجاه المستمر أيضاً في النظم الاشتراكية أو رأسمالية الدولة ومشاريع القطاع العام نحو تحرير آليات السوق ومنح القطاع الخاص دوراً أكبر في الاقتصاد.

صبري زاير السعدي
لندن في 25 أيار 2017

تبحث هذه الدراسة في التخطيط الاقتصادي ومدى تطابقه مع الأسس النظرية لقوانين الرأسمالية والاشتراكية، والمساهمة التي

تيار العولمة، لا يقلل موضوعياً من الحاجة للبحث والمناقشة في طبيعة ومسؤولية تخطيط وإدارة الاقتصاد على كافة المستويات، الوطنية والقطاعية والمشاريع العامة، وفي فعاليات الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات، والأنشطة الإنتاجية في المؤسسات والمشاريع المتوسطة والصغيرة الخاصة. هنا تكمن فائدة العودة لأسس ومبررات النشاط الاقتصادي على مستوى الوحدة الإنتاجية وتتبع إسهامات عناصر الإنتاج والتدرج في التحليل ليصل مستوى الاقتصاد الوطني.

وفي إعادة نشر الدراسة رغبة ذاتية أيضاً للتوثيق والمقاربة التاريخية المثيرة للإنتباه بين موقف وتحليل اقتصادي رياضي تم تقديمه قبل نحو نصف قرن للحكم في ميررات ومشاكل التخطيط المركزي في النظم الاشتراكية والرأسمالية، حيث كان الجدل الاقتصادي الفكري آنذاك جدياً وواسعاً في معرفة أسس وأبعاد هذه النظم، ولو مع تطبيق تجارب جلبت بعضها التعاسة للناس كما في اشتراكية دكاكين البقالة الحكومية لبيع الخضراوات والفواكه للمواطنين، وتخطيط حكومي انزلق فنياً في بعض مراحلها في تفاصيل إعداد المئات من الموازين السلعية، وبين واقع الحاضر؛ حيث يتعثر إحياء العمل بالتخطيط الاقتصادي للدولة لتجاوز تحبط السياسات الاقتصادية ذات الميل الشديد لتطبيق "الليبرالية الجديدة" التي يقودها صندوق النقد الدولي والتي لا تناسب واقع هيمنة الريع - النفطي في الاقتصاد والسياسة. وفي رأينا، أن مثل هذه المقاربة، تساعد في الحكم بسلامة أو فقر الآراء الاقتصادية الفكرية والسياسية العملية التي تتناول دور الدولة وسياساتها

الندرة النسبية للموارد الاقتصادية المتاحة مقابل الحاجات المتزايدة للأفراد وللمجتمعات. ويفرض التحليل المنطقي لمشكلة الندرة على الباحث الاقتصادي طرح مسألة انتخاب "choices" أفضل البدائل الممكنة للإنتاج بما يضمن الوصول إلى أقصى اشباع للحاجات البشرية وبأقل تكلفة اقتصادية ممكنة، وتلك هي المسألة المركزية التي يتولى معالجتها التخطيط الاقتصادي. أما أساليب الوصول إلى القرارات العقلانية "rational decisions" عند الإختيار بين البدائل المختلفة لمستوى ونوع الإنتاج، ثم توزيع الإنتاج بين أفراد المجتمع بشكل يحقق لحاجاتهم أقصى اشباع ممكن وبأقل تكلفة اقتصادية، فهو ما يؤطر المعنى الفني للتخطيط الاقتصادي في هذه الدراسة (3).

إن البحث في الكفاءة الاقتصادية على الصعيد النظري، ينطوي في التحليل الأخير على مناقشة المسائل الرئيسية الآتية:

أ. تخصيص الموارد الاقتصادية بين المنتجات المتنوعة وعلى المستويات المختلفة: وتنعكس الممارسة العملية لهذه المشكلة في مسألة وضع معايير معينة للقرارات الاستثمارية على مستوى الوحدات الإنتاجية أو على مستوى الاقتصاد الوطني بالشكل الذي يحقق أقصى عائد إنتاجي وبأقل كلفة اقتصادية ممكنة.

ب. مشكلة النمو الاقتصادي: إن إضافة البعد الزمني لمسألة تخصيص الموارد الاقتصادية بين الاستخدامات المختلفة، تطرح علينا مشكلة جديدة ذات خصائص وشروط مختلفة، تلك هي مشكلة النمو الاقتصادي. ويتلخص جوهر هذه المشكلة على الصعيد العملي في أن حصيلة القرارات الاقتصادية لا بد أن تتجه نحو تحقيق أقصى معدل للنمو الاقتصادي العام في المستقبل. كما أن البعد

تقدمها ليست في النتائج التي تستخلصها من خلال طرحها للقوانين الاقتصادية العامة لكلا النظامين، فليس هناك إلا القليل مما تعطيه في هذا المجال. بل تتركز المساهمة في استخدام البرمجة الرياضية mathematical programming في تعزيز أو رفض نتائج تحليلات بعض الاقتصاديين، النظرية منها بشكل خاص، بصدد فاعلية أو عدم فاعلية التخطيط الاقتصادي في علاج المشاكل الاقتصادية التي تواجه النظامين.

إن الضرورة التي استدعت اللجوء إلى مثل هذا الأسلوب الرياضي في التحليل "mathematical analysis" ليس مردها قصور أسلوب التحليل غير الرياضي في تشخيص شروط التخطيط الاقتصادي ومدى توفرها في كل من النظامين، بل يعود السبب في هذا إلى اتساع انتشار ظاهرة اختلاط المفاهيم الاقتصادية بالشعارات السياسية الفارغة المضمون، تلك التي تسود الأدب الاقتصادي؛ إما جهلاً بحقائق النظريات الاقتصادية أو تبريراً لبعض المواقف السياسية، وإن كان على حساب العلمية في التحليل.

القسم الأول

1: مقدمة وتعريف

لكي نتجنب منذ البدء المناقشات غير المجدية المستندة إلى المعنى اللغوي للتخطيط الاقتصادي، نطرح مدلولات المفاهيم المثارة هنا، مبتدئين بما ندعوه بالكفاءة الاقتصادية "economic efficiency". ينشأ مفهوم الكفاءة الاقتصادية، كغيره من المفاهيم الاقتصادية، من المشكلة الأساسية التي ترتبط بها كل الفرضيات والتحليلات الاقتصادية، تلك هي مشكلة

الزمني "للمستقبل" هو وإن يتقرر بشكل أساسي بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، إلا أن مدى تأثير هذه القرارات في هذا الواقع يساهم أيضاً في تحديده. ج. المشاكل المرتبطة بتوزيع الإنتاج الاجتماعي (عوائد عوامل الإنتاج) على الأفراد المساهمين في عملية الإنتاج.

وبعض النظر عن شكل العلاقات الإنتاجية السائدة في المجتمع، تطرح الحياة العملية تحديها "الاقتصادي" متجسداً في مشاكل الكفاءة الاقتصادية. هذه المشاكل تفرض بالضرورة البحث في إيجاد صيغة ملائمة لتنظيم الآلية الاقتصادية بقصد الوصول بالاقتصاد الوطني إلى حدودها. إن التخطيط الاقتصادي في رأينا هو مجموعة التطبيقات العملية للآلية الاقتصادية المستهدفة الحل "الأفضل" لمشاكل النمو الاقتصادي وتخصيص الموارد الاقتصادية وتوزيع عوائد عوامل الإنتاج (الدخل). وبموجب هذا التعريف، فإن أبعاد التخطيط الاقتصادي، من الناحية النظرية، تمتد لتشمل ليس فقط المجموع الجبري لأبعاد هذه المشاكل، بل أبعاد التفاعل المعقد بينها أيضاً. إن مثل هذا المفهوم لا يتعارض مع الحقائق الاقتصادية المرتبطة بمفهوم الكفاءة الاقتصادية مهما كان منشؤها في الأنظمة المختلفة، ولكن الأمر الذي يثير الجدل والنقاش هو هل يتطابق هذا المفهوم، وبأي مدى، مع الفرضيات الاقتصادية المختلفة التي تستند إليها "أليات" الأنظمة الاقتصادية - الاجتماعية المختلفة؟ إن المنطق العلمي يقتضي الوصول في نهاية تحليلاتنا إلى الإستنتاج الآتي:

"إن التخطيط الاقتصادي لا يمكن أن يكون أداة فعالة على مستوى واحد من الإيجابية في التأثير في كل الأنظمة الاقتصادية - الاجتماعية، طالما كانت الفرضيات

الاقتصادية التي تستند إليها هذه الأنظمة في تحديد معدل النمو الاقتصادي، وشكل توزيع الدخل، ونمط تخصيص الموارد بين الفعاليات الاقتصادية متباينة، بل متعارضة في كثير منها".

2: التخطيط الاقتصادي والرأسمالية

تطرح الأسس النظرية المختلفة لكل من النظامين الرأسمالي والاشتراكي، على الصعيد العملي، نهجين مختلفين للتخطيط الاقتصادي؛ ففي الصورة المثالية للنظام الرأسمالي حيث تشكل الملكية الفردية لوسائل الإنتاج الأساس الذي تستند إليه السوق التنافسية، يلعب المنظم (الرأسمالي) دوره بحرية في تحديد مستوى ونوع الإنتاج استجابة لسلوك المستهلك. وأن قرارات المستهلكين التي تجد ردود فعلها في قرارات المنتجين هي التي سنقرر نمط تخصيص الموارد الاقتصادية وشكل توزيع الدخل، وهي التي ستدفع معدلات النمو الاقتصادي إلى التزايد وبارتفاع مستمر. في مثل هذا النظام، تعكس الأسعار السائدة للسلع المنتجة ليس فقط أهمية الإنتاج (سلعا وخدمات) بالنسبة للمستهلك أو المنتج، ولكن في حالة تحقيق أقصى الموازنة بين العرض والطلب تؤدي حركة الأسعار إلى تحقيق أقصى المنفعة للمستهلك وأقصى الربح للمنتج. وبعبارة أخرى، إن الأسعار في حالة التوازن العام ستكون مساوية للمنفعة الحدية للمستهلك، وفي نفس الوقت مساوية للإنتاجية (التكلفة) الحدية لعوامل الإنتاج. إن مثل هذا التوازن سيتغير باتجاه تصاعدي للإنتاج وللاستهلاك معا عندما تؤدي زيادة الأرباح إلى مستوى أعلى من التقدم التكنولوجي، وبالتالي تحقيق مستوى أعلى من الاستثمار في قطاع السلع الرأسمالية (الإنتاجية). أي أن الربح سيلعب

الخارجية (External Economies) والبطالة.. الخ، تشكل أسباباً خطيرة تضعف من قبول فرضيات هذا النهج في الواقع. فبالنسبة لمشكلة توزيع الدخل التي تفرض نفسها ليس فقط على الاقتصاديين، بل على السياسيين أيضاً، أصبح من المقبول طرح النتيجة الآتية، وهي:

"إن التفاوتات الكبيرة في مستويات الدخل (المعيشة) ليست على صعيد العلاقات الاجتماعية مسألة مرغوباً فيها. ولذلك، أصبح تدخل السلطة السياسية في آلية النظام أمراً لا بد منه. وأن مثل هذا التدخل الذي يأخذ عادة شكل نظام من الضرائب والمساعدات هو في الواقع اخلال بالآلية ذاتها، وإذا اعتمد، سوف يؤثر بشكل غير مباشر في طبيعة العلاقات بين الأسعار (بين أسعار السلع المنتجة وأسعار عوامل الإنتاج) التي مؤداها منع التوزيع الأمثل للعمل ولرأس المال وغيرها من الموارد الاقتصادية" (4).

أما مسألة وجود عناصر الاحتكار التي تزداد ظاهرتها انتشاراً وعمقاً، فهي تجعل من فرضية "المنافسة التامة" أمراً غير مقبول على الإطلاق. أضف إلى ذلك، عدم المعرفة التامة بالسوق وظروفه (بالنسبة للمنتج) والأسعار وتطورها، وتعتمد المنظم (الرأسمالي) التمويه عن المستوى الحقيقي لهذه الأسعار ليس فقط بالنسبة للمستهلك، بل حتى لزملائه في الصناعة، كل هذا يلغي فرضية توفر شروط السوق التنافسية الكاملة. كذلك، فإن مبدأ سيادة المستهلك هو الآخر معرض للتعثر لكون قرارات المستهلكين في واقع الحياة لن تؤدي دائماً إلى تحقيق أقصى المنفعة له. فعلى الرغم من توفر حالة "الاختيار" لدى المستهلك، إلا أن المعرفة الناقصة بالسوق وتأثير دور الإعلان وقوة المبادرة للصناعات الكبيرة، تجعل من مبدأ

الدور الرئيسي المحرك للنشاط الاقتصادي. تحت هذه الفرضيات، ستقود "آلية النظام" الاقتصاد الوطني نحو الكفاءة الاقتصادية، ولذلك، فإن أي تدخل فيها سيكون حائلاً دون الاقتراب من حدودها. بموجب هذا النهج، يلعب المنظم (الرأسمالي) الدور الرئيسي في عملية الوصول إلى الحل الأفضل لمشاكل الكفاءة الاقتصادية، وبالتالي، فإن حسابات المنظم الدقيقة للتكلفة والربح هي التي ستقرر أفضل توزيع للموارد الاقتصادية، كما ستحقق أعلى نمو اقتصادي ممكن، إضافة إلى فرض نوع من توزيع الدخل يناسب هذه الآلية وفرضياتها. ومن الناحية العملية، ما على المنظم (الرأسمالي) سوى وضع نموذج إنتاجي لمؤسسته يستهدف تحقيق أقصى الأرباح في حدود إمكانات الظروف الاقتصادية وتكنولوجيا الإنتاج. وفي ظل المنافسة التامة، فإن الوحدات الإنتاجية (المؤسسات الاقتصادية) الأكثر كفاءة من الناحية الاقتصادية هي التي ستقود الاقتصاد الوطني نحو حدود الكفاءة الاقتصادية.

إن هذا النهج في التخطيط الاقتصادي، أي تخطيط المنظم الخاص لفعالياته الاقتصادية، فيه من الاتساق النظري المنطقي لحركة المتغيرات الاقتصادية المتمثلة بصورة عامة باتجاهات العرض والطلب وتغير الأسعار، ما لا يمكن توجيه الاعتراض عليه. على أن حقيقة ارتباط فرضياته الأساسية بالواقع تطرح تساؤلات ومشاكل جدية تجعل من آليته النظرية معرضة للتعديل، وبالتالي تضعف تأثيراتها في عملية الوصول إلى الكفاءة الاقتصادية. فظهور عناصر الاحتكار (Monopolies Elements) ووفورات الإنتاج الواسع (Economies of Scale) والوفورات الاقتصادية

سيادة المستهلك فرضية صعبة القبول (5). إن هذه المشاكل هي التي تخلق حالة العطالة في الموارد الاقتصادية في مرحلة معينة من مراحل النمو، وهي التي تفرض على السلطة الرأسمالية التدخل في آلية النظام لإعادة التوازن بين العرض والطلب. هذه المشاكل، ومهما تكن تفسيرات وطرق حل أزمتها، فإن النتيجة الهامة التي يمكن استخلاصها، هي: "إن في إطار الصورة المثلى للرأسمالية خلل يلازم آلية النظام، الأمر الذي يعيق الوصول بالاقتصاد الوطني إلى حدود الكفاءة الاقتصادية، طالما أن هذه الآلية تتحرك في مجتمع له علاقاته الاجتماعية والسياسية المعينة. والسؤال الآن هو، هل تستطيع الدولة الرأسمالية في ظل الفرضيات الأساسية للنظام الاقتصادي، أن تتدخل بما يضمن الوصول إلى الكفاءة الاقتصادية؟ أو بعبارة أخرى، هل يمكن التأثير في طبيعة آلية النظام بما يكفل معالجة الخلل الناجم من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي يطرحها الواقع؟". ذلك ما سنحاول معالجته في الفقرة (4) من هذه الدراسة.

3: التخطيط الاقتصادي والاشتراكية

على خلاف نهج التخطيط في نظام السوق الحرة حيث تعالج مضامين الكفاءة الاقتصادية من قبل المنظم (الرأسمالي) على مستوى الوحدة الإنتاجية، فإن نهج التخطيط في الاقتصاد الاشتراكي يعالج المسألة من الاتجاه المعاكس تماما، حيث يطرح وجهة نظر المجتمع بدلا من وجهة النظر الفردية في التحليل. يتركز التبرير المقدم لهذا النهج في أن الكفاءة الاقتصادية لها جذورها في العوامل الاجتماعية والسياسية، إضافة للبعد الاقتصادي الذي تحتويه. ولذلك،

ليس من الممكن الوصول إليها دون الأخذ بهذه العوامل وتأثيراتها المتبادلة جميعا بنظر الاعتبار. إن أسس هذا النهج تستند في الواقع العملي إلى مبدأ إلغاء الملكية الفردية لوسائل الإنتاج وإحلال الملكية الجماعية بدلها، وحيث يتم التوزيع العادل للإنتاج الاجتماعي على جميع المساهمين فيه دونما ظهور حالة التفاوت في مستويات الدخل، كما يتم فيها تحقيق التوزيع الأمثل للموارد الاقتصادية طالما يمكن السيطرة على العرض والطلب. وفي ذات الوقت، يتمكن المجتمع، وهو يمتلك وسائل الإنتاج، من تحقيق معدلات عالية في النمو الاقتصادي لإشباع حاجاته المادية والثقافية المتزايدة. إن مهمات التخطيط الاقتصادي بموجب هذا النهج تنجز بواسطة مؤسسات الدولة الممثلة للمجتمع والتي قد تتخذ في صورتها المتطورة شكل نموذج اقتصادي شامل لكل الفعاليات الإنتاجية والمتغيرات الاقتصادية، وتحدد فيه معايير الكفاءة الاقتصادية على كل مستويات الاقتصاد الوطني.

إن السؤال الهام الذي يطرح على منظري هذا النهج يتركز في تحديد مدى المساهمة الفعلية لمعايير الاستثمار والاستهلاك في حل المشاكل التي تحتويها الكفاءة الاقتصادية. وبتعبير آخر، إذا كان هذا النهج قد عالج بحسم إحدى المشاكل الرئيسية في الكفاءة الاقتصادية، وهي مشكلة توزيع الدخل (المتولد من الإنتاج)، وذلك بتأميم وسائل الإنتاج وجعلها جماعية، فكيف الحال بالنسبة لمشكلات النمو الاقتصادي والتوزيع الأمثل للموارد الاقتصادية في غياب الأسعار كمقياس للتعبير عن ندرتها النسبية في بدائل الإنتاج. إن التسبب النظري المطروح للإجابة على مثل هذا التساؤلات يمكن عرضه كالآتي:

على الرغم من عدم وجود حرية للمستهلك أو حرية الانتقال واختيار العمل، فإن التوزيع الأمثل للموارد وتحقيق معدل مرتفع للنمو الاقتصادي يمكن أن ترسمه الهيئة المركزية للتخطيط وذلك باتباع ما يسمى بطريقة التجربة والخطأ. بهذه الطريقة، إن الأسعار التي تحددها الهيئة المركزية للتخطيط سوف تنجز المهمات التي تقوم بها الأسعار في اقتصاديات السوق (6). على أن المشكلة النظرية المعقدة التي تتطلب المعالجة هنا هي إذا كانت وسائل الإنتاج مؤمنة، أي ليس هناك سوق لتبادل السلع الإنتاجية، فليس هناك إذن أسعار حقيقية لها إذ لا يوجد لها مقياس للتبادل. كما أن عرض السلع الاستهلاكية، بموجب هذا النهج، يكون قد تحدد عادة قبل الاعتبار بتفضيلات المستهلك، وبالتالي، ليس هناك من مقياس يعكس ندرتها النسبية.

إن المعنى الأخير لهذه الأسئلة يمكن صياغته كالآتي:

كيف يمكن ضمان تحقيق التوزيع العقلاني للموارد الاقتصادية، وكيف يمكن التأكد من أن معدل النمو المتحقق هو أعلى ما يمكن تحقيقه من بين البدائل العديدة جدا للإنتاج؟ وبتفصيل أكثر، إذا كان الربح والتقدم التكنولوجي هما أساس التطور الاقتصادي العام في نظام السوق، فإن نهج التخطيط في الاقتصاد الاشتراكي يستند في تقديره لمعدل النمو الاقتصادي العام على تقييم مجمل إنتاج المشروعات العامة وإمكانات النمو فيها. وإذا كان تقدير الإمكانات، على الأقل من الناحية الفنية، فيه من الكفاءة ما يضمن درجة عالية من الدقة في الحساب الاقتصادي، فإن معايير توزيع هذه الإمكانات بين الفعاليات (المشاريع) الاقتصادية معرضة للنقد لسببين رئيسيين: الأول، هو أن الأسعار المعدة من الهيئة

المركزية للتخطيط ربما لا تعكس الندرة النسبية لرأس المال وللعمل المستخدم في الإنتاج على المستوى الوطني (7). والسبب الثاني هو: أن الأسعار المقررة على مستوى المشروع ربما لا تعكس تكلفة الإنتاج، أي أن النظم هنا في تحديد أسعاره ربما لا تستند إلى مبدأ أقل تكلفة إنتاجية ممكنة.

وإذا تركنا معطيات التجربة العملية التي تشير إلى أن القرارات الاستثمارية تبنى في الغالب على اعتبارات فنية بالدرجة الأولى، وليست اقتصادية، فهل يجد المبدأ الاشتراكي الرئيسي في التخطيط، مبدأ الحصول على أكثر زيادة ممكنة في الطاقة الإنتاجية بأقل تكلفة استثمارية، "آلية" نظرية تنسجم مع القوانين الاقتصادية والاجتماعية للاشتراكية وتطبيقاتها العملية؟

القسم الثاني

4: معالجة رياضية في التخطيط الاقتصادي بين الرأس مالية والاشتراكية
لنبدأ من المشكلة الاقتصادية التي تواجه المؤسسة الفردية في نظام السوق، كما تم عرضه في الفقرة (2)، ولنعتبر عن هذه المشكلة بنموذج البرمجة الرياضية كالآتي: تهدف المؤسسة الإنتاجية من نشاطها إلى تحقيق أقصى الأرباح الممكنة (f_i) الناجمة من إنتاج وبيع السلع (X_i) تحت ظل الظروف الاقتصادية والتكنولوجية، وربما السياسية، السائدة والتي يمكن التعبير عنها فنيا بالمعاملات (a_{1i}) التي تعكس كمية (قيمة) المستخدمة اللازمة لإنتاج وحدة واحدة من (X_i) وفي حدود إمكانات الموارد الاقتصادية المتاحة (C1). وبتعبير رياضي، فإن نموذج تخطيط المؤسسة لإنتاجها هو الآتي:

$$\begin{array}{l}
 \text{To maximize } Z = \sum_i^n f_i X_i \\
 \text{Subject to: } \sum_i^n a_{1i} X_i \leq C_1 \\
 \text{Such that: } X_i \geq 0 \\
 i = 1, 2, \dots, n
 \end{array} \quad \dots \quad 1$$

حيث تعبر (Z) عن مجموع دالة الربح و(n) عن عدد أنواع السلع المنتجة. ولنبدأ في تحليلاتنا بتحديد أكفأ قرار اقتصادي يمكن اتخاذه من قبل المنظم بصورة أولية. هذا القرار هو أن تبدأ المؤسسة بإنتاج السلع التي تحقق أعلى نسبة من الربح لكل وحدة واحدة من الموارد الاقتصادية المتاحة والمستخدمه في إنتاج هذه السلع، أي انتخاب أكبر نسبة من بين النسب $\frac{f_i}{a_{1i}}$ ولنفترض أن هذه النسبة هي $\frac{f_2}{a_{12}}$ التي تعني أن المؤسسة ستبدأ بإنتاج وحدة واحدة من X_2 وبعبارة أخرى، أن:

$$\frac{f_2}{a_{12}} \geq \frac{f_i}{a_{1i}} \quad \dots \quad 2$$

وبموجب هذا القرار الاقتصادي، فإن مستوى الإنتاج من السلع المختلفة ($X_1, X_2, X_3 \dots X_n$) للمؤسسة سيكون $(0, \frac{C_1}{a_{12}}, 0 \dots 0)$ ، أي أن مجمل الربح سيكون:

$$Z = 0 + \frac{C_1}{a_{12}} + 0 \dots 0$$

وبذلك، سيكون الربح الحدي الناجم من استخدام وحدة واحدة جديدة من الموارد C_1 مساوياً إلى ما يأتي:

$$\frac{f_2}{a_{12}} + (C_1 + 1) - \frac{f_2 C_1}{a_{12}} = \frac{f_2}{a_{12}} \quad \dots \quad 3$$

وبمعنى آخر، أن أقصى ربح ممكن من البدائل $\frac{f_i}{a_{1j}}$ سيكون مساوياً للربح الحدي، أي:

$$\text{Maximum } \frac{f_i}{a_{1j}} = \frac{f_i}{a_{1j}} = \frac{\partial z}{\partial c_1} = \text{Marginal profit} \dots 4$$

والآن لنفترض أن (λ) هي بمثابة مؤشر للربحية غير الاعتيادية (abnormal profit)، أي أن:

$$\lambda_i = f_i - a_{1i} U1$$

في تحريك عملية النمو الاقتصادي. وعنده أيضاً، ستتقرر عملية توزيع عوائد عوامل الإنتاج (الدخول) بالشكل الذي يؤمن استقرار هذا السعر. أما المقدار $a_{1i} U1$ فهو يعبر عن تكلفة الإنتاج بالكمية (القيمة) a_{1i} مع العلاقة بالندرة النسبية للموارد الاقتصادية المتاحة $C1$. إن العلاقة السابقة يمكن إعادة كتابتها على النحو الآتي:

حيث تمثل $U1$ السعر الذي عنده يكون استغلال وحدة إضافية من الموارد المتاحة $C1$ يضيف أكبر ربح ممكن لدالة الهدف Z . وبعبارة أخرى، أن السعر $U1$ الذي يطلق عليه أحياناً سعر الظل Shadow Price أو سعر الكفاءة - E ciency Price هو الذي سيحقق التوزيع الأمثل للموارد الاقتصادية بالشكل الذي يزيد من مستوى دالة الربح إلى أقصى الحدود الممكنة، وبالتالي سيضمن للربح دوره الفعال

$$\frac{\lambda_i}{a_{1n}} = \frac{f_i}{a_{1n}} - U1 \dots 5$$

وبتفصيل أكثر:

$$\frac{\lambda_1}{a_{11}} = \frac{f_1}{a_{11}} - U1 \dots$$

$$\frac{\lambda_2}{a_{12}} = \frac{f_2}{a_{12}} - U1 \dots$$

$$\frac{\lambda_3}{a_{13}} = \frac{f_3}{a_{13}} - U1 \dots$$

↓

$$\frac{\lambda_n}{a_{1n}} = \frac{f_n}{a_{1n}} - U1 \dots 6$$

من العلاقة (6) والعلاقة (2)، نستخلص ما يأتي:

$$\frac{\lambda_1}{a_{11}} = \frac{f_1}{a_{11}} - U1 \leq 0 \dots$$

$$\frac{\lambda_2}{a_{12}} = \frac{f_2}{a_{12}} - U1 \leq 0 \dots$$

$$\frac{\lambda_3}{a_{13}} = \frac{f_3}{a_{13}} - U1 \leq 0 \dots$$

↓

$$\frac{\lambda_n}{a_{1n}} = \frac{f_n}{a_{1n}} - U1 \leq 0 \dots 7$$

بين المساهمين في عملية الإنتاج من العمال وأصحاب رؤوس الأموال والمنظمين. ولو افترضنا أن هذا النموذج يعبر ليس فقط عن نشاط مؤسسة إنتاجية واحدة، بل يعبر أيضاً عن جميع القطاعات والأنشطة الإنتاجية في المجتمع، عند ذلك فإن الحل الأمثل للوصول إلى الكفاءة الاقتصادية سيكون رهناً بشرط الأمثلية، لكل الوحدات الإنتاجية في المجتمع. وبتعبير رياضي، لنفترض أن Z تعبر عن المجموع الجبري لأهداف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية وحتى السياسية التي ستقرر مع الموارد المتاحة C الحدود الممكنة لمستوى الإنتاج من X ، فإن هذا النموذج يمكن صياغته على النحو الآتي:

إن العلاقة الأخيرة (7) ذات مغزى اقتصادي هام. إنها تقرر الآتي: في أي مؤسسة إنتاجية يتحقق التوزيع الأمثل للموارد المتاحة عندما يكون الربح غير الاعتيادي صفراً، بينما يؤدي التوزيع "الأقل كفاءة" من الناحية الاقتصادية إلى مستوى أدنى من الربح التجاري. كما أن معدل النمو العام سيتأثر بشكل غير مباشر نتيجة تحقيق أو عدم تحقيق معيار "الربح غير الاعتيادي يساوي الصفر" (Zero-Profit Optimality Condition)، ولنطلق عليه "شرط الأمثلية". أما توزيع عوائد عوامل الإنتاج (الدخل) بين المساهمين فيه، فهو الآخر يتأثر بشكل غير مباشر بشرط الأمثلية. فاستيفاء هذا الشرط يعني تحقيق أفضل توزيع لعوائد عوامل الإنتاج (الدخل)

To maximize $Z = f x$

Subject to: $A x \leq C \dots 8$

Such that: $x \geq 0$

لا بد من توفره عند اتخاذ القرارات الاقتصادية الخاصة بتحديد الاستثمار والإنتاج، سيكون كالاتي:

$$L = f x - u (A x - C)$$

$$\frac{\partial L}{\partial x} = f - u A \leq 0$$

... 9

في مستوى أسعار الظل بعد تنفيذها بالشكل الذي يعبر من جديد عن حالة استخدام الموارد بصورة مثلى بما يحقق الأهداف المقررة. ولربما يؤدي استخدام أسعار الظل المعدلة من جديد في تقييم المشروعات إلى تعديل في الخطط الاستثمارية سواء بإضافة مشروعات جديدة أو تغيير في كيفية تخصيصات الموارد. ولذلك أيضاً، فإن تعديلها مرة ثالثة أو رابعة... الخ، أمر ربما يتطلب تكراره ولحين تحقق الحالة المثلى للاقتصاد، كما عبر عنها في العلاقة رقم (9).

لنفترض أن الهيئة المركزية للتخطيط ستستطيع طرح أسعار الظل وذلك بالوصول مثلاً إلى الحل الأمثل لنموذج البرمجة الرياضية المعبر عنه في العلاقة رقم (8)، فإن على التنظيمات الاقتصادية ذات العلاقة باستخدام هذه الأسعار في تقييم مشروعاتها الاستثمارية الجديدة وفق معيار الأمثلية، وعلى ضوء نتائج هذا التقييم تقوم الهيئة العامة للتخطيط بتشجيع أو رفض المشاريع الاستثمارية المقترحة. وكما أشرنا سابقاً، إن القرارات الاستثمارية هذه تأثيرات لاحقة في نمط تخصيص الموارد ومعدلات نمو الإنتاج ونمطه في القطاعات الاقتصادية المختلفة، لذلك، فإن النموذج الرياضي الذي اقترحه في البدء يجب أن يتغير إلى ما يأتي:

وباستخدام طريقة لانكراجيان Lagrangean Method في حل النموذج أعلاه، فإن شرط الأمثلية الذي

حيث تعبرنا عن أسعار الظل أو أسعار الكفاءة للسلع المنتجة، كما أشير إلى ذلك آنفاً. العلاقة الأخيرة (رقم 9) يمكن أن تعرف كالاتي:

لتحقيق أقصى ما هو ممكن من أهداف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وبأقل تكلفة اقتصادية واجتماعية وسياسية، فإن مستوى الإنتاج الأمثل يتقرر عند أسعار الكفاءة أو أسعار الظل. في مثل هذه النتيجة يقع الإرتباط بين الحسابات الاقتصادية للمشروعات الفردية أو القرارات الاستثمارية على مستوى الوحدة الإنتاجية وبين التخطيط على المستوى الوطني. وبتعبير آخر، إن المشروعات اللازم شمولها في الخطة الحكومية المثلى هي تلك المشروعات التي تستوفي شرط الأمثلية. على أن للقرارات الاستثمارية هذه تأثيراً لاحقاً ليس فقط في حالة توزيع الموارد، بل وأيضاً، في معدلات نمو الإنتاج في القطاعات الاقتصادية الأخرى. ولذلك، فإن الآلية الوحيدة التي يمكن بها استخدام أسعار الظل أو أسعار الكفاءة هي تلك التي يمكن بها تعديل هذه الأسعار المقترحة من قبل الهيئة المركزية للتخطيط بشكل متتابع. وبعبارة أخرى، إن الهيئة المركزية للتخطيط لا بد أن تأخذ بنظر الاعتبار تأثيرات المشروعات الاستثمارية المقترحة

To maximize $Z^* = f^*x$

Subject to: $A^*x \leq C^*$

Such that: $x \geq 0$

هذه الحالة، لن نعكس الأسعار النذرة النسبية للموارد الاقتصادية، وبالتالي، ستؤدي الأسعار العامة إلى ابتعاد الاقتصاد الوطني عن حالة التوزيع الأمثل لهذه الموارد. الاحتمال الثاني، يبنى على فرضية أن الهيئة المركزية للتخطيط ربما تستطيع الوصول إلى بيانات دقيقة عن الموارد الاقتصادية المتاحة وتقييمها، وعن حقيقة الأسعار السوقية للمنتجات، وعند هذه الحالة، تبني مسألة إمكانية تقييد القرار الاستثماري الفردي بمعيار شرط الأمثلية على مدى زمني معين. إن الطبيعة التنافسية بين المؤسسات، وأهمية التوقيت الزمني لقراراتها الاستثمارية، تؤثر سلباً في جوهر آلية التخطيط الوحيدة هذه، لسبب واضح هو أن أسلوب التتابع يتناقض مع مبدأ اقتناص فرص الربح عند الرأسمالي. إن هناك حالة واحدة فقط تنسجم مع هذا الأسلوب في التخطيط، تلك هي أن تكون المتغيرات الاقتصادية (الإنتاج والاستهلاك) تحت سيطرة كاملة وواحدة يمكن عن طريقها تكييف الإنتاج بما يتناسب مع الطلب في حدود الممكنات الاقتصادية والفنية والاجتماعية والسياسية. إن هذا الاستنتاج يلغي تماماً فرضية توافق الأسس النظرية للرأسمالية مع إمكانية الوصول إلى حدود الكفاءة

حيث تعبر f^* و A^* و C^* عن معاملات التفضيل، ومعاملات التداخل القطاعي، والمعاملات المعبرة عن حدود الممكنات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحدود الدنيا والعليا للمتغيرات الاقتصادية المحسوبة خارج النموذج، والمعدلة جميعاً على ضوء القرارات الاستثمارية التي اتخذت في المرحلة الأولى للتخطيط.

ولنشير الآن إلى المشكلة التي نحن بصدها، ألا وهي، كيف يمكن بموجب آلية التخطيط هذه السيطرة على القرارات الاستثمارية بالشكل الذي يؤمن الوصول إلى أسعار الكفاءة لمستخدمات الإنتاج وللبيع المنتجة، ثم استخدام هذه الأسعار بعدئذ لتقرير فيما إذا كانت هذه القرارات قد استوفت شرط الأمثلية أم لا؟ في ظل الفرضيات العامة لنظام السوق هناك احتمالان لسلوك المؤسسة الإنتاجية الفردية وموقفها من المسألة؛ الإحتمال الأول، هو أن المؤسسة الرأسمالية أو "المنظم" عند اتخاذ القرار الاستثماري ربما يعتمد في إعطاء معلومات غير حقيقية بالشكل الذي يؤدي إلى تغير سعر الكفاءة بما يحقق زيادة أرباحه عن الحد الاعتيادي أي "الإخلال بشرط الأمثلية ولكن بمستوى يحقق ربحاً تجارياً أعلى، أي أن "الربح غير الاعتيادي أكبر من صفر". وفي مثل

الاقتصادية. فالملكية الفردية لوسائل الإنتاج لا تسمح لأي سلطة مركزية للتخطيط بتوجيه فعاليتها بما يضمن تحقيق شرط الأمثلية، كما أن المؤسسات الفردية ذاتها لا تلتزم بهذا الشرط في حالة تحقيقها لأرباح بمستوى أعلى من

المستوى الذي تستوفي به شرط الأمثلية. إن هذا الاستنتاج يجد شواهد في الواقع المعاصر للاقتصاديات الرأسمالية، فليس انتشار ظاهرة الاحتكار وتوسعها، أفقياً وعمودياً، إلا تعبيراً عن حالة التناقض بين شرط الأمثلية والسلوك الاقتصادي الفردي للوحدات الإنتاجية؛ ففي الاحتكار حيث يكون مستوى زيادة الربح أعلى من المستوى الذي تستوفي به شرط الأمثلية، تخلق الحالة التي تكون فيها المؤسسات الصغيرة الأخرى غير قادرة على الحفاظ على شرط الأمثلية، وبالتالي فهي أمام موقفين؛ إما تحقيق زيادة في الأرباح بما يتناسب والمستوى الذي تحققه المؤسسات الاحتكارية، أو ترك السوق نهائياً. ولوقبلنا حقيقة وجود الاحتكار هذه، فإن السيطرة على اتجاهات العرض والطلب في ظل هذه الحالة ستدفع بالاقتصاد بعيداً عن حدود الكفاءة الاقتصادية طالما كان الربح التجاري، وليس شرط الأمثلية أو الكفاءة الاقتصادية، مؤشراً يهتدى به في تطوير فعاليات المؤسسات الاقتصادية وكيفية توزيع مواردها.

يوجد أسلوب التخطيط المتتابع في النظام الاشتراكي نظرياً شروط تنفيذها الخاصة بضرورة السيطرة على اتجاه وحجم المتغيرات الاقتصادية التي يشملها الإطار العام لنموذج التخطيط. فالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج تسمح بتحقيق

التوافق بين القرارات الاقتصادية على أبعاد زمنية متفاوتة دونما خطر حدوث اختلال في التوازن العام بين العرض والطلب وما يترتب على ذلك من نتائج تؤدي إلى ابتعاد الاقتصاد الوطني عن حدود الكفاءة الاقتصادية.

على أن الحل الأمثل لتخصيص الموارد الاقتصادية لا يمكن الوصول إليه عن طريق حل النموذج الشامل لتخطيط الاقتصاد الوطني كما اقترحناه سابقاً، فالعقدة التي تعيق الوصول إلى مثل هذا الحل هي كيف يمكن تقييم الموارد الاقتصادية الوطنية الداخلة في النموذج بالطريقة التي تضمن أن تعبر "أقيامها" عن ندرتها الاقتصادية النسبية. وبعبارة أكثر تحديداً، كيف يمكن تقييم رأس المال من معدات وآلات... والعمل على وفق معايير الندرة الاقتصادية النسبية لهذه الموارد في ظل القانون الاشتراكي القاضي بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، وبالتالي، إلغاء سوق التبادل وغياب الأسعار كمقياس معبر عن أهميتها النسبية في هذا السوق. في النظام الاشتراكي هناك دائماً احتمال التحيز غير الموضوعي عند تقييم هذه الموارد، الأمر الذي قد يؤدي إلى عكس صورة غير حقيقية لمستوى الفعاليات الاقتصادية سواء على مستوى المشروع أو المستوى الوطني. إن علاج هذه المشكلة يمكن أن يتم على المستوى النظري كالآتي:

تقوم الهيئة المركزية للتخطيط بتقييم وتوزيع الموارد الاقتصادية على القطاعات أو المؤسسات الإنتاجية بصورة أولية. ولنعتبر عن هذا التقييم والتوزيع بـ (G_i) أي أن:

التوزيع والتقييم الأولي للموارد الاقتصادية التي تقرر مستوى ونوع نشاطاتها الإنتاجية على ضوء الأهداف العامة وفي حدود إمكانات تكنولوجيا الإنتاج. ولنعتبر رياضياً عن نموذج تخطيط الفعاليات الاقتصادية للمؤسسات كآلاتي:

$$\sum_{i=1}^n g_i = C$$

حيث C تعبر عن مجموع الفعاليات الاقتصادية الداخلة في نموذج التخطيط الشامل. في هذا النموذج، تستلم القطاعات أو المؤسسات الإنتاجية الداخلة في الهيكل العام

To maximize $k x$
Subject to: $B x \leq g_i$
Such that: $x \geq 0$

المتاحة لها وذلك بحل نماذجها التخطيطية، ثم ترسل هذه الأسعار إلى الهيئة المركزية للتخطيط التي تقوم بدورها بإعادة تقييم وتوزيع الموارد الاقتصادية مرة ثانية على ضوء هذه الأسعار. ولربما تصل هيئة التخطيط من حل نموذج التخطيط الشامل المعدل إلى تقييم وتوزيع جديدين للموارد الاقتصادية المخصصة للمؤسسات الإنتاجية التي يشملها نموذج التخطيط الشامل. ولنفتضح في مثل هذه الحالة تغير g_i إلى g_i^* ، عند ذلك تقوم المؤسسات الإنتاجية، بتوجيه من الهيئة المركزية للتخطيط، بتعديل نماذجها كما يأتي:

حيث يعبر الموجه الأفقي k عن معاملات التفضيل الخاصة بالمؤسسة والمرتبطة بالفعاليات الإنتاجية التي يشتملها الموجه العمودي x ذات العلاقة. أما B فهي مصفوفة مربعة ذات أبعاد متساوية لعدد من الفعاليات الإنتاجية (الصناعية) للمؤسسة وتعبر عن معاملاتهما عن حدود الإمكانيات الاقتصادية والفنية. أما g فهو موجه عمودي تعبر أقيامه عن الموارد الاقتصادية المتاحة للمؤسسة والمقررة من قبل الهيئة المركزية للتخطيط. تقوم هذه المؤسسات الإنتاجية باستخراج أسعار الظل الخاصة بالموارد الاقتصادية

To maximize $k x$
Subject to: $B x \leq g_i$
Such that: $x \geq 0$

جديد. ولربما تصل هي الأخرى إلى تقييم وتوزيع جديدين للموارد الاقتصادية الخاصة بجميع المؤسسات الإنتاجية على المستويات الأدنى من المستوى الوطني العام. إن تكرار هذه العملية يصل في النهاية إلى تطابق النموذج التخطيطي الشامل مع النماذج التخطيطية الجزئية

ومن حل هذا النموذج، فإن المؤسسات الإنتاجية ربما تصل إلى مجموعة جديدة من أسعار الكفاءة لمواردها الاقتصادية ومنتجاتها أيضاً. وعند ذلك، ترسلها إلى الهيئة المركزية للتخطيط لتقوم هي الأخرى بتعديل نموذج التخطيط الشامل على ضوءها وإعادة حله من

لهذه المشكلة، إلى جانب التقييم والتقدير الدقيق للموارد الاقتصادية المتاحة، يمكن إيجاده رياضياً بما يسمى بالبرمجة التاشيرية Parametric Programming الذي يعني أن نموذج التخطيط الشامل يمكن أن يوفر سلسلة من بدائل النماذج وذلك بتغيير أقيام المعاملات k وقيم C والمعاملات A وعند ذلك، يمكن أن تشير حلول هذه النماذج إلى الحدود العليا الممكنة للنمو الاقتصادي العام.

للمؤسسات وعندها يتحقق التوزيع الأمثل للموارد الاقتصادية دونما نشوء مشكلة تقييم الندرة النسبية لهذه الموارد. ولنشير الآن إلى مسألة كيفية تقدير أقصى معدلات النمو الممكنة على آجال زمنية طويلة، أو بعبارة أخرى، كيف يمكن ضمان تحقيق الفعاليات الاقتصادية لأعلى معدلات النمو الممكنة في غياب "الربح" كمحرك لتطورها. الحل النظري

الهوامش:

(1) النص الكامل للدراسة المنشورة في مجلة "العلوم الاقتصادية والإدارية" المجلد 1 العدد 1 السنة 1973 الصادرة عن جامعة بغداد، والتي لم يتغير مضمونها باستثناء تهذيب بعض مفردات اللغة وتصحيح الأخطاء المطبعية في بعض رموز المعادلات المستخدمة وزيادة الإيضاح بتنقيح بعض العبارات دون الأخلال بمعناها أو حتى نكهة تداولها في مناقشات ذلك الوقت، مع تحسين طريقة عرضها بما يقربها أكثر من مفردات الأدب الاقتصادي السائد في الوقت الحاضر. فالحفاظ على الصيغة الأصلية للدراسة يعبر برأينا عن مستوى التطور الاقتصادي الفكري في ذلك الوقت. ويمكن مراجعة النص الأصلي في موقع المجالات العلمية الأكاديمية العراقية (www.iasj.net/ias).

(2) الدكتور صبري زاير السعدي يعمل حالياً رئيس هيئة إعداد الخطط والنماذج التخطيطية في وزارة التخطيط. حصل على الدكتوراه في جامعة برمنكهام في انكلترا في التخطيط الاقتصادي. نشر عدة أبحاث منها "الخطوط العامة لنموذج تخطيط شامل لتطور الاقتصاد العراقي"، و"نموذج متعدد المراحل لتخطيط اقتصاديات البلدان النامية - بالإنكليزية"، و"تأثير التغير في ميزان المدفوعات على تركيب الاقتصاد العراقي - نموذج رياضي - بالإنكليزية" و"تطبيقات المستخدم - المنتج والبرمجة الرياضية في المؤسسات الصناعية". يعتمد الدكتور صبري الأسلوب الرياضي والكمي في تحليلاته الاقتصادية النظرية والتطبيقية. المحرر.

(3) تتحدد أشكال بدائل الإنتاج وتتعدد طبقاً للظروف الموضوعية المقررة لشكل علاقات الإنتاج في المجتمع وحالة التكنولوجيا الإنتاجية.

(4) يؤدي وجود الوفورات الاقتصادية الخارجية ووفورات الإنتاج الواسع في ذات الوقت بالضرورة إلى بروز الاختلافات بين التكلفة الاجتماعية والتكلفة الفردية (الخاصة) للموارد الاقتصادية، كذلك يثير مسألة الاختلاف بين الربح الفردي والربح الاجتماعي. إن المنظم الخاص لا يعبر مسألة التمييز هذه أي اهتمام. فالأسعار التي يستخدمها في حساباته تعكس التكلفة والربح لفعالياته الإنتاجية فحسب، وليس هناك مراعاة للثروة والمنفعة الوطنية عند اتخاذ القرارات الاستثمارية إلا بالقدر الذي يزيد في أرباحه الخاصة.

(5) لقد صار معروفاً، أن السلطة السياسية طالما تدخلت لأسباب اجتماعية أو سياسية لتفرض قيوداً كثيرة تحد من حرية المستهلك في الاختيار.

(6) هي إذا كانت وسائل الإنتاج مما تطرح عادة على الصعيد النظري الآلية التي اقترحها الأستاذ أوسكار لانكة في تخطيط الاقتصاد الاشتراكي لمعالجة المسائل المثارة أعلاه. فالأسعار التي تقدرها الهيئة المركزية للتخطيط في النظام الاشتراكي، في رأيه، يمكن أن تؤدي نفس وظيفتها في نظام السوق، وأن أي خطأ في الحساب من قبل هيئة التخطيط المركزي سيعلن عن نفسه بطريقة موضوعية إما بزيادة العرض على الطلب أو بالعكس. راجع:

Lange, O., and Taylor, F. M., "On the Economic Theory of Socialism", University of Minnesota, 1938, 2nd print 1948.

(7) يميز الأستاذ أوسكار لانكة بين نظامين للاشتراكية. في الأول، ويسميه بالاشتراكية التنافسية (Competitive Socialism) حيث يوجد سوق للسلع الاستهلاكية وسوق للعمل، أي أن عنصر العمل يتحرك بحرية من مكان إلى آخر وفقاً لتفضيلات العامل، ولكن ليست هناك سوق للسلع الرأسمالية ولا للموارد الإنتاجية. في النظام الثاني للاشتراكية، لا يوجد سوق للسلع الرأسمالية أو للعمل، وليس هناك حرية اختيار للمستهلك إلا بالحدود التي ترسمها هيئة التخطيط المركزي. وفي كلا النظامين، يعتقد لانكة، أن آلية "التجربة والخطأ" كفيلة بأن تصل بالاقتصاد الوطني إلى حدود الكفاءة الاقتصادية. راجع المصدر السابق.

بعض المصادر ذات العلاقة:

- Cingo, A. "Linear Model for Production, Distribution and Growth" in Gossling, W. F. "Input-Output in the United Kingdom" proceeding of the 1963 Manchester Conference on Input-Output – Analysis. Frank Cass and Co., Ltd., London, 1970.
- Dorfman, R., Samuelson, P. & Solow, R. "Linear Programming and Economic Analysis", Rand Corporation.
- Frisch, R. "How to Plan", Institute of National Planning in Cairo, memo No. 380, Cairo, 1963.
- Heesterman, A.R.G. "Allocation Models and their Use in Economic Planning", D. Reidel Pub. Co. Dordrecht, Holland, 1971.
- Kohler, H. "Welfare and Planning – An Analysis of Capitalism versus Socialism", John Wiley & Sons, Ltd., New York, 1968.
- Kornia, J. & Liptak, T.H., "Two Level Planning", Econometrica, Vol. 33, No. 1 Jan. 1965.

حظر الأسلحة النووية وطبيعة المواقف الرافضة له

د. كاظم المقدادي

أكاديمي عراقي مقيم في السويد

لا تريد في الواقع حظر الأسلحة النووية، ولا تريد التخلص من ترسانتها النووية، وهي لا تأبه لما يشكله السلاح النووي من أخطار تهدد البشرية والكون برمته، ضاربة عرض الحائط بطموح المجتمع الدولي بعالم خال من السلاح النووي،

رافضة المشاركة بجعل العملية التفاوضية التي أطلقتها الأمم المتحدة حدثاً هامة يمثل بداية الحظر التام للأسلحة النووية والخلص نهائياً من الترسنة النووية.. وهي مواقف تتنافى ومهمة الحفاظ على الأمن والسلام الدوليين وإدانتها.

السلاح النووي ومخاطره

الأسلحة النووية (Nuclear Weapons) هي أخطر أنواع أسلحة الدمار الشامل (Weapons of mass destruction) قاطبة. تستخدم عمليات التفاعل النووي Nuclear reaction، حربياً، لضمان قوتها التدميرية والفتاكة، اعتماداً على عمليات الانشطار النووي Nuclear fission والاندماج النووي Nuclear

تمهيد



في أواخر آذار الماضي إنطلقت في أروقة الأمم المتحدة في نيويورك، وبرعايتها، مفاوضات دولية، تهدف للتوصل لألية ملزمة قانوناً لكافة الدول، ضمن معاهدة دولية تحظر الأسلحة

النووية، وتخلص العالم من ترسانتها نهائياً.

إنطلاق المفاوضات جاء تنفيذاً لقرار اللجنة الأولى للجمعية العامة، المختصة بنزع السلاح وقضايا الأمن الدولي ذات الصلة، في الدورة الحادية والسبعين للجمعية العامة، في كانون الأول/ ديسمبر 2016، والذي

حدد مواعيد للمفاوضات: الأول - من 27 إلى 31 آذار، والثاني - من 15 حزيران حتى السابع من تموز 2017. وهذا القرار هو ثمرة مسيرة طويلة ومضنية وسط عراقيل جمة خلقتها الدول النووية العظمى، مكملت إياها بمساع صلفه لإفشال المفاوضات الحالية، لا بمقاطعتها فحسب، وإنما أيضاً من خلال التأثير على الدول الأخرى للإمتناع عن المشاركة فيها، بمبررات واهية لدرجة أنها أعطت الحق والمشروعية لاتهامها بأنها

أرباحاً صافية تجاوزت عشرات المئات من المليارات، غير أنه بتهدده الخطير للبشرية، رغم تحذير وزير الحرب الأميركي هنري ستيمسون في وقته بأن "القنبلة الذرية ستكون السلاح الأكثر رعباً في تاريخ البشرية". ومع ان الأسلحة النووية إستخدمت في الحرب مرتين فقط - على مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين، في نهاية الحرب العالمية الثانية في عام 1945، من قبل سلاح الجو الأميركي، لكن البشرية ظلت حتى اليوم مهددة بخطر استخدامها مرة أخرى. والطامة الكبرى ان العالم شهد خلال العقود المنصرمة انتشاراً واسعاً وتطويراً كبيراً لها من حيث شدة التدمير والفتك، فصارت تشكل تهديداً رهيباً مع ازدياد عددها وقوتها التدميرية وفتكها، حيث يوجد حالياً نحو 22 ألف رأس من هذه الأسلحة بحوزة القوى النووية (تمتلك روسيا وأميركا وحدهما نحو 95% من الترسانة الدولية) قادرة على فناء البشرية برمتها لأكثر من مرة، الأمر الذي جعل من نزع هذه الأسلحة الخطيرة جداً هو "أفضل وقاية من أخطارها، وأن يكن بلوغ هذه الغاية يمثل تحدياً صعباً الى أبعد الحدود" - بحسب مكتب شؤون نزع السلاح التابع للأمم المتحدة (UNODA).

مساعي حثيثة ومتواصلة

تجسيدا لرغبة المجتمع الدولي، سعت الأمم المتحدة، منذ تأسيسها، الى القضاء التام على الأسلحة النووية. فمذ أول قرار اتخذته جمعيتها العامة، في عام 1946، تشكلت بموجبه لجنة لمعالجة المشاكل المرتبطة باكتشاف الطاقة الذرية واستخداماتها. وألزم القرار اللجنة المشكلة بوجوب تقديم اقتراحات بشأن "القضاء على الأسلحة

fusion، التي تجعل بإمكان صاروخ واحد أو قنبلة واحدة من هذه الأسلحة ان تدمر مدينة كبيرة بأكملها وتحولها الى أنقاض، وتفني مئات الآلاف من البشر وبقية الكائنات الحية، وتدمر البيئة وتجعلها غير قابلة للعيش، وستلحق الأضرار بالأجيال القادمة من خلال أثارها الوخيمة طويلة الأجل.

لذا، فان السلاح النووي هو بحق: "أكثر الأسلحة تدميراً وأبھظها تكلفة بشرية على الإطلاق" - على حد تعبير الأمين العام للأمم المتحدة السابق بان كي مون. وهي "أشد الأسلحة فتكا التي اخترعت على مر الزمان" - أكدت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 12 / 10 / 2016. وأفادت بان المجتمع الدولي يملك الآن أدلة دامغة على ما ينجم عن هذه الأسلحة من آثار مروعة وممتدة ولا رجعة فيها على الصحة والبيئة والمناخ والإنتاج الغذائي - أي كل ما تعتمد عليه حياة البشر. وقد ظهرت منذ ذلك الحين أدلة إضافية جديدة على الآثار العشوائية والمعاناة المبريرة التي تسببها الأسلحة النووية، مشيرة الى ان هذه الأدلة عُرضت في ثلاثة مؤتمرات دولية معنية بالآثار الإنسانية للأسلحة النووية. ومن بين هذه الأدلة استنتاج رئيسي توصلت إليه دراسات كل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر ووكالات الأمم المتحدة المتخصصة، يفيد بأنه لا توجد أي قدرة أو خطة مناسبة للاستجابة الإنسانية بوسعها مساعدة ضحايا الأسلحة النووية.

من المعروف ان السلاح النووي يرتبط دولياً بأميركا، حيث ولد، وإستخدم لأول مرة، وأنتج، ونشر، أميركياً، وقد جنى التجمع الصناعي العسكري من إنتاجه وبيعه

جدول أعمال الهيئة، كل عام، اعتباراً من عام 2000، بندين موضوعيين من مسائل نزع السلاح، يكون أحدهما بند عن نزع السلاح النووي.

وصارت الهيئة تتلقى خدمات فنية من مكتب شؤون نزع السلاح، وخدمات تقنية من إدارة شؤون الجمعية العامة، إضافة لخدمات المؤتمرات. وصاغت، بتوافق الآراء، على مرّ الأعوام، مبادئ وتوجهات ومشاريع توصيات وقرارات لعدد من القضايا ذات العلاقة، وافقت عليها الجمعية العامة.

لكن العقد المنصرم شهد عجز الهيئة عن الاتفاق على نتائج جوهرية بسبب الخلافات السياسية الدولية.

معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية

منذ بدء العصر النووي واستخدام الأسلحة النووية في نهاية الحرب العالمية الثانية، أصبح جلياً أن تطوير الدول لقدراتها النووية من شأنه أن يمكّنها من تحويل التكنولوجيا والموارد وموادها لأغراض صنع الأسلحة. وهو ما جعل مطلب منع عمليات التحويل هذه قضية محورية في المناقشات الدولية التي دارت بشأن الاستخدامات السلمية للطاقة النووية.

في عام 1946 بدأت أولى المساعي الرامية لإنشاء نظام دولي يُمكن الدول كافة من الحصول على التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية، مكفولاً بضمانات ملائمة. لكنها توقفت في عام 1949 دون تحقيق هدفها بتأثير الخلافات السياسية الشديدة بين الدول الكبرى، في وقت كان كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي السابق قد أجرى تجاربه على الأسلحة النووية وبدأ في تكوين ترسانته منها.

النووية وجميع الأسلحة الرئيسية الأخرى التي يمكن تعديلها لأغراض التدمير الشامل من الترسانات الوطنية".

وفي كانون الثاني 1952، أنشأت الجمعية العامة للأمم المتحدة، بقرارها 502 (د-6) هيئة للنظر في قضايا نزع السلاح، سميت: "هيئة نزع السلاح التابعة للأمم المتحدة"، جعلتها تحت إشراف مجلس الأمن الدولي. غير أن الهيئة لم تجتمع إلا نادراً بعد عام 1959.

وفي تموز 1996، أصدرت محكمة العدل الدولية، استجابة لشكوى الدول غير النووية، استنتاجين رئيسيين: الأول- أن التهديد بالأسلحة النووية أو استخدامها يتناقض تماماً مع قواعد القانون الدولي الخاصة بالنزاع المسلح، ولا سيما مبادئ وقواعد القانون الإنساني. والثاني- هناك التزام بالمتابعة بشكل جيد وعقد مفاوضات تقضي إلى نزع السلاح النووي بجميع جوانبه تحت رقابة دولية صارمة وفعالة.

وفي عام 1978، عقدت الجمعية العامة أول دورة استثنائية، كرستها لنزع السلاح، وشكلت هيئة فرعية للجمعية العامة، خلفاً لهيئة عام 1952، تتألف من كافة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، تنظر في مختلف المسائل في مجال نزع السلاح، وتضع التوصيات بشأنها، وتتابع مقررات وتوصيات الدورة الاستثنائية. وتكون هيئة تداولية، وتعدّد جلسات عامة، وتعمل من خلال فرق عاملة، وتتناوب المجموعات الجغرافية الخمس على رئاستها، أما رؤساء الفرق العاملة فيجري إنتخابهم، والزمها القرار بان ترفع تقاريرها سنوياً إلى الجمعية العامة.

وفي عام 1998، أصدرت الجمعية العامة قرارها 52/492، الذي نص على أن يتضمن

الأسلحة النووية ونزع السلاح، ولدعم الجهود الدولية لتحقيق السلام والأمن الدوليين.

واستطراداً، بدأت أولى المحاولات للحد من الأسلحة النووية في عام 1963؛ حيث وقعت 135 دولة على اتفاقية سُميت "معاهدة الحد الجزئي من الاختبارات النووية" بإشراف الأمم المتحدة. بيد أن الصين وفرنسا لم توقعاً على المعاهدة حينذاك وكانتا وقتها من الدول ذات القدرة النووية.

وتتوجت الجهود الدولية الخيرة بعقد "معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية" The Treaty on the Non-Proliferation of Nuclear Weapons (NPT) كاتفاقية دولية أُلزمت بعدم نقل التكنولوجيا النووية إلى دول أخرى، وعد تطوير ترسانتها من الأسلحة النووية، وأن لا تستخدم السلاح النووي، وتقوم بتقليل ترسانتها النووية، وتكريس قدراتها النووية للأغراض السلمية.

ومن هذا المنطلق، أُلزمت المعاهدة جميع الدول على "إجراء مفاوضات بحسن نية لاتخاذ التدابير الفعالة المتعلقة بوقف سباق التسلح النووي في وقت مبكر، ونزع السلاح النووي".

بدأ التوقيع على المعاهدة في 1 حزيران 1968، ودخلت حيز التنفيذ بتاريخ 5 آذار 1970. ووقع عليها لحد الآن 191 دولة.

تقوم المعاهدة على ثلاث ركائز رئيسية:

- التزامات بعدم الانتشار النووي: تلتزم الدول المالكة للأسلحة النووية بعدم نقلها لأي طرف آخر؛ وتلتزم الدول غير المالكة لها بعدم حيازتها، ووضع جميع المنشآت النووية حيثما كانت ولمن تعود تحت ضمانات رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية وضماناتها.

حيال هذا، ارتفعت منذ الخمسينيات أصوات مناهضة لعمليات الاختبار والتسلح النوويين، عقب إجراء أكثر من 50 انفجاراً نووياً تجريبياً بين الفترة 16 حزيران 1945 وحتى 31 أيلول 1953، وعبر العديد من الشخصيات العالمية عن رفضها الشديد لتلك التفجيرات، ودعت إلى التخلي عن إجراء أي اختبار نووي لأي غرض كان. ونشأت حركة شبابية عالمية مناهضة، قام ممثلوها بتطوير القواعد التي كان من المقرر أن تجري فيها تفجيرات جديدة، وأفلحوا بإلغاء أو تأخير إجرائها.

لكن القوى العظمى لم تعط أذاناً صاغية للحركة المناهضة للأسلحة النووية بسبب انهماكها آنذاك في معمعة "الحرب الباردة" .. بالمقابل تواصل نضال الحركة المناهضة وتصديها لمخططات القوى النووية، وأثمر بدعم جهود الأمم المتحدة، التوصل لعدد من المعاهدات المتعددة الأطراف بغرض منع انتشار وتجربة الأسلحة النووية، مع تعزيز التقدم صوب نزع السلاح النووي.. ومن هذه المعاهدات:

- معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية.
- معاهدة حظر تجارب الأسلحة النووية في الجو وفي الفضاء الخارجي وتحت سطح الماء، المعروفة كذلك بـ "معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية".
- معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية، التي وقعت في عام 1996 وما تزال رهن التنفيذ.

وقد سعى عدد من المعاهدات والترتيبات الثنائية والجماعية إلى الحد من بعض فئات الأسلحة النووية أو القضاء عليها، ومنع انتشار هذه الأسلحة ووسائل إيصالها. وأقيمت مناطق خالية من الأسلحة النووية وتعزيزاً للمعايير الدولية لعدم انتشار

- التزامات بنزع الأسلحة: التزام جميع الدول بأن تواصل بحسن نية مفاوضات تتعلق بإجراءات نزع السلاح النووي وعقد معاهدة من شأنها نزع السلاح النووي بشكل كامل تحت رقابة دولية صارمة وفعالة.
- التزامات للتعاون بشأن الإستخدامات السلمية للطاقة النووية.

عرقلة التنفيذ

بنيت ركائز المعاهدة على التزامات موضوعية وأنية وملحة... بيد ان تنفيذها سادته ضبابية وشكوك بشأن التزام الدول ذات القدرة النووية بالمعاهدة. وحصلت عملياً خروقات صارخة من قبل الدول العظمى. فعلى سبيل المثال قامت الولايات المتحدة بتزويد دول اعضاء في حلف شمال الأطلسي بما يصل إلى 180 رأساً نووياً. ولعبت الإدارة الأمريكية دوراً محورياً وأساسياً في تشجيع ربيبتها إسرائيل على رفض الانضمام للمعاهدة منذ عام 1968. ومع ان إسرائيل لم تعلن رسمياً حيازتها للأسلحة النووية إلا أن تهديداتها المتكررة للدول الأخرى بالردع العسكري غير التقليدي، وما تسرب من داخل إسرائيل، يؤكد امتلاكها لأكثر من 200 رأس نووي، ولديها 10 مصانع لإنتاج وتطوير وتخزين الأسلحة الكيميائية و7 مفاعلات ذرية، أبرزها مفاعل دايموث، الذي تبلغ طاقته 24 ميغاواط.

ولم توقع على المعاهدة، لأسباب مختلفة، كل من الهند وباكستان وهما تتملكان أسلحة نووية. وقامت كوريا الشمالية بالانسحاب من المعاهدة عام 2003 بعد أن كانت قد وقعت عليها. وتساعد التوتر بشأن برنامجها النووي والبالستي.. وتواصل

التوتر في منطقة الشرق الأوسط بسبب رفض إسرائيل لمبادرة المجموعة العربية الداعية لجعل المنطقة خالية من الأسلحة النووية. وما يزال التوتر سائداً بين الدول النووية العظمى وإيران بشأن برنامجها النووي.

مخالفة نتائج الإستعراضات الدورية

مما يسجل للمعاهدة منذ دخولها حيز التنفيذ في عام 1970، استمرار عقد المؤتمرات الدورية (كل 5 سنوات) لاستعراض سير المعاهدة، وسعي المشاركين فيها إلى التوصل لاتفاق بشأن إصدار إعلان ختامي يعرض تقييماً لتنفيذ أحكام المعاهدة، ويقدم توصيات بشأن التدابير الكفيلة لتعزيزها. وهذا ما حصل في المؤتمرات الاستعراضية التي عُقدت في أعوام 1975 و1985 و2000 و2010.

لكن مؤتمرات أعوام 1980 و1990 و1995 و2005 فشلت في التوصل الى ذلك. وانحصرت الخلافات تحديداً في مسألة ما إذا كانت الدول المالكة للأسلحة النووية قد استوفت بشكل كاف شروط المادة السادسة (نزع السلاح النووي)، ومسائل أخرى، كالتطورات النوعية في الأسلحة النووية، والتأكيدات الأمنية التي تقدمها الدول النووية، إلى الدول غير النووية، علاوة على التعاون في مجال استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية.

وكان مؤتمر عام 2000 قد سجل خطوة نوعية، مبرهنًا على قوة آلية الاستعراض الجديدة ومفهوم المساءلة، اللذين تم الاتفاق عليهما، بقبول الدول الأطراف بـ "ديمومة المعاهدة" وتمديدتها إلى أجل غير مسمى، منهيّة مداولاتها بنجاح للمرة الأولى منذ 15 عاماً، باتفاقها على وثيقة ختامية عكست

صيغةً توافقيةً لغالبية المسائل الرئيسية، متضمنة تقييماً موضوعياً لأداء المعاهدة في الماضي، ولعدد من المسائل الرئيسية المتعلقة بعدم الانتشار النووي، ونزع السلاح والأمان النوويين، والاستخدامات السلمية للطاقة النووية. وأكدت وثيقته الختامية مجدداً على الدور المحوري لمعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية في الجهود العالمية المتواصلة لتعزيز عدم الانتشار ونزع السلاح النوويين.

ولعل الإنجاز الأكثر أهمية والأشد حساسية على الإطلاق هو تعهد الدول المالكة للأسلحة النووية على نحو لا لبس فيه، للمرة الأولى، بالقضاء تماماً على ترساناتها النووية بما يفرض إلى نزع تام للسلاح النووي. وتضمن الوثيقة الختامية مجموعة من الخطوات العملية للجهود المنهجية والتدريبية لتنفيذ المادة السادسة من المعاهدة. وتقديم خطوات مرجعية يمكن أن يُقاس بها مستقبلاً ما تحرزه الدول الأطراف من تقدم في هذا المجال.

لكن ما تحقق في عام 2000 من نجاح لم يدم طويلاً، إذ شهد المؤتمر اللاحق (عام 2005) تراجعاً، حيث لم يتم الإتفاق على وثيقة ختامية. ومن أوجه الإختلاف الرئيسية: لمن إعطاء الأولوية بالضرورة: لنزع السلاح أم لعدم الانتشار؟ ومأمصير المقررات والاتفاقات السابقة، بما في ذلك تلك التي تم التوصل إليها في مؤتمري 1995 و2000، والتعهد الذي قطعتة الدول النووية العظمى على نفسها بإزالة ترساناتها النووية إزالة تامة؟

في مؤتمر عام 2010 أعيد التأكيد على تعهد الدول النووية بإزالة ترسانتها النووية. ووضع المؤتمر خطة عمل تغطي الركائز الثلاث للمعاهدة (نزع السلاح النووي، عدم الانتشار النووي، والاستخدام السلمي للطاقة النووية). وأولى المؤتمر اهتماماً

خاصاً بمنطقة الشرق الأوسط.. لكن المؤتمر فشل في تحقيق تقدم.

وفي مؤتمر عام 2015 تكرر ما حصل في مؤتمر عام 2005، حيث انتهى دون التوصل لإجماع على وثيقة ختامية، بسبب الخلاف حول كيفية بدء عملية إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط.

عقب الإتفاقات... إخفاقات

تاريخياً، أثمرت الجهود الدولية الحريصة، مناقشة مبدأ عدم الانتشار النووي في إطار الأمم المتحدة، في المفاوضات التي أجرتها المنظمة منذ عام 1957، واكتسب هذا المبدأ زخماً كبيراً في أوائل الستينيات من القرن الماضي. وبحلول منتصف الستينيات نضج الهيكل المتوخى لمعاهدة تركز عدم الانتشار النووي كقاعدة من قواعد السلوك الدولي.

وحصل في عام 1968 اتفاق نهائي على إبرام معاهدة لحظر انتشار الأسلحة النووية والنهوض بمهمة نزع السلاح النووي والتعاون في الاستخدام السلمي للطاقة النووية. ونصت المعاهدة، في مادتها العاشرة، على عقد مؤتمر بعد مرور 25 عاماً على دخولها حيز التنفيذ لاتخاذ قرار إما باستمرار نفاذ المعاهدة إلى أجل غير مسمى أو تمديد لها لفترة أو فترات محددة جديدة. وبناء على ذلك، اجتمعت الدول الأطراف في المعاهدة في مؤتمر استعراضي في أيار 1995، ووافقت على تمديد المعاهدة إلى أجل غير مسمى، وقررت أن يستمر عقد المؤتمرات لاستعراضها دورياً.

وفي عام 1993 دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إجراء محادثات لعقد معاهدة دولية لحظر إنتاج مواد الأسلحة النووية.. لكن المحادثات لم تبدأ قط.

بالأمم المتحدة ان الدول النووية مهتمة بمنع إنتشار الأسلحة النووية أكثر من اهتمامها بنزع السلاح النووي.

من جهتها، اشتكت الدول الموقعة على معاهدة منع إنتشار الأسلحة النووية، غير المالكة لها، من إخفاق الدول النووية العظمى، طيلة عقود، في الوفاء بالتزاماتها وسعيها لمنع الدول الأخرى من الانضمام لـ"النادي النووي"، في وقت توجد فيه - وفقاً للوكالة الدولية للطاقة الذرية - نحو 40 دولة قادرة على تصنيع أسلحة نووية في حال اتخاذ حكوماتها قراراً بهذا الشأن.

وفي هذا السياق يتواصل القلق المشروع من خطر انتشار السلاح النووي في منطقة الشرق الأوسط، لا سيما ان المنطقة هي الوحيدة التي لم تشهد جهوداً دولية فعلية لإخلائها من الأسلحة النووية. حيال هذا، عبرت العديد من حكومات المنطقة عن خيبة أملها لفشل مؤتمر عام 2015 في تحقيق تقدم ملحوظ في هذا المضمار.

بين العمل البناء وغير البناء

إستمر الإخفاق في تحقيق تقدم ملموس على صعيد نزع السلاح النووي وتواصل الفشل المتكرر في الالتزام بتنفيذ الإلتزامات الدولية، بما فيها المقرر الثاني، الذي تضمنته وثيقة مؤتمر تمديد معاهدة عدم الانتشار النووي في عام 1995، وكذلك الخطوات الـ 13 التي صدرت عن مؤتمر عام 2000، إضافة إلى عدم الإلتزام بما تضمنته خطة العمل ذات الصلة، التي اعتمدها مؤتمر عام 2010.

وشكل تنصل الدول النووية العظمى من وضع أطر زمنية محددة لتنفيذ التزاماتها الدولية للتخلص تماماً من الأسلحة النووية، مصدر قلق كبير للمجتمع الدولي.

وفي 10 أيلول 1996 فُتحت مُعاهدة جديدة للتوقيع سُميت "معاهدة الحد الكلي من إجراء الاختبارات النووية"، تم بموجبها منع إجراء أي تفجير للقبائل النووية؛ حتى لأغراض سلمية. وقعت عليها حتى الآن 170 دولة. لكن تحويل المعاهدة إلى قرار عملي يستوجب أن تصادق عليها دول أخرى.

وفي عام 2005، جدد المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية محمد البرادعي أمام اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة، الدعوة التي أطلقتها الجمعية العامة في عام 1993، وشدد على "ضرورة اتخاذ خطوات للقضاء على إنتاج أو سبل الحصول على مواد للأسلحة النووية"، مشيراً إلى أن "التحديات الراهنة للسلم والأمن الدوليين، بما في ذلك تلك المتعلقة بحظر الانتشار النووي والسيطرة على الأسلحة النووية، لا يمكن إبعادها بالتمنيات، فهناك حاجة ماسة ولا غنى عنها لمواصلة بناء نظام أمن عالمي يكون عادلاً وشاملاً". وأعرب عن خيبة أمله لأن مؤتمر مراجعة معاهدة حظر الانتشار والقمة العالمية في عام 2005 لم يتوصلا إلى أي اتفاقات جديدة للحد من انتشار الأسلحة الذرية وتدعيم نزع السلاح.

بعد أربعة أعوام، تحرك مجلس الأمن الدولي، وأصدر، بحضور الرئيس الأمريكي باراك أوباما ومباركته، قراراً بالإجماع في أيلول 2009، دعا إلى عالم خال من الأسلحة النووية وإنهاء نشر الأسلحة النووية. وطالب الدول التي لم توقع على معاهدة منع نشر الأسلحة النووية بالتوقيع عليها.

بيد ان ذلك القرار المهم لم يتضمن الأحكام الملزمة للدول النووية بإتخاذ خطوات جادة نحو نزع السلاح النووي. وهو ما أثار حفيظة الدول الأخرى.. وعلق دبلوماسيون

ووجه الأمين العام للأمم المتحدة السابق بان كي مون في عام 2015 رسالة خاصة بمناسبة اليوم العالمي للإزالة التامة للأسلحة النووية (26 أيلول)، أهاب فيها بجميع الدول "العمل بصورة بناءة لإيجاد سبيل للمضي قدما نحو نزع السلاح النووي التام"، مؤكداً بان "إزالة الأسلحة النووية من شأنها أيضاً أن تفرج عن كميات هائلة من الموارد يمكن استخدامها لتنفيذ خطة التنمية المستدامة لعام 2030"، محذراً من أن "عواقب أي استخدام آخر للأسلحة النووية، سواء عن قصد أو عن طريق الخطأ، ستكون مروعة. وعندما يتعلق الأمر بهدفنا المشترك المتمثل في نزع السلاح النووي، يجب ألا نؤجل عمل اليوم إلى الغد - يجب علينا أن نتحرك الآن".

نحو آلية قانونية ملزمة

أثمرت الجهود الدولية الخيرة، المثابرة والدؤوبة، ان تتبنى الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الحادية والسبعين في كانون الأول 2016، قراراً يقضي بالبدء بالتفاوض على آلية ملزمة قانوناً لحظر الأسلحة النووية وتقود إلى التخلص نهائياً من الترسانة النووية بمشاركة كل الدول الأعضاء.

أولى الدول التي صوتت ضد القرار هي، كالعادة: الولايات المتحدة الأمريكية ("أم" السلاح النووي)، التي حثت الدول الأعضاء في حلف الناتو بقوة على الوقوف ضد القرار، معلنة بكل صراحة: "نشعر أن جهود التفاوض حول حظر فوري للأسلحة النووية أو نزع الشرعية عن الردع النووي، يتعارض بشكل أساسي مع السياسات الرئيسية للناتو حول الردع ومع مصالحنا الأمنية المشتركة".

ومثل تقاعسها عن تنفيذ قرارات مؤتمرات استعراض معاهدة عدم الانتشار النووي، من جهة، وسعيها للتمييز في إلزامية المعاهدة، من جهة أخرى، تشكيكا موضوعياً ومساساً جدياً بمصداقيتها وجديتها. وكل هذا أدى إلى عدم تحقيق المطلب المشروع بعالم خال من الأسلحة النووية لحد اليوم.

بالضد من مواقف الدول النووية العظمى المتذبذبة والمراوغة والمستهينة بخطر الأسلحة النووية على البشرية، اتخذت غالبية الدول الموقعة على الإتفاقية مواقف أكثر حرصاً وحرصاً، مراعية هموم شعوب العالم وتخوفها من التهديد الذي يمثله وجود الأسلحة النووية، مقدرة رهبتها من التكلفة البشرية الباهظة لإستخدامها. إزاء هذا، جددت وتجدد تأييدها للجهود الدولية المخلصة الرامية للخلاص من هذه الأسلحة، إلى جانب مواصلة تأدية التزاماتها القانونية المترتبة على انضمامها إلى الإتفاقيات الدولية في مجال نزع السلاح، ودعمها الجدي لتطوير برامج الطاقة النووية للأغراض السلمية، والالتزام بتدابير الضمانات الشاملة بالتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بهدف ضمان أعلى معايير السلامة، ومنع الانتشار النووي لإدامة الأمن والسلام الدوليين.

إلى هذا، ناشدت المنظمات الدولية غير الحكومية المناهضة لأسلحة الدمار الشامل والحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، كافة الدول لمواصلة المفاوضات الدولية بحسن نية، والسعي بعزم وبدون إبطاء إلى إنهاء تلك المفاوضات الرامية إلى حظر استخدام الأسلحة النووية والقضاء عليها بشكل تام من خلال اعتماد صك دولي ملزم قانوناً، بناء على اللتزامات والواجبات الدولية القائمة.

هذا الموقف، الذي أقل ما يقال عنه أنه غير مسؤول، انتقده المؤيدون للمحادثات، حيث أعلنت المدير التنفيذي للحملة الدولية للقضاء على الأسلحة النووية، بياتريس فيهن، في بيان لها: "من المخيب للأمل أن نرى بعض الدول التي لها سجلات قوية في مجال الإنسانية تقف مع حكومة تهدد بسباق جديد للتسلح"، وأضافت: "إن الاحتجاج الذي أثارته الولايات المتحدة والدول الأخرى يشنت الجهود لحظر الأسلحة النووية"، وأوضحت: "إن إقرار معاهدة في هذا الشأن قد يكون وسيلة لشجب استخدام وحيازة الأسلحة النووية، وهو ما قد يؤدي في نهاية المطاف إلى نزع السلاح النووي لدى الدول المالكة له"، وأضافت: "لا أحد يتوقع أن تعمل المعاهدة على نزع سلاح الدول على الفور، لكنها تُوْشِر إلى نظرة الدول إلى أنه ينبغي اعتبار الأسلحة النووية غير شرعية".

وأعلن كيم وون سو، نائب الأمين العام للأمم المتحدة والمسؤول عن شؤون نزع السلاح: "إن استمرار وجود الأسلحة النووية يشكل تهديداً وجودياً إضافياً للبشرية. ولذا فالحاجة ماسة لتحقيق تقدم فيما يخص نزع السلاح النووي، ووجود معاهدة دولية لهذا الغرض هو اليوم أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى".

وأوضحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر: "أن حظر الأسلحة النووية ليس سوى تدبير واحد من التدابير اللازمة لضمان عدم استخدامها مرة أخرى بعد الآن وإزالتها، لكنه يشكل لبنة لا غنى عنها لتحقيق الهدف الشامل المتمثل في إيجاد عالم خالٍ من الأسلحة النووية. ويشكل الحظر القاطع للأسلحة النووية، على غرار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، أساساً لنزعها وكابحاً لانتشارها. وسيكون خطوة طال

وفعلا عارضت القرار كافة حليفاتها في حلف الناتو، باستثناء هولندا. وعدا هذا، قاطعت المشاركة في المفاوضات الجارية في الأمم المتحدة، هي ودول لا تخرج حكوماتها عن طوع الإدارة الأمريكية.

واشنطن عبرت بوضوح عن رفضها لمثل هذه الاتفاقية، وتباغت ممثلتها في الأمم المتحدة نيكى هالي عشية البدء بالمفاوضات، بأن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا من بين 40 دولة تقريباً لن تحضر المحادثات. وأعلن مسؤول بالبيت الأبيض أن إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تدرس ما إذا كانت ستعيد التأكيد على هدف إخلاء العالم من الأسلحة النووية. وكان الرئيس ترامب قد أعلن عن نيته جعل بلاده القوة النووية الأكثر تفوقاً على المستوى العالمي.

ذات المبرر أعطته المملكة المتحدة، حيث أعلن سفيرها لدى الأمم المتحدة ماثيو ريكروفت إن بلاده لن تحضر المحادثات "لأننا لا نعتقد بأن هذه المفاوضات ستؤدي إلى تقدم فعلي في منع الأسلحة النووية، ولن تحقق نزع السلاح النووي عالمياً"، وأضاف: "لن يتحقق ذلك ولا يمكنه التحقق". وكذلك فرنسا، التي أعلن نائب سفيرها لدى الأمم المتحدة أليكسس لاميك: "الأوضاع الأمنية ليست ملائمة لإبرام معاهدة لحظر الأسلحة النووية". وأضاف "في السياق الراهن المحفوف بالمخاطر وبالمنظر إلى انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل إيصالها، فلا تزال بلداننا تعتمد على الردع النووي من أجل الأمن والاستقرار".

وحتى اليابان، التي تُعد الدولة الوحيدة في العالم التي قُصِفَت بالسلاح النووي خلال الحرب العالمية الثانية، وقفت ضد الجهود الدولية المبذولة لإنجاز هذه المعاهدة. من جهتهما، قاطعت روسيا والصين المحادثات أيضاً دون البوح علناً بمبرراتهما.

المهد، وتجابه ضغوطات كبيرة، كشفها للوجه الحقيقي للدول العظمى، التي أكدت، من جديد، عدم إيفائها بالالتزام بالقرارات الدولية، حتى التي شاركت في صياغتها، ولا تأبه للمخاطر التي تهدد شعوب العالم، وتعريتها لتبريراتها الواهية لمقاطعة المفاوضات الجارية، التي دلت بما لا يقبل الشك، رفضها عقد معاهدة لحظر الأسلحة النووية، ونزع ترسانتها النووية.. ولن تنطلي بعد اليوم أحابيلها وإدعاءاتها بأن موافقها الراهنة تملئها "مصلحة" العالم، وتصب "لصالح" الأمن والسلم الدوليين، بينما هي في الحقيقة والواقع تديم التهديد لأمن وسلامة البشرية عملياً وفعالياً.. والدليل ان الإدارة الأمريكية عادت من جديد في هذه الأجواء الدولية المتوترة الى ممارسة الغطرسة وإستعراض القوة ومواصلة التهديدات، في ظل إدارة الرئيس دونالد ترامب، توجتها بتوجيه ضربة عسكرية لقاعدة جوية سورية بـ 59 صاروخ توماهوك، في 6/ 4/ 2017، وإسقاط أكبر سلاح غير نووي في القتال حتى الآن - "أم القنابل"، التي تعرف باسم MOAB وتزن 9,800 كلغ - على منطقة في شرق أفغانستان، يوم 13/ 4/ 2017، وتصعيد التوتر مع كوريا الشمالية، بتحريكها لحاملة طائرات مع إسطولها باتجاه شبه الجزيرة الكورية.

ويأمل صقور واشنطن أن يكون تحرك ترامب إيذاناً بعودة "دركي العالم"، وهو ما حدا بـ "الفابننشال تايمز" ان تتساءل، في عددها ليوم 12/ 4/ 2017: "هل عاد الشرطي الدولي مع ترامب؟".

كل هذا يملي إعادة التذكير بأن مصير البشرية أمانة باعناق السياسيين العقلاء والحكماء، لا المنتهورين والحمقى، خاصة

انتظارها في سبيل الوفاء بالمادة السادسة من معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية التي تقتضي بمواصلة وضع تدابير فعالة لنزع السلاح النووي، والوفاء بالتعهدات المتكررة التي قطعت في إطار خطط عمل معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية". وأضافت: "إذا كانت بعض الدول غير قادرة حالياً على الانضمام إلى مفاوضات حظر الأسلحة النووية، فإننا نواصل مناشدتها كي تتخذ بصورة عاجلة خطوات مؤقتة في سبيل الحد من المخاطر الفورية الناتجة عن استخدام الأسلحة النووية عمداً أو عن غير قصد. وتشمل هذه الخطوات تقليص دور الأسلحة النووية في العقيدة والخطط العسكرية، وتخفيض عدد الرؤوس الحربية الموضوعة في حالة التأهب القصوى. وهذه الخطوات والتدابير الأخرى الرامية إلى الحد من المخاطر مُستمدة من التزامات سياسية قائمة منذ زمن طويل، من بينها خطة عمل المؤتمر الاستعراضي لمعاهدة عدم الانتشار لعام 2010، وينبغي اتباعها بوصفها ضرورة ملحة. ومن غير المقبول المخاطرة باستخدام الأسلحة النووية، نظراً لما لها من عواقب وخيمة".

وإختتمت اللجنة الدولية: "إن البيئة الأمنية المعقدة السائدة اليوم تسلط الضوء على الحاجة الماسة إلى حظر الأسلحة النووية واتخاذ الدول المالكة لأسلحة نووية إجراءات للوفاء بالتزاماتها القائمة وتعهداتها السياسية، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى إزالة الأسلحة النووية نهائياً".

ضرورة مواصلة الجهود الخيرة

ما يسجل للدورة الحالية من المحادثات الدولية الجارية في الأمم المتحدة، وهي في

حالياً في أروقتها، وتتفاوض برعايتها، وصولاً لتحقيق رغبة شعوب العالم وتطلعاتها المشروعة نحو عالم خال من الأسلحة النووية وضمان حماية الأمن والسلم الدوليين وإدامتهما. لتحقيق هذه الأهداف المشروعة لا بد أن تتواصل جهود القوى الدولية الخيرة، ولا يتعين أن تفتقر همتها، ولا تتراجع أمام الضغوطات، مهما كانت، حتى إذا لن تفلح في الدورة الحالية من المفاوضات. وعلى المنظمات والحركات الدولية المناهضة للحرب والأسلحة الدمار الشامل في العالم أن تنهض بدورها المطلوب، وتضغط على الدول النووية العظمى أكثر، بكافة الوسائل المشروعة، وتجبرها على المشاركة راهناً وعاجلاً في المفاوضات الرامية لعقد معاهدة حظر الأسلحة النووية المنشودة.

وسط أصحاب السلطة والنفوذ في الدول النووية العظمى، في ظل تواصل التوتر الدولي المفتعل بين روسيا وحلف الناتو، وبوادر تصاعد التدخل الخارجي العسكري، المنتهك للقوانين والاعراف الدولية، والذي يدفع إلى مواجهة لحرب محتملة تهدد العالم برمته.

ردعاً للإستهتار والتهور والحماقات المهددة للأمن وللسلم الدوليين، والتي تضع مصير البشرية على كف عفريت، لا بد من وجود معاهدة دولية قوية ملزمة لجميع الدول، تحظر الأسلحة النووية وتخلص العالم من الترسنة النووية.

إن البشرية تعول على مساعي القوى الخيرة لحمايتها وحماية أجيالها اللاحقة من كوارث الحرب النووية، بما فيها مساعي الأمم المتحدة والدول المجتمعة

حق المرأة في الترشيح في النظام الدستوري العراقي

جاسم هداد



جاسم هداد خريج معهد الهندسة التطبيقية العالي / جامعة بغداد عام 1970، ماجستير في القانون الدستوري يمتاز من معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة، صدر له "حقوق المرأة السياسية في الدساتير العراقية" عن دار الرواد المزدهرة- بغداد- 2015.

تمهيد:

من الشخص نفسه فيعتبر ترشحاً، مثل: قيام الشخص نفسه بتقديم أوراق ترشحه، وهذا ينطبق على الترشيح الفردي. ولم يتناول فقهاء القانون تعريف حق الترشيح في كتاباتهم على افتراض أن المفهوم واضح، وهذا ما أكدته غالبية الدراسات المتخصصة في هذا الشأن.

خلال فترة الحكم العثماني للعراق (1639 - 1918)، كان العراق خاضعاً للدستور العثماني "القانون الأساسي" الذي صدر عام 1876، والقوانين العثمانية. ولقد حصر الدستور العثماني وقانون انتخاب مجلس المبعوثان حق الترشيح بالذكور فقط؛ حيث نصت المادة "65" من القانون الأساسي العثماني على: (أن عدد أعضاء هيئة المبعوثين يكون باعتبار شخص واحد من كل خمسين ألف نفس من ذكور التبعية العثمانية) (1)، والمادة الثالثة من قانون انتخاب مجلس المبعوثان العثماني نصت على أنه: (اعتباراً من نشر هذا القانون

يعتبر الانتخاب والترشيح من أهم الحقوق السياسية للمرأة، فهما بوابة تمتعها ببقية الحقوق. ويتباين تمتع المرأة بحق الانتخاب والترشيح، باختلاف الأنظمة السياسية، والتطورات الاجتماعية في كل بلد. ورغم أن المرأة تشكل حوالي نصف المجتمع، لكن تمتعها بحقي الانتخاب والترشيح تأخر نوعاً ما، برغم إقرار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948 في المادة 21 الفقرة 1 منه، أن: (لكل شخص حق المشاركة في إدارة الشؤون العامة لبلده، إما مباشرة أو بواسطة ممثلين يختارون في حرية).

يُميز الفقه الدستوري بين الترشيح والترشح؛ فالترشيح إذا كان الطلب مقدماً من الغير، مثل: قيام الحزب المعني بتقديم قائمة بأسماء مرشحيه، وهذا ينطبق على القوائم الحزبية، أما إذا كان الطلب مقدماً

يسارع كل قضاء لتنظيم دفتر أساسي يحوي كافة النفوس العثمانية من الذكور (2)، أي: أن القانون الأساسي حصر حق الترشح على الرجال فقط، وكذلك قانون انتخاب مجلس المبعوثان.

يسارع كل قضاء لتنظيم دفتر أساسي يحوي كافة النفوس العثمانية من الذكور (2)، أي: أن القانون الأساسي حصر حق الترشح على الرجال فقط، وكذلك قانون انتخاب مجلس المبعوثان.

والمادة "68" من القانون الأساسي حددت شروط العضوية في مجلس المبعوثان؛ حيث نصت على أنه: (لا يجوز أن ينتخب لهيئة المبعوثين:

– أولاً: من لم يكن من تبعة الدولة العلية.
– ثانياً: من كان حائزاً مؤقتاً على امتياز خدمة اجنبية بمقتضى النظام المخصوص.

– ثالثاً: من لم يكن عارفاً باللغة التركية.
– رابعاً: من كان سنه دون الثلاثين.
– خامساً: كان مستخدماً عند شخص آخر في وقت الانتخاب.

– سادساً: من حكم عليه بالإفلاس ولم يعد اعتباره.
– سابعاً: من كان مشهوراً بالتصرفات السيئة.

– ثامناً: من حكم عليه بالحجر حكماً لاحقاً ولم يفك عنه الحجر.
– تاسعاً: من كان ساقطاً من الحقوق المدنية.

– عاشراً: من يدعي أنه من التبعية الأجنبية.

فجميع هؤلاء لا يجوز انتخابهم لهيئة المبعوثين، أما في الانتخاب الذي يجري بعد أربع سنوات، فيشترط على المنتخب أن يكون عارفاً القراءة والكتابة في اللغة التركية نوعاً ما (3).

وبعد احتلال العراق من قبل بريطانيا في 11 آذار 1917 إثر خسارة الدولة العثمانية الحرب، وتنصيب الملك فيصل ملكاً على العراق (23 آب/ أغسطس

1921)، دخل العراق مرحلة تاريخية جديدة، وهي الحكم الملكي، وسيتم اعتماد المراحل التاريخية الآتية:

المبحث الأول

العهد الملكي:

1921/ 8/ 23 - 1958 /7/ 14

سيتم تناول المراحل التاريخية للعهد الملكي في أربعة مطالب:

المطلب الأول: عهد الملك فيصل الأول:

1921/ 8/ 23 - 1933/ 9/ 8

شهد هذا العهد صدور "النظام المؤقت لانتخابات المجلس التأسيسي العراقي" والذي بموجبه اجريت انتخابات المجلس التأسيسي (شباط - آذار 1924)، وهي أول انتخابات في العهد الجديد، وقد حددت المادة "41" شروط عضو المجلس التأسيسي، فقد نصت على أن: (لا يكون عضواً في المجلس التأسيسي:

– أولاً: من لم يكن عثماني الأصل وإن كان من سكان العراق.

– ثانياً: من يدعي التبعية الأجنبية.

– ثالثاً: من لم يكمل الثلاثين من عمره.

– رابعاً: من حكم عليه بالإفلاس ولم يسترجع اعتباره رسمياً.

– خامساً: من حجر عليه ولم يفك حجره.

– سادساً: من اسقط من الحقوق المدنية.

– سابعاً: من لم يحسن القراءة والكتابة ما عدا نواب العشائر.

ولا تجتمع في شخص واحد وظيفة من وظائف الحكومة وعضوية المجلس التأسيسي إلا الوزراء، والموظف الذي ينتخب لأن يكون عضواً في المجلس التأسيسي، مخير في قبوله النيابة وردها في

ثمانية أيام من تبليغه، وعندما يقبل النيابة
ينفصل عن وظيفته) (4).

ولقد اقتصر حق الترشيح على الذكور دون
الإناث كما في حق الانتخاب، فقد نصت
المادة السادسة من النظام المؤقت لانتخاب
المجلس التأسيسي العراقي على أن: (يبدأ
في كل قضاء عند ورود الأمر بتنظيم دفتر
أساسي يحتوي على جميع أسماء نفوسه
الذكور الحائزين حق الانتخاب) (5).
كذلك نصت المادة "18" منه على أنه:
(يعتبر كل العراقيين الذكور منهم منتخبين
أوليين ماعدا من ذكر في المادة العشرين...)
(6). ونص المادتين أعلاه واضح وصريح
فحق الانتخاب مقتصر على الذكور، أي:
دون الإناث، وكذلك حق الترشيح.

وحددت المادة الثلاثون من القانون
الأساسي العراقي "دستور 1925" شروط
عضو مجلس النواب ومجلس الأعيان؛
حيث نصت على أن: (لا يكون عضواً في
أحد المجلسين:

1. من لم يكن عراقياً اكتسب جنسيته
العراقية بالولادة أو بموجب معاهدة
"لوزان" أو بالتجنس على أن يكون
المتجنس منتظماً إلى عائلة عثمانية كانت
تسكن عادة العراق قبل سنة 1914،
ومر على تجنسه عشر سنوات.

2. من كان دون الثلاثين من عمره في
النواب ودون الأربعين في الأعيان.

3. من كان محكوماً عليه بالإفلاس ولم
يعد اعتباره قانوناً.

4. من كان محجوراً عليه من محكمة ولم
يفك حجره.

5. من كان محكوماً عليه بالسجن مدة
لا تقل عن سنة لجريمة غير سياسية،
ومن كان محكوماً عليه بالسجن لسرقة
أو رشوة أو خيانة الأمانة أو تزوير أو

احتيال أو غير ذلك من الجرائم المخلة
بالشرف بصورة مطلقة.

6. من كان له وظيفة في الحكومة أو
المصالح الملحقة بها أو منصب أو وظيفة
أو خدمة لدى شخص أو مؤسسة لها
عقد مع إحدى الدوائر العامة أو له أية
منفعة مادية مباشرة أو غير مباشرة مع
ذلك العاقد، إلا إذا كانت المنفعة ناشئة عن
كونه مساهماً في شركة مؤلفة من أكثر من
خمسة وعشرين شخصاً. ويستثنى من
ذلك مستأجرو أراضي الحكومة وأملاكها
والقائمون بالمهام المبينة في الفقرة الثانية
من المادة الحادية والثلاثين من هذا
القانون.

7. من كان مجنوناً أو معتوهاً.

8. من كان من أقرباء الملك في الدرجة التي
تعين بقانون.

9. لا يجوز اجتماع عضوية المجلسين في
شخص واحد) (7).

وكذلك حدد قانون انتخاب مجلس النواب
الذي شرعه المجلس التأسيسي في 2 آب/
أغسطس 1924، الشروط الواجب
توافرها في النائب؛ حيث نصت المادة
الثانية والثلاثين على أن: (من حق له أن
يكون منتخباً أولاً يجوز أن يكون نائباً إلا:

1 - من كان دون الثلاثين من عمره.

2 - ومن كان محكوماً عليه بالسجن مدة
لا تقل عن سنة لجريمة غير سياسية
ومن كان محكوماً عليه بالسجن لسرقة أو
رشوة أو خيانة أمانة أو تزوير أو احتيال
أو غير ذلك من الجرائم المخلة بالشرف
بصورة مطلقة.

3 - ومن كان له منفعة مادية مباشرة
أو غير مباشرة ناشئة عن عقد مع إحدى
الدوائر العمومية العراقية، إلا إذا كانت
المنفعة ناشئة عن كونه مساهماً في

أن: تتشكل المناطق الانتخابية في الأقضية على أساس عدد الذكور المسجلين في دفاتر النفوس (... (10)، وما نصت عليه المادة السادسة من القانون (على وزير الداخلية أن يجلب جداول مصدقة من مديرية النفوس العامة تحتوي على عدد الذكور المسجلين في كل قضاء وناحية ومحلة ويقدمها إلى رئيس مجلس النواب خلال شهر واحد بعد تاريخ تنفيذ هذا القانون...) (11)؛ حيث تم حصر التسجيل للناخبين على الذكور، ومن الطبيعي يكون حصر الترشيح للذكور فقط.

كما حددت المادة الرابعة من القانون الشروط الواجب توافرها في النائب حيث نصت على أنه: (لا يكون نائبا:

1 - من لم يكن عراقياً اكتسب جنسيته العراقية بالولادة أو بموجب معاهدة لوزان، أو بالتجنس على أن يكون المتجنس منتظماً إلى عائلة عثمانية كانت تسكن عادة في العراق قبل سنة 1914، ومر على تجنسه عشر سنوات.

2 - من كان دون الثلاثين من عمره.

3 - من كان محكوماً بالإفلاس ولم يعد اعتباره قانونياً.

4 - من كان محجوراً عليه من محكمة ولم يفك حجره.

5 - من كان محكوماً عليه بالسجن لمدة لا تقل عن سنة لجريمة غير سياسية، ومن كان محكوماً عليه بالسجن لسرقة أو رشوة أو خيانة الأمانة أو تزوير أو احتيال، أو غير ذلك من الجرائم المخلة بالشرف بصورة مطلقة.

6 - من كان له منصب أو وظيفة أو خدمة لدى شخص أو مؤسسة لها عقد مع إحدى الدوائر العامة أو أية منفعة مادية مباشرة أو غير مباشرة مع ذلك

شركة مؤلفة من أكثر من خمسة وعشرين شخصاً ويستثنى من ذلك ملتزمو الأعشار ومستأجرو أراضي الحكومة وأملاكها.

4 - ومن كان من أقرباء الملك في الدرجة التي تعين بقانون خاص) (8).

وبموجب القانون أعلاه، أجريت الانتخابات النيابية في 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1924، والتي حرمت المرأة من الترشيح فيها، رغم نص القانون الأساسي العراقي لسنة 1925 على أن: (العراقيين متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين ...) (9).

المطلب الثاني: عهد الملك غازي الأول:

1933 / 9 / 8 - 1939 / 4 / 4

ورث الملك غازي عرش العراق في 8 أيلول/ سبتمبر 1933 بعد وفاة والده الملك فيصل الأول، ولقد أجريت في هذا العهد أربع عمليات انتخابية، وجميعها تمت بموجب قانون انتخابات مجلس النواب لسنة 1924، والذي تم حرمان المرأة من الترشيح، كما سبق شرحه.

المطلب الثالث: عهد الوصي عبد الإله بن

الملك علي: 1939 / 4 / 4 - 1953 / 5 / 2

أصبح الأمير عبد الإله بن الملك علي وصياً على العرش، بعد وفاة الملك غازي؛ لعدم بلوغ وريثه الملك فيصل الثاني سن الرشد، وأجريت في هذا العهد خمس عمليات انتخابية، وصدر قانون انتخابات مجلس النواب رقم 11 لسنة 1946، وكالقانون الذي سبقه لم يقر للمرأة حقها في الترشيح، وأكد استثناء المرأة من مباشرة حقوقها السياسية ما نصت عليه المادة الخامسة من

الفقرة الثانية من المادة المؤقتة على أنه: (يجوز تعديل القانون الأساسي خلال سنة من تاريخ تنفيذ هذا القانون، بما في ذلك منح المرأة المتعلمة الحقوق السياسية) (17)، وبقيام ثورة 14 تموز 1958 وإعلان النظام الجمهوري، سقطت هذه المادة بعد حوالي شهرين بسقوط الدستور الملكي.

المبحث الثاني: العهد الجمهوري:
2003/ 4/ 9 - 1958/ 7/ 14

سيتم تناول المراحل التاريخية للعهد الجمهوري في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجمهورية الأولى
1963/ 2/ 8 - 1958/ 7/ 14

بعد سقوط النظام الملكي وإقامة النظام الجمهوري، صدر الدستور المؤقت في 27 تموز 1958، وتضمن الدستور الجديد لأول مرة المساواة بين الرجل والمرأة في مباشرة الحقوق السياسية، حيث نص على أن: (المواطنون سواسية أمام القانون في الحقوق والواجبات العامة، ولا يجوز التمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة) (18). وشكل هذا النص ضمانات دستورية لحقوق المرأة السياسية. وبموجبه ضمنت المرأة للمرة الأولى في تاريخ العراق الحديث حقها في المشاركة السياسية ناخبة ومرشحة (19)، ولكن هذا العهد لم يشهد أي انتخابات.

المطلب الثاني: ب - الجمهورية الثانية
1968/ 7/ 17 - 1963/ 2/ 8

سيتم تناول هذه المرحلة التاريخية في ثلاثة فروع:

العقد، إلا إذا كانت المنفعة ناشئة عن كونه مساهماً في شركة مؤلفة من أكثر من خمسة وعشرين شخصاً، ويستثنى من ذلك مستأجرو أراضي الحكومة وأملاكها. 7 - من كان مجنوناً أو معتوهاً. 8 - من كان من أقرباء الملك في الدرجة الرابعة) (12).

وفي كانون الأول/ ديسمبر 1952، صدر المرسوم رقم 6، الذي تم فيه اعتماد الانتخاب المباشر بدلاً من الانتخاب بدرجتين، وكما في القانونين اللذين سبقاه، فقد جعل حق الترشيح حكراً على الذكور، باقتضاره حق الانتخاب للذكور فقط (13)، وبالنسبة للشروط الواجب توافرها في النائب فحددها المادة الثالثة من المرسوم (14)، وهي نفس الشروط التي تضمنتها المادة الرابعة من قانون انتخاب مجلس النواب رقم 11 لسنة 1946.

المطلب الرابع: عهد الملك فيصل الثاني:
1958/ 7/ 14 - 1953/ 5/ 2

تولى الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية في 2 أيار/ مايو 1953 (15)؛ لبلوغه سن الرشد القانونية (16)، وفي هذا العهد جرت ثلاث عمليات انتخابية، وصدر قانون انتخاب مجلس النواب رقم 53 لسنة 1956، وكالقوانين الانتخابية السابقة، فقد اقتصر حق الانتخاب والترشيح على الذكور دون الإناث. في ما يخص الشروط الواجب توافرها في النائب أعاد القانون في مادته الثالثة ما سبق ذكره في قانون رقم 11 لسنة 1946 ومرسوم رقم 6 لسنة 1956.

لقد منح التعديل الثالث "رقم 28" للقانون الأساسي في 11 أيار/ مايو 1958، المرأة المتعلمة الحقوق السياسية؛ حيث نصت

الفرع الأول:

العهد البعثي الأول:

1963/ 2/ 8 - 1963/ 10/ 18

تتوافر فيه الشروط المنصوص عليها في المادة الأولى.
ب. يكون اسمه مسجلاً في جداول الانتخاب.
ج. أن لا يقل عمره عن ثلاثين سنة ميلادية.
د. أن يحسن القراءة والكتابة.
هـ. أن يكون مؤمناً بثورة الرابع عشر من تموز ومبادئها وأهدافها) (23).

أصدر النظام الجديد دستوراً مؤقتاً في 4 نيسان 1963 تحت اسم (قانون المجلس الوطني رقم 25 لسنة 1963). ولم يكن دستوراً بالمعنى المألوف (20)؛ حيث تمت تسميته بالدستور مجازياً؛ حيث تم إلغاء المواد المتعلقة بتنظيم ممارسة السلطة (21)، وهذا يعني: أن مباشرة المرأة لحقوقها السياسية، بقيت كما نص عليها الدستور المؤقت لسنة 1958، وكالعهد السابق لم يشهد أي انتخابات.

المطلب الثالث

الجمهورية الثالثة

1968/ 7/ 17 - 2003/ 4/ 9

صدر في هذا العهد وبتاريخ 21 أيلول/ سبتمبر 1968 الدستور المؤقت لسنة 1968، والذي ضمن المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات؛ حيث نصت المادة 21 على أن: (العراقيين متساوون في الحقوق والواجبات أمام القانون لا تمييز بينهم بسبب الجنس أو العرق أو اللغة أو الدين ...) (24)، ثم صدر في 16 تموز/ يوليو 1970 الدستور المؤقت لسنة 1970، والذي أكدت المادة 19 الفقرة أ منه على أن (المواطنین سواسية أمام القانون. دون تفريق بسبب الجنس أو العرق أو اللغة أو المنشأ الاجتماعي أو الدين) (25).

الفرع الثاني

العهد العارفي الأول:

1963/ 10/ 18 - 1966/ 4/ 13

صدر في هذا العهد وبتاريخ 29 نيسان/ إبريل 1964، الدستور المؤقت "الثالث" لسنة 1964، وكما في الدستور المؤقت لسنة 1958، فنص الدستور المؤقت الجديد، على المساواة بين الرجل والمرأة في الانتخاب والترشيح (22)، وكالعهد السابق لم يشهد أي انتخابات.

الفرع الثالث

العهد العارفي الثاني:

1968/ 7/ 17 - 1966/ 4/ 17

وصدر قانون المجلس الوطني رقم 228 لسنة 1970 الذي انيطت به السلطة التشريعية، ولم يتم العمل به، وفي عام 1980 صدر قانون المجلس الوطني رقم 55، ونضمن القانون المساواة بين الرجل والمرأة في الترشيح؛ حيث نصت المادة 12 على أن: (لكل عراقي أو عراقية أن يكون ناخباً أو مرشحاً إذا توافرت فيه الشروط المنصوص عليها في هذا القانون) (26). أما الشروط الواجب توافرها في من يرغب

قانون انتخاب أعضاء مجلس الأمة رقم 7 لسنة 1967، الذي صدر في هذا العهد، منح المرأة حق الترشيح لعضوية مجلس الأمة أسوة بالرجل وبنفس الشروط، حيث نصت المادة "20" على أنه: (يشترط فيمن يرشح نفسه لعضوية مجلس الأمة أو يعين عضواً فيه ذكراً كان أم أنثى، ما يأتي: أ. أن يكون عراقياً من أبوين عراقيين. وأن

أو بالسجن عن جريمة القتل العمد.
ح- أن يكون حاصلًا على الشهادة الابتدائية أو شهادة محو الأمية المعادلة للصف السادس الابتدائي كحد أدنى.
ثانياً: لمنتسبي القوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي ممن تتوافر فيهم شروط الترشيح المنصوص عليها في "أولاً" من هذه المادة أن يرشحوا لعضوية المجلس الوطني بعد الموافقة على إستقالتهم من قبل الوزير المختص (27).

إن ما ورد في المادة 14 الفقرة ج/1 بشأن الشروط الواجب توافرها في المرشح لعضوية المجلس الوطني، أفرغت أي دور للنائب من محتواه الإيجابي، وجعلت منه أداة للنظام القائم لإضفاء الشرعية على قراراته، وألغت أية نتيجة قانونية فعلية للحقوق السياسية.
وفي ظل القانون اعلاه، جرت ثلاث دورات انتخابية، في الأعوام 1980 وكان عدد عضوات المجلس الوطني 16 عضوة، من أصل 250 عضواً، أي: بنسبة 6.4%، وفي عام 1984 كان عددهن 33 عضوة، أي: بنسبة 13.2%، وفي عام 1988 كان عددهن 27 عضوة، أي: بنسبة 10.8%.

وفي عام 1990 طرح مشروع دستور، ولكن لم يتم العمل به، وفي 27 كانون الأول/ ديسمبر من عام 1995 صدر قانون المجلس الوطني رقم 26، وتضمن القانون أيضاً حق المرأة في الترشيح؛ حيث نصت المادة "13" على أن: (لكل عراقي أو عراقية أن يكون ناخباً أو مرشحاً إذا توافرت فيه الشروط المنصوص عليها في هذا القانون) (28). أما الشروط الواجب توافرها في من يرغب في الترشيح فحددها المادة "15"، والتي نصت على أنه: (يشترط في من يرشح

بالترشيح فحددها المادة "14" والتي نصت على: (أولاً: يشترط في من يرشح لعضوية المجلس الوطني أن يكون:

أ. عراقياً بالولادة من أبوين عراقيين بالولادة من أصل غير أجنبي أو عراقياً بالولادة من أب عراقي بالولادة من أصل غير أجنبي وأم عربية من رعايا أحد الأقطار العربية.

ب. كامل الأهلية وأتم الخامسة والعشرين من العمر.

ج. 1: مؤمناً بمبادئ وأهداف ثورة "17" - 30 تموز" المجيدة، وأن تكون مساهماته في المعركة المقدسة ضد العدوان الإيراني سواء بالمشاركة أو التطوع أو التبرع في ميادين العمل والإنتاج، أو في نتاجاته الفكرية والأدبية فعالة وتمييزة وتتناسب مع قدراته وإمكانياته، وأن يكون مؤمناً بأن قادسية صدام قد عززت بالمجد هام العراق، وأنها الطريق الذي ليس سواه من طريق للحفاظ على العراق أرضاً ومياهاً وسماء وأمناً ومقدسات.

2. مؤمناً بالاشتراكية وذا سلوك اشتراكي.

د. 1: أنهى الخدمة العسكرية أو أعفي منها.

2: لم يرتكب جريمة الهروب أو التخلف من الخدمة العسكرية خلال فترة قادسية صدام.

هـ- غير متزوج بأجنبية.

و- غير مشمول بالمصادرة العامة بحكم من المحكمة.

ز. 1: غير محكوم عليه بجريمة التآمر على ثورة 17 - 30 تموز/ 1968 أو على نظام الحكم أو محاولته قلب نظام الحكم أو الاتصال بجهة أجنبية.

2: غير محكوم عليه بجريمة مخلة بالشرف

لعضوية المجلس الوطني أن يكون:

- أولاً: عراقياً بالولادة من أبوين عراقيين بالولادة من أصل غير أجنبي، أو عراقياً بالولادة من أب عراقي بالولادة من أصل غير أجنبي وأم عربية بالولادة.

- ثانياً: كامل الأهلية وأتم الخامسة والعشرين من العمر.

- ثالثاً: مؤمناً بالله وبالمبادئ الأساسية للدستور ولثورة "17 - 30 تموز" العظيمة، وأن تكون مساهماته في قادسية صدام المجيدة وأم المعارك الخالدة سواء بالمشاركة أم التطوع أم التبرع في ميادين العمل والإنتاج أم في نتاجاته الفكرية والأدبية فعالة ومتميزة وتتناسب مع قدراته وامكانياته، وأن يكون مؤمناً بأن قادسية صدام المجيدة وأم المعارك الخالدة قد عززت بالمجد هام العراق، وأنهما الطريق الذي ليس سواه من طريق للحفاظ على العراق أرضاً ومياهاً وسماء وأمناً ومقدسات.

- رابعاً: مؤمناً بالاشتراكية وذا سلوك إشتراكي.

- خامساً: ذا موقف سليم من الخدمة العسكرية.

- سادساً: غير هارب من الخدمة العسكرية أو متخلفاً عنها، أو كان هارباً أو متخلفاً وحصل بعد عودته إلى الخدمة العسكرية على وسام أو نوط شجاعة أو نوط استحقاق عال أو شارتي أم المعارك.

- سابعاً: غير متزوج بأجنبية.

- ثامناً: غير محكوم عليه بجريمة مخلة بالشرف.

- تاسعاً: حاصلاً على شهادة الدراسة

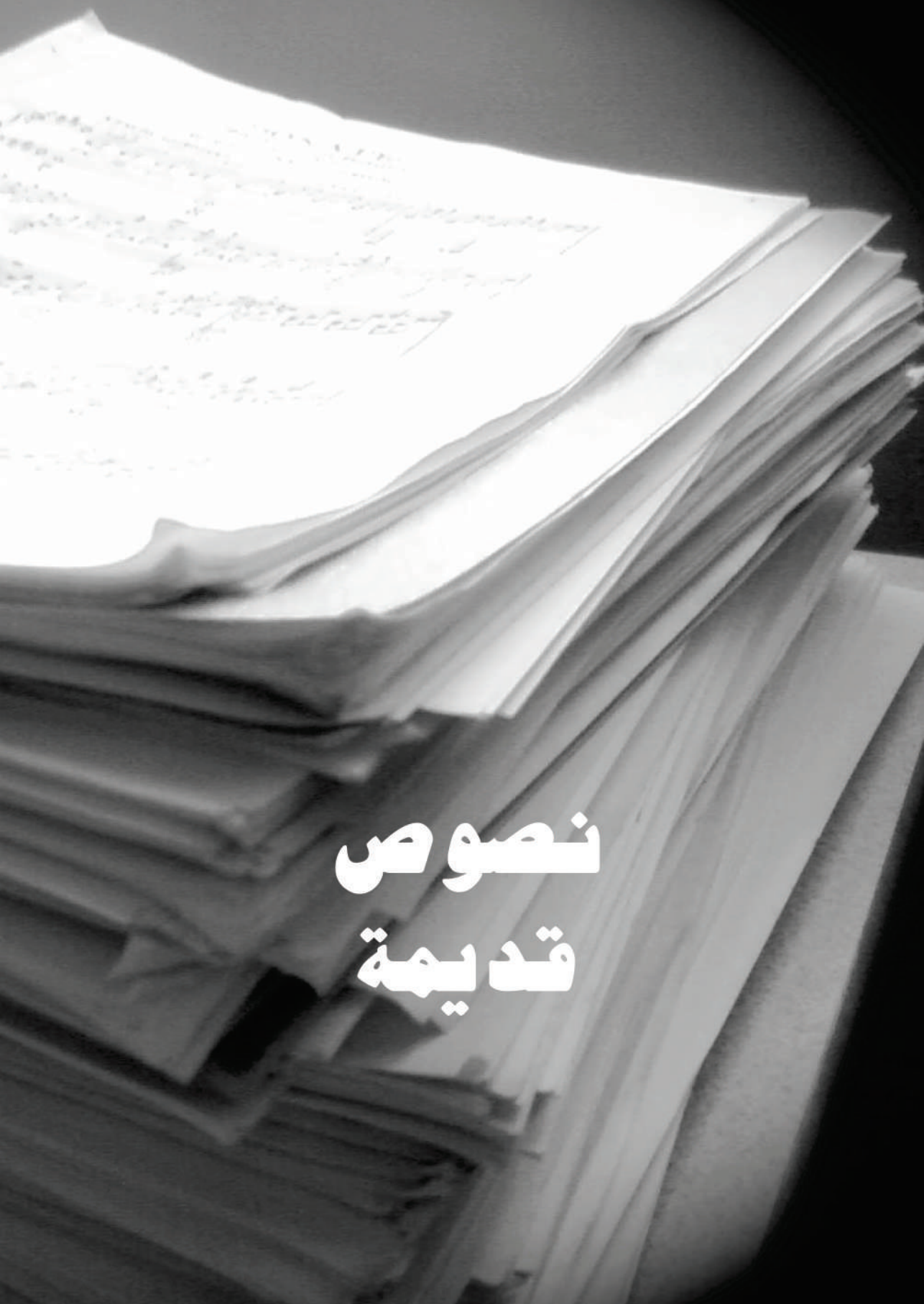
المتوسطة في الأقل، أو ما يعادلها (29). ويلاحظ أن هذا القانون تضمن نفس الشروط الواجب توافرها في من يرغب في الترشيح، الواردة في القانون رقم 55 لسنة 1980، باستثناء شرط الحصول على شهادة الدراسة المتوسطة التي وردت في الفقرة تاسعاً، بدلاً من شهادة الدراسة الابتدائية التي وردت في الفقرة ح من القانون لسنة 1980.

وأضاف القانون الجديد مادة جديدة نصت على أنه: (لا يجوز لمن مارس التجارة خلال مدة الحصار المفروض على العراق منذ السادس من آب 1990 أن يرشح لعضوية المجلس الوطني، ويستمر هذا الحرمان لدورتين متتاليتين بعد رفع الحصار) (30). وفي القانون الجديد جعل النص القانوني الذي يتعلق بمنتسبي القوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي في مادة منفصلة حملت الرقم 17 والتي نصت على أن: (منتسبي القوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي ممن تتوافر فيهم شروط الترشيح المنصوص عليها في المادة 15 من هذا القانون أن يرشحوا لعضوية المجلس الوطني بعد الموافقة على استقالتهم وفق القانون) (31). وكما القانون رقم 55 لسنة 1980 أفرغ دور النائب من محتواه الإيجابي؛ فالقانون رقم 26 لسنة 1995 كرر الموضوع ذاته في نص فقرته ثالثاً. وجرى في ظل هذا القانون دورتان انتخابيتان، في عام 1996 فازت بعضوية المجلس الوطني 19 عضواً من أصل 250 عضواً، أي: بنسبة 7.6%، وفي عام 2000 فازت 20 عضواً، أي: بنسبة 8%.

الهوامش:

- (1) القانون الأساسي العثماني المادة 65، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، ص 222.
- (2) قانون انتخاب مجلس المبعوثان العثماني، المادة 3، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، بيت الحكمة، 2004، ص 231.
- (3) القانون الأساسي العثماني المادة 68، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 222، 223.
- (4) النظام المؤقت لانتخابات المجلس التأسيسي العراقي، المادة 41، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 262.
- (5) النظام المؤقت لانتخاب المجلس التأسيسي العراقي، المادة 6، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 254.
- (6) النظام المؤقت لانتخاب المجلس التأسيسي العراقي، المادة 18، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 256.
- (7) القانون الأساسي العراقي "دستور 1925" المادة 30، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 248.
- (8) قانون انتخاب مجلس النواب لسنة 1924، المادة 32، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 315.
- (9) القانون الأساسي العراقي لسنة 1925، المادة 18.
- (10) قانون مجلس النواب رقم 11 لسنة 1946، المادة الخامسة، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 322.
- (11) القانون السابق، المادة السادسة، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 323.
- (12) القانون السابق، المادة الرابعة، نفس المصدر السابق، ص 321.
- (13) نصت المادة الثانية من المرسوم على أن (الناخب كل عراقي من الذكور أكمل العشرين من عمره وسجل اسمه في قوائم الناخبين ...)، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 337.
- (14) مرسوم انتخاب النواب رقم 6 لسنة 1952، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 337.
- (15) أصدر الوصي إرادته الملكية المرقمة 295 والمؤرخة 14 حزيران 1953 بجمع المحكمة العليا للبت في الآتي: هل يعتبر التاريخ الهجري تاريخاً رسمياً لتثبيت سن الرشد للملك، أم يعتبر التاريخ الميلادي لهذا الغرض؟ فاجتمعت المحكمة المشار إليها في 21 حزيران 1952، وقررت: "أن المقصود بالعام الوارد ذكره في المادة 22 من القانون الأساسي هو العام الميلادي"، عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج 9، ص 21.
- (16) القانون الأساسي المادة 22: سن الرشد للملك تمام الثمانية عشر عاماً (...)، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 280.
- (17) د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 305.
- (18) الدستور العراقي المؤقت لسنة 1958، المادة التاسعة.
- (19) د. نهلة النداوي، الأداء البرلماني للمرأة العراقية، مصدر سابق، ص 10.
- (20) د. رعد الجدة وآخرون، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، مصدر سابق، ص 361.

- (21) د. منذر الشاوي، القانون الدستوري والمؤسسات الدستورية العراقية، مصدر سابق، ص 11.
- (22) نصت المادة "19" من الدستور المؤقت لسنة 1964 على أن (العراقيين متساوون في الحقوق والواجبات العامة بلا تمييز بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو أي سبب آخر....).
- (23) قانون انتخاب أعضاء مجلس الأمة رقم 7 لسنة 1967، المادة 20، د. رعد الجدة، التطورات الدستورية في العراق، مصدر سابق، ص 406
- (24) الدستور العراقي المؤقت لسنة 1968، المادة 21.
- (25) الدستور العراقي المؤقت لسنة 1970، المادة 19 أ.
- (26) قانون المجلس الوطني العراقي رقم 55 لسنة 1980، المادة 12.
- (27) قانون المجلس الوطني رقم 55 لسنة 1980، المادة 14.
- (28) قانون المجلس الوطني العراقي رقم 26 لسنة 1995، المادة 13.
- (29) قانون المجلس الوطني العراقي رقم 26 لسنة 1995، المادة 15.
- (30) قانون المجلس الوطني العراقي رقم 26 لسنة 1995، المادة 16.
- (30) القانون السابق، المادة 17.



نصوص قديمة

في ذكرى ثورة 14 تموز الفرصة الضائعة لإقامة الديمقراطية*

عبد الرزاق الصايغ

في انتخابات تكميلية ويفوز دون رضا الحكومة! ولمعرفة النواب المعارضين - على ما يبدو - بقدرة الحكومة على منعهم من الوصول الى مقاعدهم في المجلس ثانية وذلك عن طريق تزييف الانتخابات، لم يقبل تحدي نوري السعيد أي واحد منهم! وهذا الواقع هو الذي حمل الشاعر العراقي الجريء معروف الرصافي على القول الذي ذهب مثلا في قصيدة له مشهورة :

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف

وبسبب انعدام الديمقراطية الحقيقية ظل مطلب في مقدمة مطالب القوى الوطنية، اطلاق رالحريات الديمقراطية، وفي مقدمتها حرية التنظيم الحزبي والنقابي والمهني وحرية الصحافة والتعبير عن الرأي والعقيدة وإجراء انتخابات حرة نزيهة وعلى درجة واحدة ، المجيء بمجلس نواب يمثل إرادة العب، حقا، تنبثق عنه حكومة وطنية لاتخضع لإرادة المستعمرين وترفض القيود المذلة التي فرضتها معاهدة 1930 على العراق .

ومع تصاعد الوعي الديمقراطي في سنوات الحرب العالمية الثانية وتعرّض هذا الوعي

كانت الديمقراطية على مدى العقود الثمانية الماضية من عمر الدولة العراقية الحديثة مطمح المنتورين من الشعب العراقي. فقاد ثورة العشرين المجيدة ومن بينهم بل في طليعتهم رجال الدين الأحرار بلوروا مطلب الشعب العراقي بإقامة دولة ديمقراطية دستورية مستقلة تنبثق عن ارادة الشعب . ولم يكن هذا الوعي المبكر بمعزل عن الإرهاصات التي جسدتها حركة " المشروطة" في أوائل القرن الحالي التي ضمت جمهرة واسعة من النخب الفكرية التي نادى بها في مواجهة الملكيات المستبدة والسلطة العثمانية . وقد سعى المستعمرون الانجليز بعد قمعهم ثورة العشرين الى إقامة نظام له اسم وشكل الدولة الديمقراطية، دون محتواها. فكانت الانتخابات على درجتين وتزييف إرادة الناخبين وسيلة المستعمرين ومن تعاونوا معهم لحرمان الشعب من الديمقراطية الحقيقية. ومما له دلالة بالغة في هذا الصدد تصدي نوري السعيد للمعارضين في مجلس النواب بالقول ان كل النواب حصلوا على مقاعدهم في المجلس برضا الحاكمين وليس بدعم الشعب لهم! وتحدى أي نائب عارض ان يستقيل ، ويرشح نفسه

وبرفع الاجور، وصدرت جريدة الأساس الشيوعية .

ولم تمض أربعة شهور حتى اجهزت الفئة الحاكمة على النزر اليسير من الحريات الديمقراطية باعلانها الاحكام العرفية "حمية مؤخرة الجيش" الذي ارسلت بعض وحداته الى فلسطين في ايار 1948 للمساهمة في منع قيام اسرائيل ظاهراً، ومنع الشعب الشعب الفلسطيني في حقيقة الامر من اقامة دولته وفقاً لقرار التقسيم، وضم الضفة الغربية لمملكة الملك عبد الله في الاردن الذي يرأس قواته المسلحة الضابط البريطاني غلوب باشا (أبو حنيك) وتخضع حكومته لارادة الانكليز بالكامل .

وهكذا شهد ربيع وصيف 1948 حملة تصفية واسعة ضد القوى الديمقراطية فاغلقت الصحف اليسارية واعتقل الالوف من الشيوعيين والديمقراطيين وسيقوا الى المحاكم العرفية ليرسلوا الى السجون، وجزت، بعد ذلك، محاكمة سرية وعلى عجل أمام مجلس عرقي ليس له من المحاكم إلا الاسم، أسفرت عن الحكم بالاعدام على قادة الحزب الشيوعي العراقي يوسف سلمان(فهد)، وزكي بسيم(حازم) وحسين محمد الشبيبي(صارم).ونفذ الحكم في شباط 1949. واعيد فتح سجن نقرة السلطان سيء الصيت الذي بناه (أبو حنيك) ليستقبل السجناء السياسيين الشيوعيين والديمقراطيين بالئات محرومين من أبسط حقوق السجن السياسي. ونتيجة للارهاب المنفلت من عقاله والتضييق على الصحف الوطنية والنشاط الحزبي والنقابي أقدم الحزبان الوطني الديمقراطي والاحرار على

بالانتصار على دول المحور الدكتاتورية أمكن تحقيق بعض النجاحات على صعيد النضال الديمقراطي وكسب جزء من حق التنظيم النقابي ، فتشكلت 16 نقابة عمالية. ولم يستطع الطلاب والشباب والفلاحون والنساء إقامة تنظيماهم. ومن ثم اضطرت الفئة الحاكمة على إلغاء الاحكام العرفية والسماح بممارسة حق التنظيم الحزبي، دون ان يتسع هذا الحق ليشمل الحزب الشيوعي أو الحزب الذي شكل الشيوعيون غالبية أعضاء هيئته المؤسسة، وهو حزب التحرر الوطني. ولم تعش عصبة مكافحة الصهيونية التي قامت بمبادرة من الشيوعيين وأصدقائهم أكثر من ثلاثة أشهر إذ أجزيت في آذار 1946 وألغيت إجازتها واغلقت صحيفتها في حزيران 1946، ولوحق قادتها وسيقوا الى المحاكم والسجون بعد ذلك. وسحبت اجازة حزبي الشعب والاتحاد الوطني عام 1947 وحوكم قادة الحزب الشيوعي ومجموعة من كوادره وصدرت بحقهم أحكام السجن الثقيلة والإعدام عام 1947.

وفي وثبة كانون الثاني 1948 المجيدة استطاعت الجماهير أن تقبر معاهدة بورتسموث التي جسدت قيود معاهدة 1930 بصيغ جديدة وأن تفرض في أعقابها قسطاً من الحريات الديمقراطية على الفئة الحاكمة استغله الطلبة الذين كانوا المبادرين الى إشعال فتيل الوثبة، لإقامة تنظيمهم الديمقراطي (اتحاد الطلبة العام) في ساحة السباع رغباً عن إرادة الحكام الذين لم يجيزوا عقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد في قاعة من قاعات بغداد. وقام العمال بالعديد من الإضرابات مطالبين بحقوقهم النقابية

في تاريخ العراق، وحكم على الكثيرين من نشطاء الانتفاضة بالسجن من قبل المحاكم العرفية .

ولأن كانت الانتفاضة لم تفلح في المجيء بحكومة وطنية ديمقراطية فقد أرغمت الحكام على تلبية مطلب من مطالب الحركة الوطنية الا وهو اجراء الانتخابات النيابية على درجة واحدة، وليس على درجتين كما كان يجري سابقاً. وعندما جرت الانتخابات النيابية وفقاً للقانون الجديد عام 1954 أفلحت الحركة الوطنية التي خاضت الانتخابات في جبهة وطنية ضمت ممثلين عن الاحزاب الوطنية بما فيها الحزب الشيوعي الذي شارك ممثلوه في الجبهة باسم ممثلي العمال والطلبة، أفلحت في ايصال عشرة نواب معارضين الى المجلس النيابي الذي يضم 140 عضواً ، الامر الذي أربع الفئة الحاكمة ومن وراءها الدوائر الامبريالية التي تعاونت من أجل تحقيق انعطافة حادة معادية للديمقراطية، فجيء بنوري السعيد في صيف 1954 ليؤلف الوزارة بشروطه التي قضت على مجلس النواب الجديد لكي تواجه حكومته المعارضة النيابية من قبل نواب الجبهة الوطنية، وبحل الاحزاب كلها، بما فيها الاحزاب التي اقامها أقطاب الفئة الحاكمة كحزب الاتحاد الدستوري الذي اقامه نوري السعيد نفسه، وحزب الامة الاشتراكي الذي اقامه صالح جبر . والغيت اجازة العشرات من النقابات العمالية والجمعيات ومئات الصحف والمجلات، وأصدرت مراسيم تقضي باسقاط الجنسية عن الشيوعيين المحكومين في السجن اذ ما رفضوا تقديم تعهد بالولاء للملك والنظام

تجميد نشاطهما وطلبا من الشعب " ان يتدبر أمره " !

ومع ذلك لم يتوقف النضال من أجل الديمقراطية، سرعان ما استطاع الحزب الشيوعي العراقي ان يضم جراحه في بداية الخمسينات، وواصل اتحاد الطلبة العام نضاله سراً، وبادرت الشبيبة الديمقراطية الى تشكيل اتحادها ، اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي وكذلك بادر عدد من المناضلات الشيوعيات الديمقراطيات الى تأسيس رابطة الدفاع عن حقوق المرأة سراً. وتساعد نضال العمال من أجل حقوقهم في العمل النقابي وأعلن عن تأسيس المكتب الدائم لاتحاد النقابات . وشهدت البلاد العديد من الاضرابات العمالية والطلابية والتحركات والانتفاضات الفلاحية ضد الاقطاع. وتتنوحت هذه النضالات بانتفاضة تشرين الثاني عام 1952 التي كانت تستهدف الحصول على الحريات الديمقراطية واقامة حكومة وطنية يرضى عنها الشعب، وانتخابات حرة على درجة واحدة وضد الاحلاف العسكرية، التي كان يراد زج العراق فيها على الضد من ارادة الشعب .

وجرى قمع الانتفاضة التي اسقطت وزارتين خلال أربعة أيام، عن طريق استخدام الجيش بعد أن عجزت الشرطة عن الوقوف بوجه سيل الجماهير الغاضبة، وتأليف الوزارة الجديدة برئاسة رئيس اركان الجيش، وعلان الاحكام العرفية، واعتقال المئات من المناضلين والنشطاء، وكان من بينهم الى جانب الغالبية من الشيوعيين ، قادة الاحزاب الوطنية وصحافيون كبار ونواب سابقون يعتقلون لأول مرة

نحو الديمقراطية يؤمن للشعب حقوقه الديمقراطية وفي حكم نفسه عن طريق ممثليه المنتخبين بإرادته الحرة. وبعد حوالي الأربعة أشهر من قمع انتفاضة الشعب العراقي لنصرة الشقيقة مصر قامت جبهة الاتحاد الوطني التي ضمت الاحزاب الوطنية: الحزب الشيوعي العراقي والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال وحزب البعث العربي الاشتراكي. ونظرا لعدم قبول بعض أطراف الجبهة بمشاركة الحزب الديمقراطي الكردستاني فيها، جرى ضم جهوده الى جهودها عن طريق التنسيق بينه وبين الحزب الشيوعي العراقي.

ان العنف الذي واجهت به الفئة الحاكمة نضالات الشعب الديمقراطية، وسددها الباب بوجه أي تغيير سلمي نحو الديمقراطية، وانتهاجها سياسة معادية لمصالح الشعب والامة العربية وارتباطها بحلف بغداد وعقدها الاتفاقيات الامنية مع الدول الاستعمارية واذنابها في المنطقة التي تنتقص السيادة الوطنية، وتحديها للمشاعر القومية التي تصاعدت بشدة أيام العدوان الثلاثي الاستعماري الصهيوني عام 1956، حرك اوساطا وطنية واسعة داخل الجيش راحت تنضم نفسها للاجهاز على الحكم الملكي الفاسد تحت اسم الضباط الاحرار، وكذلك المنظمة الوطنية للضباط والجنود التي أصدرت جريدة باسم " حرية الوطن " بمبادرة من الشيوعيين في الجيش. وقد اجمعت القوى الوطنية في جبهة الاتحاد الوطني والجيش على ضرورة اسقاط الحكم الملكي واقامة حكومة وطنية ديمقراطية تخرج وطننا من حلف بغداد وتحافظ على استقلال

القائم، وبايقاع عقوبة السجن بمنتسبي المنظمات الوطنية وأنصار السلام" وما شكل ذلك"! (كما ورد في نص المرسوم). وفصلت المئات من الطلبة والمدرسين والمعلمين وأساتذة الكليات وغالبيتهم من الشيوعيين والمتعاطفين معهم وحجزهم في دورات عسكرية ليظلوا تحت رقابتها وتهديدهم بالاحكام القاسية لنضام العقوبات العسكرية. وبعد ذلك اجرت الحكومة ما يسمى بانتخابات التزكية التي حالت دون وصول أي نائب معارض الى البرلمان تقريبا وانطلقت في تنفيذ المشاريع الاستعمارية، وفي مقدمتها حلف بغداد العسكري العدواني.

وعندما وقع العدوان الثلاثي البريطاني - الفرنسي - الاسرائيلي على مصر في خريف 1956 في أعقاب اقدام حكومة الرئيس عبد الناصر على تأمين قناة السويس، هب الشعب العراقي لنصرة الشقيقة مصر، بالمظاهرات التي ملأت العديد من المدن العراقية، الى جانب العاصمة بغداد، وتحولت المظاهرات التي شهدتها مدينة الحي الباسلة لنصرة مصر الى انتفاضة ضد الحكومة والاقطاع، واجهت الحكومة هذه الفعاليات النضالية بالحديد والنار، وضربت شوارع بغداد بدماء المناضلين الجرحى والقتلى، وقدمت اثنين من قادة انتفاضة الحي الى المحاكم العرفية هما الرفيقان علي الشيخ حمود وعطا مهدي الدباس واعدمتهم في مدينتهم الباسلة انتقاماً من جماهيرها المنتفضة، ليلحقا بالشهيد الرفيق عواد رضا الصفار الذي استشهد برصاص الشرطة في بغداد. وبذلك سدت الفئة الحاكمة الملكية الطريق على أي تغيير سلمي للسلطة

البلاد وتتضامن مع الشقيقتين مصر وسوريا، قبل قيام الوحدة بينهما، وبالتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة بعد قيام الوحدة. ولم تحو برامج جبهة الاتحاد الوطني، أو الضباط الاحرار، أي شعاري يدعو الى وحدة اندماجية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة بعد تحريره من حلف بغداد والحكم الملكي المماليء للامبريالية.

ولذا كان من المفروض ان تنشغل القوى الوطنية المتحالفة في جبهة الاتحاد الوطني بعد نجاح ثورة 14 تموز 1958 التي شكلت هذه القوى قاعدتها السياسية العريضة وعبأت الجماهير لاستقبال تحرك الضباط الوطنيين بقيادة عبد الكريم قاسم في 14 تموز 1958، بذلك الموج المتعاظم من أبناء الشعب بمختلف ميولهم واتجاهاتهم السياسية الوطنية، ان تنشغل باقامة النظام الديمقراطي من حريات عامة ومؤسسات دستورية، كمهمة اولى تمهد لانجاز المهمات الاخرى لتعزيز استقلال البلاد والخروج من حلف بغداد، وانهاض الاقتصاد الوطني والقضاء على نفوذ الاقطاعيين لتجريدهم من سيطرتهم على الاراضي الزراعية التي هي ملك الشعب، والنهوض بالتعليم وبالوضع الاقتصادي والثقافي والاجتماعي للغالبية الساحقة من أبناء الشعب. غير ان ما حصل هو غير هذا مع الأسف، اذ انشغلت القوى الوطنية منذ البداية بالخلاف حول الشعار الذي رفعه حزب البعث العربي الاشتراكي بتحريض من عفلق واصراره وبدعم عبد السلام عارف الداعي الى الوحدة الاندماجية والفورية مع الجمهورية العربية المتحدة، الأمر

الذي اضطر القوى الديمقراطية - وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي - الى طرح شعار الاتحاد الفدرالي. وكان الدافع لطرح الشعار هو تفادي فرض وحدة اندماجية، بقرار فوقي تتخذه مجموعة صغيرة من الضباط والعاملين في الحقل السياسي على الضد من ارادة الشعب، يلغي وجود الجمهورية العراقية الفتية ويكبح تطوع شعبنا باقامة نظام ديمقراطي يتمتع فيه بحرياته الديمقراطية ويؤمن الحقوق القومية للشعب الكردي عن طريق الحكم الذاتي والحقوق الادارية والثقافية للتركمان والآشوريين والكلدان.

ولم يكن هذا الموقف بمعزل عن اطلاع القوى الديمقراطية وجماهير الشعب على مجريات الأوضاع في سوريا الشقيقة بعد قيام الوحدة مع مصر حيث جرى الغاء الخصوصية السورية والحياة الحزبية فيها ومصادرة حرية التنظيم الحزبي وطولبت الاحزاب بحل نفسها وغيرها من الامور السلبية التي لم تكن تجذب الغالبية العظمى من أبناء الشعب الى شعار الوحدة الفورية الاندماجية.

ولذا فإن رفع شعار الاتحاد الفدرالي هو ، بمعنى ما، يعكس التطوع لإقامة نظام ديمقراطي وحياة حزبية شرعية في ظل الحريات الديمقراطية... الخ.

ومن المؤسف ان هذا الخلاف لم يبق في حدود الصراع الفكري حوله، والعمل على كسب الجماهير الى هذا الشعار أو ذاك بالطرق الديمقراطية بل تعداه الى الانتقال للتخطيط لانتزاع السلطة من أيدي حكومة عبد الكريم قاسم التي كانت تحضى بتأييد شعبي هائل، وسلوك طريق التآمر لتحقيق ذلك، ومجابهة

كان هذا الشعار يستهدف تخليص الوطن من كارثة الحرب ضد الشعب الكردي وتمهيد الأوضاع لنضال أكثر فعالية من أجل الحد من تسلط عبد الكريم قاسم على السلطة وبناء حياة ديمقراطية صحيحة، تتيح العمل السياسي لكل القوى السياسية في البلاد في ظل الحريات الديمقراطية وسيادة القانون وتشريع دستور دائم للبلاد.

غير ان الوعي في الحركة الوطنية ككل، وبكل فصائلها مع تفاوت في درجة مسؤولية كل فصيل عما حدث، كانت دون المستوى المطلوب لانجاح الثورة في تحقيق مهمة اقامة النظام الديمقراطي المنشود. ولم يكن هذا بمعزل بطبيعة الحال، عن التمسك بالمصالح الطبقية الضيقة من قبل البرجوازية الوطنية العراقية، ورغبة العناصر القومية في التحكم بمسيرة الثورة دون سند جماهيري، بل الاعتماد على تدخلات القوى الخارجية ودعمها، وفي مقدمتها قيادة عفلق والقوى الناصرية. وكذلك حقد العناصر الرجعية والدوائر الامبريالية على ثورة 14 تموز ومساعيها الحثيثة لاثارة الفرقة بين قوى الثورة وتفجير الصراعات فيما بينها، واستغلال الثغرات الخطيرة في نهج حكومة عبد الكريم للتأمر عليها وانجاح انقلابها المشؤوم في 8 شباط 1963. هذا الانقلاب الذي وجه أكبر ضربة للحركة الديمقراطية في العراق ما زالت آثارها بادية للعيان حتى الآن.

ان هذا الاستعراض السريع يستهدف أخذ العبر من الماضي، ومطالبة قوى المعارضة العراقية التي أجمعت في مواثيقها العديدة التي عقدتها فيما

ذلك بالعنف المبالغ فيه، وغير المبرر في كثير من الاحيان، الذي ساهم فيه الحزب الشيوعي العراقي باسم "الدفاع عن الثورة" و"سيانة الجمهورية" وأدت النزاع الفردية للحكم لدى عبد الكريم قاسم وتخوفه من تنامي نفوذ القوى اليسارية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي الى مزيد من الاجراءات المعادية للديمقراطية والاستعانة بعناصر وقوى تنتمي الى العهد الملكي البائد، واللجوء الى لعبة التوازن التي كانت تعني اطلاق أيدي القوى الرجعية والمعادية للديمقراطية وسياسة "عفا الله عما سلف". ولم تكن هذه القوى رجعية كانت أو قومية تعرضت للتنكيل المبالغ فيه بسبب نشاطاتها التأميرية مستعدة للقبول بأقل من القضاء على حكم عبد الكريم قاسم وتصفية الحزب الشيوعي العراقي.

وزاد الأمر تعقيداً اندلاع الصدمات في كردستان التي بدأتها عناصر قطاعية معادية للاصلاح الزراعي، ومن ثم انضم الحزب الديمقراطي الكردستاني اليها واعطاها طابعاً قومياً يطالب بالحقوق القومية للشعب الكردي، وتحولت الى حرب مدمرة. وهنا أيضاً كان الشعار الذي رفعه الحزب الشيوعي "السلم في كردستان" ونظم من أجله العرائض الجماهيرية بعشرات الوف التواقية والمظاهرات الضخمة التي أدت ببعض المشاركين فيها من المناضلين المعروفين والوجوه الثقافية الى السجنون تنفيذاً لأحكام مجالس عرفية نصب فيها عبد الكريم قاسم عناصر معادية له وللديمقراطية، تطبيقاً لسياسة التوازن التي أشرنا اليها سابقاً، أقول هنا أيضاً

الطريق الوحيد للوصول الى السلطة. ان تجربة ثورة 14 تموز تجربة غنية جداً بايجابياتها، اذ كانت حصيلة وحدة نشاط قوى المعارضة الوطنية، وحققت لشعبنا الكثير من المنجزات، وبسلبياتها الخطيرة، وفي مقدمتها احتراب القوى التي فجرتها فيما بينها، وتضييعها فرصة اقامة النظام الديمقراطي الذي ينشده الشعب وفتحها الطريق لتوالي الدكتاتوريات التي أوصلت وطننا وشعبنا الى الوضع الكارثي الذي يعاني منه الجميع.

بينها طيلة العشرين سنة الماضية على هدف إزاحة الدكتاتورية وبناء عراق ديمقراطي يتمتع فيه الشعب بحرياته الديمقراطية كاملة واقامة دولة القانون وحقوق الانسان استنادا الى دستور ديمقراطي دائم يشرعه مجلس تأسيسي منتخب انتخاباً حراً نزيهاً وضمان الحقوق القومية للشعب الكردي وكل الانتماءات القومية في العراق، مطالبة باخلاص لهذا الهدف واعتماد الاساليب السلمية في التنافس على كسب ثقة الشعب، وجعل صندوق الاقتراع هو

* الثقافة الجديدة ، العدد 289 – تموز – آب 1999

نصوص مترجمة



من أرشيف الكومنترن (11) رسائل في أرشيف الكومنترن للحزب الشيوعي العراقي في الكومنترن *

ترجمها عن الروسية د. عبد الله حبة

والتححرر. ومن الطبيعي أن ندعم الحركة التي تقود الى نتائج تقدمية. لقد شاركت قيادة الجيش في الانقلاب لأن الدكتاتورية الرجعية التي فرضتها الحكومة السابقة قد أوصلت الارهاب الى درجة جعلت الاطاحة بهذه الدكتاتورية الإرهابية غير ممكنة إلا بقوة الجيش، علاوة على ذلك فقد تحسس الجيش جيداً بأن استخدام الوزارة السابقة للجيش من أجل قمع كافة الانتفاضات ليس في صالح الشعب العراقي، وفعلاً فإن الجيش تلقى قبل سقوط الوزارة الاخيرة بقمع الانتفاضة الشديدة في الفرات وقد رفض الجيش الانصياع للأمر وتشاور مع المعارضة حول وجوب إنهاء فترة الارهاب الفردي من جانب حكومة الهاشمي. وفي النتيجة تم الاتفاق حول ما عرفناه من الصحف.

يجب علينا في هذه الظروف دعم هذه الحركة بالعمل بوصفنا جزءاً من المعارضة الوطنية ولم تسفك قطرة دم واحدة في اثناء الانقلاب. وفي البداية أسقطت الطائرات المناشير التي يشرح فيها الوضع وضرورة تغييره والتي كانت بمثابة انذار لاستقالة الحكومة خلال ساعتين. وأصدرت الحكومة الأمر الى قطعات الجيش الأخرى والشرطة بإبداء

الرفيق ايركولي 15Dez 1936
الترجمة من الروسية
سري
رسالة من الحزب الشيوعي العراقي الى
الحزب الشيوعي السوري
الأخ العزيز

تحية حارة، استلمت رسالتك، وسررت للغاية بالإفراج عن السجناء وبالحرية التي يتمتع بها جميع الاخوة بعد الانقلاب في بغداد. ان الرجال الذين جاءوا الى السلطة بعد الانقلاب هم، كما اعتقد بأنك تعرف، جماعة تقدمية وليست رجعية. في الأمس كنا معهم في صف واحد في النضال ضد الوحشية الرجعية لوزارة الهاشمي. ان الانقلاب حتى لو جرى بالارتكاز على الجيش ليس هدفه فرض دكتاتورية عسكرية، كما يحدث في البلدان الرأسمالية الأخرى. ان جيشنا للتححرر هو بحد ذاته ليس سوى التنظيم الفعلي الكبير الوحيد الذي يضم مختلف شرائح الشعب والعمال والفلاحين وبسطاء الطبقات المتوسطة، وهدفه هو الدفاع عن الاستقلال والحرية. اما القيادة التي مضى الجيش وراءها في هذه الحركة، فإنها ليست عناصر فاشية رجعية. وبهذا نحن نعتبر الجيش وكافة أفراد الجيش هو جيش الدفاع

الرفيق ايركولي 20Jan 1937

سري

رسالة الحزب الشيوعي العراقي الى الحزب

الشيوعي السوري

بتاريخ 29 / 11 / 1936

شكرا على نصائحكم الأخوية، ولا بد من القاء الضوء على الظروف التي ارغمتنا على عدم ذكر الامبريالية البريطانية. من الواضح ان الامبريالية البريطانية لا توافق فقط بل وتعمل ضد حكومتنا الحالية، لأنها تشكلت بدون التشاور معها وضد ارادتها. لكن الوضع الحساس وقيام الانقلاب يمثل هذا التكتيك الحكيم قد اربع الامبريالية البريطانية، وجعلها أمام الواقع، وكان لا بد من مراعاة هذا الأمر، وإلا فان الانقلاب لم يسفر عما جرى وما تأمل فيه بعده. وكما هو معروف فانه توجد لدى الامبريالية البريطانية قوات كبيرة في العراق وفلسطين ومصر، وكان بوسعها استخدامها ضدنا وإعادة الرجعية وفرض ارباب أكثر قوة من السابق.

وإذا ما تحدثنا عن الامبريالية البريطانية، فإن حركتنا، ونحن على ثقة من ذلك كانت ستلقى ردود فعل أخرى. ولكن ذلك في هذه الظروف انحرافاً يسارياً، ولم نفعل سوى تنامي الحماس وإقناع الشعب بضرورة تصفية نشاط الحكومة السابقة.

ان الفترة الانتقالية الحالية التي نمر بها هي فترة تقودنا الى انجاز التحرر الوطني والمضي بالثورة الوطنية في طريق إعادة تنظيم المجتمع العراقي، وإعادة التنظيم الذي تقوم به البرجوازية الصغيرة والوطنيون التقدميون الآخرون اعداء الامبريالية. ونحن سنكون أيضاً بين هؤلاء المنظمين، وهذا ما تفعله في الوقت الحالي.

المقاومة المسلحة للوحدات الثائرة، لكنها رفضت جميعاً تنفيذ هذا الامر. وبعد ساعتين القيت أربع قنابل على مبنى الحكومة فاستقال الهاشمي وتشكلت حكومة حكمت، ولجأ الوزراء السابقون وبينهم الهاشمي الى السفارة البريطانية، وتم كما يُعرف ترحيلهم من العراق.

وبعد 4 أيام نظمت مظاهرة جماهيرية لدعم الحكومة الشعبية. وكان أبرز ما في هذه المظاهرة مشاركتنا فيها. ورفعنا وحدنا فقط الشعارات التي تلقفتها الجماهير. وتركت هذه الشعارات صدئاً كبيراً وبثت الرعب الشديد في الرجعيين - الفاشيين.

ان نجاحاتنا الكبيرة في تنظيم الاضراب الجماهيري، قد أكسبتنا قوة كبيرة والايامن بهذه القوة، ورفعت التطلع في العمل.

نحن نرجوكم دعم هذه الحركة التقدمية ونشر بعض الوقائع والمتوفر لديكم في الصحف من اجل تنفيذ الاكاذيب التي يروجها بعض العملاء الرجعيين من مرتزقة الحكومة السابقة.

ووزع في اثناء المظاهرة المنشور الذي تجده طي هذه الرسالة.

نحن سنمضي قدماً الى الامام، بقوة قيادتنا العليا، وبدعمكم الاخوي. نرجوكم ايراد رأيكم بلا تأخير وتقديم نصائحكم حول عملنا.

نحن طلبنا السماح لنا بإصدار مجلة. ونرجو ارسال المقالات التي لا يمكن نشرها في مجلتكم، لان حرية النشر والديمقراطية مضمونة عندنا. ارسلوا لنا مجلتكم بأكبر عدد من النسخ، وغير ذلك من مطبوعاتكم، إنها غير ممنوعة لدينا الآن كلها. بعد ايام سيتم الافراج عن بقية السجناء السياسيين.

بغداد 36/ 11/11

الأخرى التي تنفذ حالياً، ولا تنسوا ان جهاز الدولة باق؛ الجهاز نفسه والمسؤولون في داخل البلاد وخارجها هم انفسهم والذين يقفون، كما تعرفون، ضدنا.

إن العمل أمام الجماهير كمناضلين وطنيين صادقين ومخلصين هو الحل الوحيد للمسألة حيث تواجهنا عقبات كبيرة.

نعم، نحن بحاجة في هذه الظروف للتحديث الى الجماهير بصورة مباشرة، ونحن نتحدث معهم ليس باسم الحزب الشيوعي. وهذا لا يعني البتة تجاهل مهامنا الحزبية، بل الأمر بالعكس تماماً. ونحن نرى أن هذا يعتبر السبيل الوحيد الذي يوفر لنا الفرصة لتوسيع حزبنا الذي يجب أن يبقى غير علني. ويجب علينا تنظيمه بشكل أفضل كحزب غير علني.

نحن نعلم جيداً ان النضال ضد الرجعية والإقطاع هو مهمة ضخمة ولا يمكن أن يعالجها حتى النهاية أي أحد غيرنا. لأن مصالح البرجوازية والإقطاعيين مترابطة بشكل متبادل عندنا أكثر من أي مكان آخر، كما نعتقد. ولا يمكن فصل البرجوازية الزراعية عن الإقطاع، إنها مرتبطة به بحكم مصالحها. كما ان غالبية البرجوازية الصغيرة في المدن والقرى مرتبطة بها بقوة أيضاً.

إن فصل هذه العلاقات لا يتم بالسرعة المرجوة، نرجوكم ايضاح هذا كله وإبلاغنا برأيكم.

لقد تأسس حزب الإصلاح الشعبي، وقد ارسلنا لكم الصحف التي نشر فيها برنامجه ومبادئه، لكنكم لم تقولوا شيئاً بهذا الصدد. هذا علماً اننا نقوم بتوجيه نشاط هذا الحزب. زد على ذلك سننظم فروع هذا الحزب في عدد من مناطق العراق. ومن الواضح انه في هذه الظروف ينبغي العمل بحذر ولا حاجة لتحدي البرجوازية التي ما زال يخيفها اسمنا لمجرد السماع. ولا حاجة لتحدي الامبريالية والرجعية اللتين تحوكان سوية خيوط المؤامرة ضد الحاضر، ومن أجل اعادة الماضي. ان الرجعية وجزءاً من البرجوازية غير الراضية والتي يمضي وراءها قسم كبير من الجماهير - هي القوة التي لا يجوز عدم اخذها بنظر الاعتبار، انها قوة كبيرة عندنا، قوة بتنظيمها وترابط مصالحها، فهل ترون ان من الممكن تسليم هذه القوة السلاح بيدها من أجل ان نقاتلنا سوية، وجنباً الى جنب مع الامبريالية؟

إن مخاطبة الجماهير مباشرة باسم الحزب، هو الخطر الذي يوجد في الوقت الحاضر. انه يلحق الضرر بحكم الالتزامات التي أخذناها على عاتقنا بغية عدم الانقياد الى التطرف الذي يتحدى الإمبريالية، والأوضاع المتغيرة، والالتزامات حيال المنظمات التقدمية، التي يجري تأسيسها وفيها الكثير من الامور المعقولة والنافعة بالنسبة لنا، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار التسهيلات الكبيرة التي نتمتع بها، وإذا ما راعينا الإلتزامات

* من وثائق أرشيف الكومنترن



واردات

حوار مع الفنان فيصل لعبيبي صاحي حديث في الفن والحياة 2 - 1

حاوره / يوسف الناصر



واحدة من افضل فترات عطاءه الفني. وتشهد لوحته تطورا باتجاهات جديدة اكثر إثارة وعمقا وجمالا. وتشهد زخما من الاقبال غير المسبوق من قبل متذوقي الفن ومتابعيه والجمهور عموما. أما على المستوى الثاني فان الحركة الفنية العراقية والحركة الثقافية عموما تشهد تراجعاً خطيراً على كافة المستويات.

يكتسب الحديث مع الفنان فيصل لعبيبي أهمية خاصة في الوقت الراهن، سواء أكان ذلك على صعيد توصلاته وتطور عمله الفني وخواص ذلك العمل وموقعه ضمن الحركة الفنية، أم على صعيد واقع الحركة الفنية العراقية والعربية والظروف التي يمر بها بلدنا عموماً. فعلى المستوى الأول يعيش فيصل حالياً

المعرض الذي أقامه في كأليري ميم في دبي قبل سنتين.

الحوار التالي الذي اردناه - فيصل وأنا - ان يكون على شيء من السعة والشمولية، والذي نخص به (الثقافة الجديدة)، هو حلقة من سلسلة حوارات كثيرة، نجريها كلما التقينا او تحدثنا عن بعد، سوى أننا قررنا هذه المرة ان نسجله على الورق، فأرسلت عددا من الاسئلة الابتدائية ليفصل عن طريق الإيميل فكان رده وافيا مع ملاحظة فيها نبذة عتاب، فتصورت انه مستاء من حدة الاسئلة او صياغاتها الاستفزازية، لكنني فوجئت به يطلب العكس، ان اكون قاسيا نوعا ما في ما سيأتي من أسئلة، وان لا اكون (رقيقا وحذرا) فأكون سببا في حوار بسيط، يراوح على السطح، ولا يلامس حقيقة المواضيع والمشكلات التي تشغلنا جميعا.

جرى الحوار في لندن في شهري أيار وحزيران هذه السنة، 2017.

* مضى حتى الآن اكثر من 40 عاما وأنت تعيش في الغربية، ويكاد حرصك على موضوع العراق وصورته في فنك ان يقرب من العناد، فقد كرست جل عملك الفني، ان لم يكن جميعه، لهذا الأمر وكلما ابتعد العراق كلما تعزز حضوره في لوحتك، تبدو لي وكأنك في سباق محموم لانتشال هويته وتاريخه من متاهة مصير مجهول يسير نحوه بثبات.

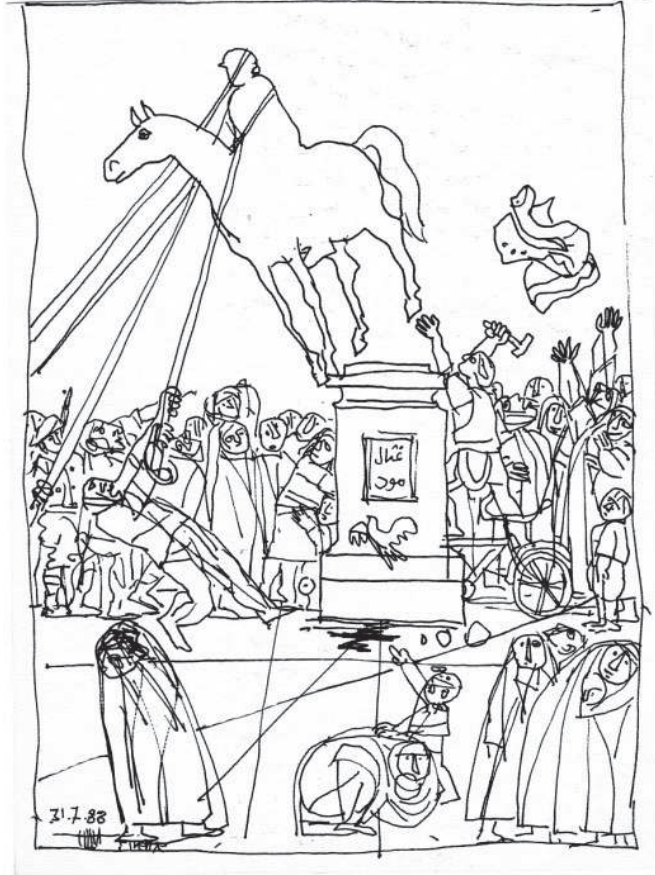
- شكراً عزيزي يوسف على هذا السؤال. الحقيقة إن أكبر تحدٍ يواجه الباحث عن معنى وجوده، هو الطريق الذي يجب عليه إتباعه. والمعنى الوجودي هنا كما افهمه

وهي لا تقف على مفترق طرق قد يؤدي بها الى مصير مجهول، كما درجت العبارة السائدة، بل هي تقف بمواجهة امام مصير معروف مدى تراجعته وتخلفه وخطورته. فيصل لعبيي ليس رساما محدودا بجدران مرسمه، يطل على العالم من شرفة فيه، بل هو مثقف عضوي وحيوي ومتابع جدي للفن وشؤون الحياة المختلفة، اجتماعية وسياسية، وخصوصا ما يتعلق منها بالشأن العراقي. إنه لا يكتفي بالرسم والنحت ورسم الكاريكاتور بل يتعداه الى كتابة المقال والدراسات في الفن وشؤون الادب المختلفة. وهو شخصية فاعلة بنشاط في الحياة الثقافية للعراقيين في المنفى؛ ان سبق أن اصدر جريدة (المجرشة) وهي جريدة انتقادية ساخرة بين عامي 1992 و2002، كما أنه يشترك منذ ست سنوات مع بعض اصدقائه وعلى رأسهم المخرج السينمائي علي رفيق في تنشيط (المقهى الثقافي في لندن) الذي هو قضاء حر وحيوي لممارسة ودعم الثقافة والفن العراقيين. وليفصل لعبيي "خبرة" طويلة بالمنفى فقد غادر العراق مضطرا منذ بداية السبعينيات، وعاش في بلدان مختلفة كإيطاليا وفرنسا والجزائر قبل ان يصل الى مستقره الحالي في بريطانيا.

ولد فيصل لعبيي في البصرة عام 1945 مع ان جنسيته تشير الى عام 1947، وهذه قصة اخرى ليس هنا موقعها. تخرج من معهد الفنون الجميلة واكاديمية الفنون في بغداد اوائل السبعينيات، واكمل دراسته في جامعة السوربون في باريس. اقام معارض كثيرة جماعية وفردية في بلدان مختلفة، كان آخرها (الاجواع والمسرات)

أهم الحضارات البشرية. فالحرص على الاحتفاظ به وتقديمه بكل الطرق الإبداعية الممكنة وخاصة بعد الكوارث التي مر بها منذ انقلاب 8 شباط البعثي - القومي الدموي عام 1963 والتفكك الذي جرى لنسيجه الإجتماعي والثقافي، يصبح من أولى واجبات المثقف والعارف والمحب لهذا البلد العجيب. انني اعتقد اننا لا نزال منزوعي الهوية، وهذا ينطبق على المجتمعات التي خضعت للمرحلة الإستعمارية (الكولونيالية) وما قبلها، والتي دمرت خلال هيمنتها كل المعارف السابقة لها، وقضت على الحرف والصناعات الشعبية ومجمل الخبرة المحلية المتوارثة والتي كانت تعبر عن الشخصية المحلية خير تعبير. وبعد مجيء النفط ازداد الاتكال على الاقتصاد الريعي، الذي دق آخر مسمار في نعش الإنتاج المحلي والصناعات الحرفية واليدوية الشعبية والتقليدية فاخترت الرسوم من علي الزجاج والجدران والنقوش الخشبية وشوّهت العمارة المحلية واضمحلّت صناعة الأدوات المنزلية وفنون النسيج كالغزل والتطريز والخزف والنحاس وغيرها من إبداعات ابناء المنطقة. لهذا يكون من المحتم على واحد مثلي مهووس ببلده ويفتخر في انتمائه له، ان يستغل كل فرصة للتعبير عن انتمائه وتبعيته لتلك التربة المباركة والزكية التي تضم كل هذه الكنوز الإنسانية النادرة ويستخدم كل تفصيل او ملمح يعود لها، خاصة ونحن نقف الان على مشارف مرحلة انتقالية قد تؤدي بنا الى الهاوية، او تدفعنا الى الأمام مع بقية الشعوب والبلدان التي تسعى بخطى حثيثة لعبور الهوة الحضارية التي تفصلنا عن العصر الحديث ومنجزاته

هو مجموعة التجارب والخبرات وتراكم المعارف وتنوع الظروف والشروط التي ترافقك وأنت مغمور في تحقيق كينونتك الخاصة مع عدم نسيان ما يجري أمامك في نفس الوقت، أي ربط كل هذه الأمور ببعضها وتحويلها الى منجز قائم يمثلك ويعبر عن مخاوفك أو آمالك وطموحاتك، وأنا كعراقي يحمل على ظهره اكثر من حضارة، والذي ولد في منتصف العقد الخامس من القرن العشرين أي عام 1945، حيث لم يكن العراق بمعناه الحالي موجوداً قبل اكثر من ثلاثة عقود من يوم مولدي ذاك، يهمني جداً المحافظة على الشكل الإداري الذي طرحته نتائج الحرب العالمية الأولى، ومقترح (معاهدة سايكس - بيكو) الشهيرة، والتي قسّمت المنطقة بين الفرنسيين والبريطانيين، بحسب حصصهم المتفق عليها في ما بينهم. فالعراق العثماني كان عراقا بلا ملامح محددة، حتى أن ولاية البصرة وحدها تمتد الى حدود عُمان ومسقط وكانت معظم مشايخ تلك المناطق تدفع الضرائب للحاكم التركي في البصرة، كما ان البصرة خلال فترة الحرب العالمية الأولى، كانت مرشحة للاتحاق بحكومة الهند وطموحات شركة الهند الشرقية. والمتتبع للصراع بين مدرسة القاهرة ومدرسة الهند الشرقية آنذاك يعرف هذه التفاصيل جيداً وكان الحال مع ولاية الموصل لا يختلف؛ إذ كانت الأطماع التركية تحاول ضمها الى تركيا ولم يتم التخلص من هذه الورطة إلا بضغط من بريطانيا وإلحاح ملك العراق فيصل الأول والطاغم العراقي الذي التف حوله. لهذا فالعراق الحالي الذي تكون بعد الحرب، حافظ ولحسن الحظ على الخارطة الحضارية لخمس حضارات سابقة، كانت قائمة على أرضه وتعتبر من



الأول وها انت توجزه بعبارات سهلة وواضحة.

كما تعرف أنت، فقد غادرت العراق عام 1974 وهذه فترة طويلة لإنسان مثلي كان يتردد حتى في المبيت خارج منزل العائلة ليلة واحدة، عندما كنت في العراق، فكيف بي وانا مبتعد عنه منذ 43 عاماً بالتمام والكمال؟ ما هو شعوري وردود فعلي لما اسمعه عنه وما يمر به وما حدث له من مصائب وويلات ومآسي؟ ولا تنسى أن سنوات السبعينيات التي غادرت خلالها بلدي، كانت توحى بمستقبل مشرق

العظيمة، وما تحقق للبشرية خلال مسيرتها الشاقة والمعقدة جداً.

* كلما أوغلت في المنفى وابتعدت عن الأصل ازداد حضوره اشراقاً في لوحتك، وكلما تشوشت صورته كلما ازدادت وضوحاً وانت ترسمها، الوان مقاهيك ومشاهدك البغدادية تزداد طلاقة وحيوية كلما عتمت صورة العراق، هل هو فعل مقاومة ام انك تحتمي بخيالك؟

- ربما هذا ما وددت قوله رداً على سؤالك

وألقا)، هل لهذا علاقة بالاستجابة لرغبة المتلقي وحاجة السوق؟

– العمل الفني اليوم يخضع لشروط مختلفة عن شروط الماضي. سابقاً كان هناك راع للفنون، شخصية دينية أو حاكم وبيوتات غنية جداً، تحتاج بعض المتع والترفيه عن نفسها والتمتع بالثقافة الراقية، وهذا لم يتوفر للشعب وعموم الناس، لهذا، نجد تاريخ الفن مليئاً بمثل هذه الشواهد. كان مايكل أنجيلو، يتصارع مع الفاتيكان كي يحصل على طعام للعاملين معه في رسم جداريات السستين الشهيرة، وأحياناً يهملون حتى أجورهم الشحيحة التي اتفقوا عليها. وهذا ما جرى أيضاً لمتسارت الرائع، عندما تم تكليفه من قبل احد البارونات بتأليف قطعة موسيقية له ومات قبل اكمالها، بحيث دفع زوجته وأصحابه الى عدم اعلان موته خوفاً من مطالبة البارون بالنقود التي استلمها (موتسارت) قبل ذلك وليس هذا فقط، فقد تركوا جثته تدفن مع المشردين الذين لا يملكون ثمن قبورهم والذين تتكفل البلدية في دفنهم بقبر جماعي، فذهبت جثة موتسارت ولم يعرف حتى يومنا هذا أين دُفنت. ولا داع للحديث عن حياة (فان خوخ) أو (مودلياني) فقد ماتا وهم لا يملكان فلساً واحداً وكلاهما كان يعاني من امراض مستفحلة.

الفن اليوم اصبح بيد مافيا تتكون من المزادات الدولية للفن وتجار الأعمال الفنية وجامعي اللوحات والوسطاء وقاعات العرض، وتنحت الدولة والمتاحف والمدارس والمعاهد الفنية وحتى النقاد الجادين عن الساحة بسبب قوة المال وليس قوة الفن. وقد صرح احد العاملين في المزادات عن رأيه في أهم عمل فني، فقال

للعراق، حتى ان دراسات عديدة كُتبت وقتها عن العراق، الذي سيصل الى مستوى إسبانيا في تسعينات القرن الماضي، وأنا شخصياً قد سمعت من عائلتي وبعض الأصدقاء خلال فترة مجلس الإعمار الذي أنشئ في العهد الملكي، ان العراق سيسبق اليابان خلال السنوات القادمة ويصبح بمصاف الدول التي اجتازت مرحلة النمو الى مرحلة التقدم والرفاهية. لكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه، كما قال المتنبي في صدر بيت احدى قصائده.

فكانت صورة العراق الزاهية التي ترتكها خلفي هي الهادية والملمهة لرسومي وأنا في الغربة هذه، ولما كنا بلاد شمس فالألوان مشرقة واضحة وصريحة وغير محايدة والظل قاطع وحاد. وكنت كمن ينذكر ايام فرحه، فكلما أشعر بالمأزق الذي يمر به بلدي، لا شعورياً تظهر المشاهد الجميلة وتعترضني الأفراح والمسرات والثناء وحتى الرثاء على ما قد مضى. لكن هذا لا يجعلني انسى التراجيديا والخطورة التي تواجه وطني، فانت تستطيع ملاحظة الانقسام الذي اعيشه بين الظل والنور بين الحزن والفرح بين الضيق والانفراج، وهذه طبيعة جدلية الحياة والطبيعة والإنسان والمجتمع معاً. ومن غير الفنان من يشير الى هذه التقلبات والاختلافات والتناقضات؟ فالفن هو من يوحد البشر في الأفراح والمسرات وفي الأحزان والكوارث، وبالمناسبة كان عنوان معرضي الأخير في كاليري ميم في دبي عام 2015 هو الأوجاع والمسرات.

* تزداد لوحاتك جاذبية مع مرور الوقت (جمال الوجوه، كثرة النقوش والزخارف الدقيقة، الاواني والتحف تزداد بهجة

هل انفي رغبتني في بيع أعمالي لمن يرغب بها؟ طبعاً لا، انا بحاجة الى مال كي أعيش ولمعرفة درجة فهم او قبول الآخر لما اقوم به.

هل اخضع لرغبات الزبائن؟ لا أنفي البعض منها، خاصة التي تأتي مع مزاجي، واحياناً أجد اصدقاء ومحبين لعملتي يقترحون عليّ بعض المواضيع التي تصب في نفس الاتجاه ونفس الميول التي أنحاز لها، وبالتالي تكون هناك رغبة مشتركة للقيام بمثل هذه الأعمال. لا تنسى ان الكم الهام من الأعمال الفنية في تاريخ الفن العام، كان قد خضع لرغبات قد تكون بعيدة عن رغبات مبدعيها من الفنانين. لم أقم بعمل لم أرغب في القيام به، إلا عندما كنت رساما في الصحافة، حيث عليك رسم بعض الشخصيات التي قد تكون في تناقض تام معها، لكن هذا هو العمل الصحفي، فترسم وجوه للسانسة والقتلة والمجرمين، لأن الموضوع المطلوب يقتضي ذلك.

* كتبتُ عنك سنة 2003 أن (لوحة فيصل لعبيبي ليست ذكري بللاده البعيدة، انما هي البلاد، ليست صورة الوطن، انها وطنه) هل تقبل ذلك الكلام؟

- قد يكون كاتب النص النقدي اكثر إنتباهاً من الفنان بسبب إنغمار الفنان بالعملية الفنية المتعددة الجوانب، بينما المراقب أو المشاهد سيتلقى العمل جاهزاً ودفعة واحدة، ولن يهمله ما مرّ على العمل من تغيرات ومن حذف أو إضافة وغيرها من الأمور، لهذا قد يكون تشخيص هذا الكاتب او ذاك اقرب الى ما أراده الفنان في عمله. لكن تبقى هذه الأمور نسبية وتأويلها عادة يرتبط باللحظة المعاشة أثناء

هو العمل الذي يباع بسرعة وبسعر عال. فما هو موقف الفنان من امثالي، الذي يدعي الإلتزام والوقوف بوجه الفساد والتشويه الذي يمر به المجتمع البشري برمته؟

من جانبي، لا ازال ارسم ما يحلو لي وما يدخل الفرح الى نفسي ويشعرنني بأني لا ازال املك قدراً من السعادة عليّ ان اتمتع بها. هل رسومي تستهوي البعض؟ هذا يأتي بالدرجة الثانية، أنا ارسم مثل الذي يغني لنفسه حتى ولو في الحمام معتقداً ان صوته جميل، انه يتمتع بكينونته ويشعر بوجودها ودورها.

ماذا يفعل فنان مثلي عندما يعرض عليه إقامة معرض فني وفي مكان مهم وله زبائن وإحتمال بيع عدد من الأعمال اكثر من 50%؟ هل يرفض؟

لماذا لا يكون السؤال لماذا ترسم هذه الأعمال وقد اجبت على جزء منه في اجوبتي السابقة؟

لا اظن ان هناك فناً لا يفكر بسوق الفن إن أراد عرض نتاجه في صالة عرض، ولصالة العرض متطلبات - طبع دليل للمعرض، بطاقات دعوة، مرطبات ومشروبات وتأطير الأعمال، ناهيك عن ثمن المواد والزمن الذي يستغرقه الفنان في تنفيذ الأعمال وغيرها من الأمور التي تكلف مالاً وجهداً ووقتاً، على الفنان ان يفكر بها. والعمل الفني اليوم اصبح سلعة كبقية السلع، فهو يُسَعَّرُ ويُعْرَضُ للبيع. وكما ذكرت ان غياب الدولة كمؤسسة تعني بالثقافة والفنون وازمحلال دورها التنويري، يضع الفنان أمام هذه الشبكة من العلاقات المعقدة. وليس هذا فقط، فهو في حاجة الى مسوق وإدارة وبرمجة وتخطيط ودقة في المواعيد، لم يألفها الفنان السابق ولا المؤسسات القديمة.

في النهاية هو سر بقاء البشر وسائر المخلوقات على هذا الكوكب، لهذا فله عندي مكانة خاصة وعميقة الأثر، هو ليس عملية ميكانيكية وإنما هو عملية خلاقية، فيها من الخصوصية ما تعجز الكتب عن وصفه، لأنه تصاعد وعلو وتسامي بالنفس الى ذرى الشعور بجمال الوجود.

ربما من هذه الزاوية يمكن وصف العمل الجنسي و العمل الفني أو تشبيههما بما هو مقدس او طهراني حسب تعبيرك. وأنا ليست لدي وسيلة للتعبير عن حضوري المادي وسعادتني أفضل من ممارسة الجنس وتحسس جمالياته، وقد تكون العملية الفنية شكلاً من أشكال إثبات الوجود وتحقيق نفس المتعة التي تشعر بها عند ممارسة الجنس ولهذا تصبح لذة إنتاج العمل الفني مشابهة للذة الفعل الجنسي، مع الفارق في أن لذة العمل الفني تستمر ربما قرناً من الزمن وقد تتخلد، بينما اللذة الجنسية وسعادتتها محدودة زمنياً عموماً. وأظن ان فرويد قد عنى هذا المعنى عندما تحدث عن تعويض الكبت وتحرير الغريزة عن طريق الإبداع.

ثم ان جماليات الجسد البشري لا تظهر بكل ابعادها بدون القيام بممارسة العملية الجنسية والتمتع بها بكامل انفعالاتها المرافقة لها. والفن في ظني يمجّد هذه الحالة، أي الشعور بجمال الوجود وبالسعادة والتسامي والتحرر وليس شيئاً آخر. وأنا اعبر من خلال اعمالي عن العشاق والمحبين عن تلك الخصوصيات المميزة، خاصة عندما تواجه مثل هذه الغرائز موانع وعقبات ونواهي ومحرمات، وإذا كنت تحب ممارسة الجنس وترسمه في أعمالك، فاللذة والمتعة والجمال تكون مضاعفة.

المشاهدة الأولى وليس المتابعة التفصيلية لمراحل عمل الفنان وتوجهاته العامة وحتى تاريخية اللوحة والتاريخ الفني والشخصي للفنان. وكما تعلم فاللوحة هي تعبير عن روح الفنان في نهاية الأمر، رغم تنوع التأويلات والتفسيرات او الفهم عند هذا أو ذاك من المشاهدين أو الكتاب، وقد تتغير أيضاً التفسيرات مع مرور الوقت والحالة التي يعيشها المفسر خلال مشاهدته للعمل مرة تلو الأخرى. وهذا طبعاً يختلف حسب تجربة المشاهد (س) وتجربة المشاهد (ص). لكني أوافقك على 50% من تفسيرك للوحتي وهي نسبة ليس هينة يعني "فتني فتني".

* انت تخلق عالماً سعيداً، مسالماً وطارها - حتى في لوحات الإيروتيكا، ورغم وضوحها الجسدي فإن فيها من العاطفة والروح أكثر مما فيها من الشبق ورغبة الجسد الخالصة - هل تسعى بنا نحو طهرانية اليوتوبيا بعد ان فسدت الارض تحت اقدامنا؟

- لا ادري ماذا اقول، ليست لدي فكرة واضحة عن الطهرانية، فهي نسبية كما تعلم، فالطهراني لدينا ربما هو مدنس لدى الآخرين والعكس صحيح، فالخمرة رجب عند المسلمين ومقدسة عند المسيحيين ولحم الخنزير يخضع لنفس التقييم المقدس او المدنس. الفن لغة عالمية يفهمها الجميع، وليس هناك من يسأل عن معنى الموسيقى ولكنه يتماهى معها بدون المطالبة بتوضيحات لها، لكن ليس كل الفنون موسيقى، رغم ان شوبنهاور يعتقد ان كل الفنون تسعى لأن تصبح موسيقى. أنا إنسان واقعي وأتعامل مع الأمور بملوسية وشخصية بحتة. والجنس



واشخاصك متعافون، لا أثر للعتة أو
الاذى ولا ما يوجي بالخوف أو القلق، وإذا
ما وجد ذلك كثيراً في الفن الاوروبي
فغالبا عبر الاسطورة كما تعلم. هل
تسعى من وراء ذلك الى بناء مدينتك
الفاضلة ذات القسمات العراقية؟

- في أعمالي التي يطلق عليها الأصدقاء
(البغداديات)، وهذه تسمية تشرفني
فعلاً وتعني - ربما - في أي قد عكست ولو
بنسبة معنية روح بغداد في هذه النتاجات،
لكني أشتغل على هذه المواضيع طويلاً
قبل أن يراها المشاهد، وأعاني من تبدلات
الشخصيات التي أرسمها وأدرسها أكثر
من مرة، وقد تتغير الشخصية الواحدة
وتنقلب رأساً على عقب، نتيجة لحرصني
على توفير قدر من التناسب والإنسجام

* لوحات الإيرونيكا كانت مثالا، فانا لا
اجد في شهوة الجنس وماديته دنسا
يحط من قيمته، لكني اتحدث عن
الجانب العاطفي والروحاني لتمثلات
الواقع في لوحاتك.

- ربما يشعر المشاهد بمثل هذه المشاعر
والعواطف الروحانية، لا ادري، لكني
اعتقد ان ممارسة الحب وممارسة الفن،
هو أرقى فعل بشري، يمكن ان يجسد توق
النفس الى الجمال والحرية وإدراك الوجود
والأبدية.

* ألا ترى انك تعلق بالواقع الى مستوى
المثال في لوحات البغداديات، أقترح
هذه التسمية موقتا لتسهيل الحوار،
فمقهاك نظيف والمدينة جميلة،

سبب حضورها أو تمثيلها في هذا المشهد او ذاك؟ أظن على المشاهد ان يتحلى بشيء من المعلومات العامة حول الفن ولا بأس لو يأخذ فكرة عن الفنان الذي ينوي مشاهدة اعماله ويقراً قليلاً في سيرة حياته حتى تكتمل الفائدة وتتحقق الغايات.

* على الضد من محاولة الارتفاع بالواقع الى مستوى المثال، تبدو رغبتك الملحة أحياناً في ايصال الفكرة وكأنها تضيء على لوجتك نوعاً من التبسيط الشديد، ما يضعك في موقع معلم يحاول لشدة حرصه على افهام تلاميذه أن يشرح فكرة معقدة من خلال سوق امثلة سهلة تذهب بالمعنى الحقيقي، (هل تذكر كيف شرحوا لنا في المدرسة التمثيل الغذائي بفكرة الاحتراق، كما يحدث في محرك السيارة؟)، هل لانتمائك السياسي علاقة بالامر؟

- قد يفهم هذا إذا استندنا في نقدنا الى المدارس الغربية التي تفسر الأعمال بناءً على آخر مرحلة من مراحل تاريخ النقد عندهم. فهم مثلاً يحاكمون الأعمال القديمة نسبياً، حتى تلك التي تعود لبداية القرن العشرين، اعتماداً على الذائقة الحالية لديهم أو ما وصل إليه الفكر النقدي او فلسفة الفن حالياً، أي أنها بالنسبة لهم أعمال قديمة. لكن ما شأننا نحن بما يفكر به الآخر؟ نحن نعيش مشاكل مختلفة وتجارب أخرى. قد نتعلم منهم بعض القيم والتجارب، لكننا يجب ان لا نحاكيمهم في كل ما يذهبون إليه. هذا هو تاريخهم، ولهم الحق في التعامل معه كيفما يعتقدون، لكن ماذا بشأن تاريخنا وتجاربنا ومحاولاتنا الخاصة؟ وبالمناسبة، واحدة من مهام الفن هي

في ما بينها. كما تتضمن هذه المواضيع معاني متناقضة ومتنوعة؛ فالمقهى، مثلاً، بالنسبة لي، هو مسرح الحياة الاجتماعية في العراق، وفيه مختلف شرائح الشعب العراقي من العسكري الى رجل الدين الى العامل والفلاح، وحتى المرأة التي احاول أن اشير بوجودها الى المستوى المتردي الذي وصلته في ايامنا الكالحة هذه، وهي التي تدفع عادة ثمن المرات والكوارث التي يسببها الرجل بالذات، لهذا تجد كل شيء مرسوما بدقة مقصودة وضرورية لتوضيح العلاقات والتناقضات والصراع الخفي الدائر في مجتمعنا. وما على الناظر إلا ان يتمتع جيداً ليكتشف أسرار الشخصيات ودوافعها والهدف من وجودها في هذا المشهد أو ذاك.

هناك أسي شفيف وحزن نبيل وليس عواطف رخيصة أو عرض مشاعر سهلة وسريعة التبدل. انا أرسم الواقع العراقي وقد أجرؤ وأسمي عملي هذا (واقعية محلية) لأنه يمت للواقع بصلة قوية، فيها من المحلية ما يجعل الناظر يسميها بغداوية، ولكن أيضاً فيها شيء غير واقعي ولا يشبه الأشياء التي تتعامل معها يومياً. انا لا أبحث عن مدينة صالحة او طالحة، ولكني أشير الى خلل العلاقات القائمة حالياً وأبطال او صناع هذا الخلل او ذاك؛ فالعسكري ذو العين الواحدة هو رمز للرأي الواحد والأمري ورجل الدين السني الذي يحمل كتاب "صحيح البخاري"، يقابله رجل دين شيعي يحمل كتاب "ثم اهتديت"، إشارة للاحتراب الطائفي الحالي وقد تجد المثلي والشقي والمتقف والتاجر وغيرهم من شخصيات مجتمعنا الواقعي والصادم معاً، لكن هل على الفنان ان يكتب تحت كل شخصية

* رسمت المقهى كثيراً، تكاد ان تكون كل عالمك الآن، الى أين أنت ذاهب بهذا الموضوع؟ ألا ترى أنك بدأت تكرر نفسك؟

- ولم لا؟ لقد قضى (سيزان) عمره بالكامل وهو يرسم التفاحات التي أمامه، لأنه مهموم بقضية قد تكون التفاحات عاملاً مساعداً على فهمها، وكذلك الحال مع العديد من فناني العالم، ماذا كان ينحت (جاكومييتي) أو (هنري مور) أو (مارينو ماريني)؟ الموضوع - أي موضوع - بالنسبة للفنان، هو حجة للبحث وليس لنضوب الفنان أو عدم قدرته للخروج من الموضوع الذي يشتغل عليه.

* ذهبت مرات عديدة مباشرة الى الخراب الذي أصاب حياتنا ورسمته في لوحات كثيرة، حدث ذلك منذ وقت مبكر في معرضك المشترك في بغداد مع الفنان صلاح جواد، والفنان نعمان هادي في آذار عام 1978 في قاعة كولبنكيان، وكذلك في لوحة الشهيد وتفرعاتها ومعرض الوجوه في غاليري الكوفة في لندن في نوفمبر عام 1999، فهل انك ترسم في (البغداديات) ما أقدر ان أسميه معادلاً جمالياً للخراب، هل ترسم الجمال المفقود من حياتنا؟ - يمكن ان تكون الأعمال التي انتجتها هي بنت لحظتها وقابلة في نفس الوقت للبقاء كوثيقة وشهادة على ما مر به الوطن والناس وأنا كفنّان أحاول ان اعكس ما احسه من تبدلات وتطورات وتغيير. وكما ذكرت لك سابقاً، الفنان خالق جماليات وشاهد على عصره، وعادة ما يشير الى ما ينقص المجتمع او الروح البشرية، فيحاول ردم الهوية بين الواقع والمفترض او

التوضيح والشرح والتعبير عن موقف ما. ألا ترى في لوحة الفنان التجريدي تناقضاً عندما يطلق على لوحة بلون أحمر، اسم (مربع احمر)، فهل هو بحاجة لذكر العنوان واللوحة كلها عبارة عن مربع احمر. وكيف يمكننا ان نفهم المبولة التي عرضها الفنان مارسيل دوشامب تحت اسم (النافورة)؟

مع أنني لا افكر بما ذكرت ولا أحاول شرح القضية للمشاهد، ولن يخطر ببالي ذلك، لكني لا أنفي صفة الوضوح او القصديّة والتأكيد على التفاصيل في أعمالي التي انتجتها، هل هذه نقاط ضعف؟ ومن وجهة نظر من؟ إنني أترك ذلك الى ما بعد أن تتأسس لدينا حركة نقدية تعتمد على اللوحة العراقية وليس على نقد فني يعود لجغرافية ثقافية مختلفة وظروف مناخ آخر وتحت شروط غير التي نمر بها.

أما الانتماء السياسي، فهو حتماً يؤثر على مشاعر الفنان ورغباته وحتى عواطفه، وأنا لا انفي هذا، بالعكس، أعتبره عاملاً جديداً ومساعداً ومهماً في بلورة مفاهيمي الجمالية والفنية والإنسانية، فقد قوّي عندي الميل الى الخير والعمل النافع وخدمة القيم النبيلة من خلال الفن. والفن بالنسبة لي هو خير تام وسعادة لا توصف لمن يزاوله، وبالتالي يكون جزءاً من المساعي التي يسعى لها البشر من أجل عالم أفضل محاط بالجمال والأخوة والسلام. وأنا لست من الفنانين المتحذلقين الذين يعتقدون ان تعقيد العمل يعطي لهم ميزة تفرقهم عن بقية البشر - وهو بالنسبة لي - تعقيد مفتعل، وليس له أساس صادق، فكلما كان العمل الفني قادراً الى الوصول الى المتلقي ومؤثراً فيه، كلما كان ذلك انفع للطرفين.

هناك فارق حضاري كبير بيننا وبين الغرب بالذات، يتمثل في النظر للمرأة وحقوق القوميات والحرية الفردية وحرية المعتقد والتعبير عن الذات والحرية الشخصية والفردية، حيث نفتقد كل هذه القيم والمفاهيم وننكرها أو نستنكرها في الغالب الأعم، مع أننا اليوم نستخدم أرقى أنواع التقنيات الحديثة ونستطيع الوصول الى العواصم المتحضرة خلال ساعات معدودة زمنياً، لكن الفارق الحضاري بيننا هو قرون وليست عقود. هنا تكمن إشكالية فشلنا الواضح وعدم فهمنا او سوء فهمنا للتطور والتحضر. فبدون ذات واعية وعارفة بقدرتها وحدودها وعقل مستقل وحر، لا يمكن ان نبني قاعدة نستطيع الانطلاق منها الى العالم الحديث والمعاصر. نحن الآن كالغرب الذي ضيع المشيتين، فهناك قوى تريد بنا العودة الى قيم القرون الوسطى ونحن نريد اللحاق بالعالم المتقدم وهناك قوى تريد بناء الإستراتيجية في مجتمع لا يزال يرزح تحت القيم العشائرية وسطوة اللاهوت المغرق بالشعوذة والخزعبلات. المهمة صعبة لكن يجب تحملها والعمل من اجل تحقيق التغيير الضروري، إذا أردنا أن نبقى على قيد الحياة كشعب فاعل وله دور في صنع حضارة العصر الجديد.

* تقول في أكثر من مناسبة انك تسعى باتجاه لوحة عراقية، ألا ترى ان المبالغة في تجميل الماضي وتزيين الواقع يبعدك عن تحقيق هذا الهدف؟

– لماذا يبعدي؟ الفن هو مسعى الفنان لعالم غير مضطرب، عالم جميل متوازن وإنساني بامتياز – إذا اتفقنا أن الإنسان يبحث في كل ما يقوم به عن خلاص من عبثية الوجود أو فهم سره – ولهذا فالفنان يقدم

المفروض حدوثه، فالحرب يقابلها السلام والقبح يجد أمامه الجمال والشر يحاصره الخير وهكذا.

فمعرض (آه يا بلادي آه ياما بين النهرين) عام 1999، كان تعبيراً عن الخراب الذي أصاب العراق من جراء مغامرات النظام السابق والحصار الذي أهلك العراقيين وجعلهم يبيعون حتى شبابيك بيوتهم وطابوقها، كي يسدوا رمقهم. وكان يمثل لي تجربة نحتية لم أمارسها سابقاً وكان التحريب فيها مستنداً على ملحمة الثورة لجواد سليم. أما معرض (قيامة أذار) عام 1992 في كالبري الأربعة للرحل الصديق عزيز النائب في منطقة جيزيك اللندنية، فكان عن انتفاضة أذار عام 1991 التي قام بها الشعب العراقي ضد النظام الدكتاتوري السابق وما حل بها من مذابح دموية نفذها النظام بحق المنتفضين، وهو شهادة، لا بد منها، وكنت قد نفذتها بواسطة الألوان المائية على الورق. وفي تجربة المقاهي والحرف المحلية وصور الكسبة، كنت أبحث عن لوحة عراقية بحتة، عن (جوديا) السومري في صورة (الأسطة علوان) وعن (عشتار) في صورة (أم العباية) وعن بوريتريت عراقي في لوحة (صبري أفندي) وهكذا، لأنني، وربما هذا مجرد وهم، أعتقد أننا يجب أن يكون لنا بوريتريت عراقي وموضوع عراقي ومنظر عراقي وحياتة جامدة عراقية وكل موضوع جديد وغريب عليه أن يتسم بالعراقية في تناولنا الفني، مثل ما نراه في الفن الصيني والفن الهندي أو الأوربي والمكسيكي. وأنا أسعى بهذا الإتجاه وأحس أننا أهملنا هذه المهمة وذهبنا وراء ما تحقق لدى الآخر، لنجعله معبراً عنا بشكل قسري، مع انه لا يتناسب لا مع مشاكلنا ولا مع همومنا الجمالية والفكرية أو الإجتماعية.

اللوحات الأوربية وقارن بينهما ماذا ترى؟
أين البحث الخاص والفكر المختلف والبيئة
المغايرة والموضوع المحلي؟

* تبدو كمن يتمسك بدقائق الحرفة
الاكاديمية من جهة، لكنك تترك لخيالك
حرية التلاعب بواقعية الموضوع.

– ها أنت تجيب بدلاً عني وبإختصار شديد
ومكتفٍ، فشكراً لك مرة أخرى. أنا كما
ذكرت تهمني الصنعة كما تهمني الأفكار
أو المواضيع، لا أخضع للصدقة إلا نادراً
عندما اجدها تخدم قصديتي. خذ الرسوم
والأعمال الفنية التي انتجتها الحضارات
القديمة، مثل العراقية والمصرية، فستندهل
من درجة التحكم بالأشكال وفي نفس الوقت
من قدرة الفنان على إضفاء شيء من خياله
من خلال تلاعبه بواقعية الشكل الذي بين
يديه. وحتى لو أراد الفنان اليوم أن يعيد
رسم لوحة تعود له، فسوف يضطر الى
تغيير الكثير من تفاصيلها السابقة لأنه
بصراحة محكوم بحركة الواقع ولتطوره
الخاص بالذات وما يحدث امامه. وواحدة
من أجمل لحظات الفنان، هي تلك التي يشعر
فيها بأنه يقوم بتشكيل خلق جديد ويعالج
ملامح كتلة بدأت بالحياة بين يديه، حيث
تلعب الحرية هنا والبداية وتراكم الخبرة
دورها الحاسم.

* مع ان الاكسسوارات ضرورية في
انشاء المقهى مثلاً، إلا انها تبدو
كوسيلة واقعية لتبرير عالم افتراضي
لا واقعي.

– كما قلت سابقاً، ليس من مهمة الفنان
أن يستنسخ الواقع، إلا لغرض توثيقي
فقط، وبظهور آلة التصوير الحديثة،
اصبح الاعتماد على الفنان في الجانب

مقترحات جمالية ومعنوية ووجهة نظر
خاصة من خلال مسعاه نحو هذا الهدف،
قد يخطئ وقد يصيب، وهذا يعتمد على
درجة وعي الفنان وثقافته وفهمه للشروط
التي تحيطه. انت ترى اليوم أن فناني
العالم غير الأوربي، عموماً، يحاولون ان
يتمثلوا التجربة الغربية، دون النظر الى ما
يحيطهم من عوالم قابلة لأن تكون مصادر
هامة لجمالياتهم، وهذا لا يجعلهم منتجين
حقيقيين للإبداع بل مستهلكي إبداع غيرهم
ومكررين لما سبق إنتاجه في مكان ما.

أنا أشبه المرحلة التي نمر بها، وأقصد
بالمرحلة، فترة طويلة نسبياً، أي منذ
سقوط بغداد عام 1258 على يد هولاكو
وحتى ثورة 14 تموز عام 1958، أي
سبعة قرون بالتمام والكمال، هي مرحلة
تقليد وإتباع وخضوع لثقافة الآخر،
مع محاولات نادرة للتمايز لم يكتب لها
الإستمرار، ظهرت في الصناعات والحرف
المحلية والعمارة وأساليب التزيين
والزخرفة والخط. أي انها تشبه الفترة
الهلينستية التي عمت المنطقة، كما ذكرت
أيام هيمنة الفن اليوناني عليها. نحن الآن
نعيش المرحلة الثانية من هيمنة الآخر على
مقاليد الحضارة الحديثة. لا نساهم في أي
إضافة تذكر، نتلقى فقط ونستهلك ما ينتجه
غيرنا. ولهذا فترزين الماضي كما ذكرت
أو تجميله هو محاولة لتذكير العروس
بأيام عرسها السعيدة، عليها تعيد نشاطها
السابق وتجدد حياتها الحالية. نحن فعلاً
مبتعدون عن الواقع ولا نريد تفحصه، لهذا
تراناً نلجأ للسهل والجاهز والذي لا يكلفنا
جهداً. ضع أي لوحة عراقية او عربية من
لوحات فناني الحداثة عندنا، كما يطلقون
على أنفسهم – أستثنى هنا الجادين منهم،
وهم قلة قليلة جداً – الى جانب أي لوحة من

يمتد بعيداً في عمق تاريخنا الماضي ويتفاعل مع الحاضر ويستجيب لبعض تبدلاته أو يقف حائلاً أمام تقدمه أو محاولة الحلول محله. لهذا فالتاريخ هنا مرتبط بالتراث وعليه يمكن المزج بينهما من دون ان نجعلهما شيئاً واحداً. ولكن ما هو الذي يمثلنا كتاريخ وما هو التراث المختلف؟

انت تعرف ان 90% من النتاج الفني وحتى الثقافي عموماً غارق في تأثيره بنتاج الغرب، وإذا أحسنا النية فهو يلهث لمحاكاة ما موجود في اوربا بشكل خاص، وهذا خلل بنيوي في معرفتنا للثقافة الأخرى او إبداع الآخر. فنحن هنا مستنسخين لتجارب الغير. وبعد فترة سيصبح هذا النتاج من تركت المرحلة الكولنيالية، وقد كتب ادوارد سعيد كتاباً قيماً عن الثقافة والإمبريالية، اشار فيه الى هذه الإشكالية، كما نوهت مدرسة فرانكفورت في الثلاثينيات من القرن الماضي حول هيمنة نظرية الرجل الأبيض، (المركزية الأوروبية) على ثقافات وفنون الشعوب المستعمرة، والحيلولة دون أن تتمتع بحقها في التعبير عن نفسها بطريقتها الخاصة فنياً، ونحن نشهد على وسائل التعليم والتربية الفنية التي تطبق الآن في معاهدنا الفنية والإبداعية، فهي مناهج غربية 100%، وليس هناك محاولات جادة للبحث عن طريق خاص بنا، للتعبير عن ذواتنا المختلفة.

هذا لا يعني إهمال منجزات الثقافات الأخرى او تجاهلها بل العكس هو الصحيح، أي الإنتباه لها ودراستها واخذ ما هو نافع لنا منها مع ترك ما ليس له صلة بحاجاتنا الماسية إبداعياً، وهذا ما فعله الفنانان الخالدان

التوثيقي نادراً. الفن لغة وموقف وتعبير عن مستوى فهمنا للعالم والطبيعة والمجتمع والنفس البشرية بشكل خاص. لهذا فأنت حتى لو رسمت الشكل بحذافيره فهو يختلف عن الشكل الحقيقي نفسه. أنت الآن تحاكم الأمور من زاوية نقدية مخصصة لأسلوب معين من الرسم، لكنك عندما تكسر قواعد هذا الأسلوب ستخلق قواعد جديدة ونقداً جديداً وأسلوباً جديداً. هنا تكمن مقدرة هذا الفنان أو ذاك على ما يتعلق بالإبداع. ليس هناك فنان يشبه فنانا حتى لو قلدا بعضهما. لهذا فالواقع ينفع العالم الافتراضي والإفتراضي ينفع العالم الواقعي. خذ كيف عبّر (شكسبير) عن الحياة والصراعات وكيف قدّم النفس البشرية بذاك العمق والرصد الدقيق. لكنه لم يأخذ من حدث واحد بل من احداث جمعها لتصبح مشاهد مفترضة وتوحي بحياة حقيقية أو واقعية إن أردنا استخدام عباراتك، يفعل بها المشاهد ولكنه يدرك في نفس الوقت أنه يجلس في قاعة وأمام ممثلين يؤدون أدواراً مكتوبة لهم على ورق من قبل كاتب. كيف يمكن للممثل ان يعكس مشاعر غيره مثلاً ويجعلك تتأثر به وبوضعه في العمل؟ الفن يؤدي هذا الفعل في داخل النفس البشرية وحتى الكائنات الأخرى، هل لاحظت كيف تنتبه الحيوانات للموسيقى وللألوان والرقص؟ ألا تتذكر عصفور إذاعة بغداد عند إفتتاحها صباحاً وكل يوم، مع انه عصفور صناعي؟

* ألا يقلقك أنك تصنع لنا تراثاً مختلفاً وتاريخاً لم يكن لنا؟

– لا أعرف ماذا تقصد بذلك، لكني سأحاول الإجابة حسب فهمي لسؤالك هذا. فالتراث هو ما نملكه حالياً والذي

المصري محمود مختار والعراقي جواد سليم. والآن لو حاولت ان تقوم بجرده بسيطة لما هو صدى لما أنتج في اوربا داخل متاحفنا، فسوف تُصدّم من درجة التطابق والمحاكاة والبغائية التي تطبع الأعمال الفنية في عالمنا العربي الفسيح. بينما لا تجد المحاولات الجادة والحقيقية والمخلصة في التعبير عن شخصيتنا المحلية، إلا نادراً ولا تقاس نسبتها بما هو شائع من الأعمال، وهذا طبيعي لأن الإبداع عملية معقدة وتحتاج الى ثقافة وتجربة ومران وحساسية وجدية زائداً المسؤولية الشخصية، إضافة للسياسة العامة للدولة وبرامجها في ما يتعلق بالفنون والآداب وبقية المجالات الإبداعية المتنوعة.

فالبحث عن شخصية مختلفة تمثلك حقاً، لا يعني الخروج عن مسار التاريخ ولكن هو في الحقيقة محاولة في أن يكون لك داخل هذا التاريخ موقع قدم واثر إيجابي وليس سلبي، إتباعياً او نسخة لصورة الآخر، ماذا ينفني تقليدي ليكاسو أو دالي أو اتحول الى تجريدي، وانا قبل أيام كنت أرسم بدوياً يركب حصاناً وبطريقة أيضاً مستوحاة من فن الغرب، لكن الاستفادة من بيكاسو أو دالي ضرورية جداً، وأنا قد استقدت من العديد من فناني الغرب ابتداءً من بيرو ديلا فرنتشسكا ومرورا بأنغر ثم بيكاسو وجواد سليم ومحمود صبري وغيرهم من مبدعي العالم. لكن هل تعتقد ان كل ما يقدم اليوم من نتاج فني عربي او عراقي في المعارض والمهرجانات الفنية وأسواق الفن الدولية والمزادات يمثلنا حقاً؟

* أقصد ان لوحاتك قوية التأثير ولها حضور كثيف، فالمقهى مثلاً مصنوع بمهارة عالية وبعاطفة واضحة وتلامس عواطف ومشاعر من يشاهدها وبإمكانها ان تكرس بديلاً للواقع وتفاصيل الحياة التي كانت سائدة.

– شكراً لهذا الإطراء، ولكن يبقى الواقع أغنى من كل منجزات الفن على مر العصور وهو الملهم الحقيقي حتى للفنانين الغارقين في التجريد. أنا ممن يؤكد على الحرفية في الفن وضرورة ان تكون هناك دراسة جادة وحقيقية لمن يريد ان يكون فناناً عكس الآراء التي تنادي بإهمال الدراسة او اعتبارها غير ملزمة للفنان، وها أنت ترى أين وصل الفن في أوربا، حيث ظهرت توجهات معادية للفن نفسه واستفزازية تماماً، ولكن هذا نتاج تطور وتدرج تاريخي وموضوعي لما تمر به المجتمعات في الغرب ومن شعور بالوحشة والاعتراب وفقدان العلاقات الإنسانية المتعارف عليها، مع كل ما وصلت إليه من تطور تقني وعلمي ومفاهيمي، وإلا كيف تفسر وجود الترسنة الحربية والأسلحة الفتاكة التي يردد فوقها المواطن الأوربي والأمريكي والتي لا يعرف متى تنطلق لتدمره وتدمر العالم معه؟

إن فكراً يستسغ تصفية مدن وقرى كاملة بسكانها، كما فعل الأمريكان في إلقاء القنابل النووية على اليابان والنابالم في فيتنام، وكما يفعلون الآن في العراق وسوريا وليبيا وتونس وغيرها من الأماكن وتعريض شعوبها لكوارث وصراعات مميتة، من خلال تزويد العناصر المتشددة ودعمها وخلق بؤر للتوتر والفوضى، لا يمكن الركون إليه أو الاطمئنان. هناك فوبيا الدمار وفوبيا الآخر وفوبيا الإرهاب والجماعات المتشددة والمتعصبة. وهي

وبمهارة عالية تقنياً. لا تنسى ان الصراع على منطقتنا قديم ولا تزال هذه المنطقة نقطة جذب وصراع بسبب وجود ثلاثة أديان سماوية فيها، وبسبب حضارات لم تشهد لها البشرية مثالا من قبل. ولن يسمح لنا مجدداً من بناء حضارات أخرى على غرارها وبمستواها في المستقبل، مع ان كل العوامل تساعد على تحقيق ذلك. هذا هو السيناريو، هل هذا يعني انني من المؤمنين بنظرية المؤامرة؟ أقول نعم ولا، لأن ذلك يعتمد علينا نحن، إذا ما سمحنا لسيناريو التدمير بتدميرنا أو الوقوف بوجهه وردة على أعقابهم مهزوماً.

كلها نتاج مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة، التي جرّت حتى شعوب العالم غير الأوربي الى تبعاتها المكلفة روحياً ومادياً وجعلتها تدور في فلك القطبين دون ان يتفطن أحد منها الى لعب دور مستقل وبعيد عن القطبية الثنائية التي أخذت العالم معها على الرغم من ظهور منظمة دول عدم الانحياز.

فهناك سيناريو معد لتدمير المناطق ذات العمق الحضاري وتشويه تاريخها وجعلها بدون ذاكرة. فعلينا الانتباه والحذر والعمل على تحصين انفسنا وإنتاج ما يمثلنا إبداعياً وبمستوى رفيع معنوياً

- الجزء الثاني من الحوار سيصدر في العدد ٣٩٢ / المحرر.

أدب

و

فن



أفق سردي قادم

حميد الربيعي

الأفكار والآراء التي كانت
مكبوتة في العهد المباد، لهذا
تفجرت في بناها السردية كل
أشكال التمرد على مؤسسة
السلطة والمجتمع.

لقد بدأت الحكايات تظهر بعد
عام 2003 وهي منشطية
بكل الهم العراقي، بما فيها من
مخلفات الحروب والحصار والكبت
والموت. في المراحل الأولى لهذا السرد
كانت الرؤيا الفكرية غير جلية وغير
محددة المعالم ، لما سنؤول اليه حركة
المجتمع أو بما يريد أن يقوم به السرد
من اسهامة في بناء منظومة معرفية، لهذا
رأينا ذلك الكم الكبير من الروايات التي
صدرت، فقد قيل أن أكثر من 300 رواية
طبعت قبل عام 2010.

إن التفسخ الحاصل في بنية المجتمع،
نتيجة ارادة التغيير والتي أصبحت بيد
الناس، وتعدد أوجهه، قد كشف عما كان
يعتمر في داخل هذه المجتمعات من كيانات
واثنيات وتعددية، حاولت الدولة عبر
مراحلها الماضية طمسها أو إلغائها أو
تهميشها، بيد أن الرواية بأفقه المعرفي
لا بد وان تأخذ بهذا التنوع الحضاري
المتعدد في بنية المجتمع وتجعل منه مادة
للسرديات الكبرى، التي تتطلع اليها في
رسم واقعه المستقبلية، مما يتيح أمامها
مجالا خصبا في إزالة صدى الأزمنة
الماضية والانطلاق في تكوين ثقافة



يبديو لي، من خلال سفراتي
المتواصلة إلى المدن العربية
واحتكاكي المباشر مع الأوساط
الثقافية والإعلامية، أن ثمة
اهتماما وحرصا شديدين
باتجاه الرواية العراقية،
خاصة خلال أعوامها الخمسة
الأخيرة، بما مثلته من ثقل في

التجربة السردية ، أو بما لحقها من
تطور ملحوظ في تراكمها الكمي والنوعي،
بحيث باتت تشكل علامة مميزة في الحراك
الثقافي العربي.

التغيير الذي حدث في العراق عام 2003،
كان حدثا جلالا، على كافة الأصعدة،
بدءا من بنية المجتمع وطبيعة السلطة،
وصولاً إلى البنية الثقافية، التي كانت
سائدة أبان المرحلة السابقة، فكان لا بد
أن تتأثر الرواية بهذا الحدث، باعتبار
الرواية هي الوعاء الذي يعكس حالة
الناس وطباعهم وتطلعاتهم، بما يختمر
بهذه الذوات من انفعالات ورؤيا وأفكار.
الرواية أكثر الأجناس الأدبية التي
أدركت التغيير وبما أليه الوضع، فانتقلت
من حضان السلطة إلى مكانها الطبيعي،
بان يكون المجتمع هو الحاضنة. من هذه
النقطة تفجر المخزون التراثي والفكري،
بما تعتمل به الذات من انكسارات سابقة
أو المراوحة عند محطات تاريخية في
الصيرورة الحتمية ، وكانت الرواية
السبابة في رصد وتوثيق وإعادة بناء

للدولة وسلطتها من إدراك أن الحراك الثقافي الذي يتولاه السرد هو احد المساهمين الفاعلين في بناء دولة حديثة ومدنية.

وفي هذا المجال على الرواية العراقية الاستفادة من الطاقات المتاحة حاليا، محليا وإقليميا وعالميا، من جهة الطباعة والتوزيع والترويج والمسابقات وحقوق ملكية واشتهار، لتبقى علامة مميزة في ثقافتنا الحاضرة.

مجتمعية حديثة وقريبة من متطلبات العصر بهوممه الإنسانية الشمولية والكونية.

تقف أمام الرواية الكثير من المعوقات والمهيمنات المجتمعية والتي تمنع انطلاقها، فالوضع السياسي والأمني ونوعية الخطاب الديني الذي يمسك بزمام السلطة، ستضع كلا الطرفين في معادلة مجتمعية أخرى، وأتمنى شخصيا أن لا تصل الأمور إلى حد المواجهة، فلا بد

بحضور نخبة من المثقفين والاكاديميين ندوة حوارية في بغداد حول الاصلاح الثقافي



ادار الندوة الباحث والاعلامي رضا الظاهر الذي دعا الحاضرين الى مناقشة الورقة المطروحة واغنائها، والاسهام من خلال النقاش والحوار والتحليل في اقامة مشروع ثقافي وطني، انساني النزعة وديمقراطي المحتوى، يهدف الى ارساء اسس انسنة الحياة، عبر احترام التعددية الثقافية والفكرية. واعلن الظاهر عن بدء الندوة الحوارية بدعوة وزير الثقافة الاسبق مفيد الجزائري الى القاء كلمة في مفتحتها.

تحريك المياه الراكدة

في بداية حديثه حذر الجزائري من ان البلد اليوم في مهب الريح، واننا بعد اربعة عشر عاما على التغيير نجد انفسنا لا تزال في نقطة البداية، بل لعلنا تراجعنا عنها على حد تعبيره. وتساءل عما اذا كان قد تحقق اي تطور بأي درجة في اي ميدان من ميادين الحياة والعمل والانتاج في البلاد

بمبادرة من لجنة العمل الثقافي في الحزب الشيوعي العراقي اقيمت عصر الخميس 4 ايار 2017 في بغداد ندوة حوارية حول الاصلاح الثقافي، حضرها سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي رائد فهمي، ورئيسة لجنة الثقافة والاعلام في مجلس النواب النائبة ميسون الدمولوجي، ووكيل وزارة الثقافة فوزي الاتروشي، ورئيس الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق ناجح المعموري، ونقيب الفنانين صباح المندلاوي، والناقد فاضل ثامر، والشاعر ياسين طه حافظ، والخبير الاقتصادي د.ماجد الصوري والعشرات غيرهم من مبدعي الادب والفن والاكاديميين وشغيلة الفكر والثقافة.

وناقش الحاضرون الذين زاد عددهم علي مائة مثقف "ورقة حول الاصلاح الثقافي" طرحتها اللجنة، ووضعتها مسبقا تحت تصرف المدعوين الى الندوة التي عقدت في قاعة جمعية الثقافة للجميع في الكرادة - داخل.

مداخلات:

بعد الكلمة الرئيسية للندوة قدم عدد من المشاركين مداخلات حول الموضوع انصب معظمها على محاور محددة من بينها الدعوة الى تشكيل مجلس اعلى للثقافة، واستكمال مؤتمر المثقفين الذي عقدت دورته الاولى سنة 2005، ولم تعقبه دورة اخرى حتى الوقت الحاضر.

وكان من ابرز المتداخلين الاكاديمي د.عامر حسن فياض، والشاعر ياسين طه حافظ، ورئيس اتحاد الادباء ناجح المعموري، والناقد فاضل ثامر، وعميد كلية الاعلام د.هاشم حسن، والفنان والاكاديمي د.ميمون الخالدي. ومن العناصر النسوي شارك كل من د.سناء مرسول، ود.فاتن الجراح وسها الطريحي وسلامة الصالحي. فضلا عن مداخلات د.طه حامد الشبيب وحسين الجاف وعبد الستار البيضاوي واحمد جبار غرب وسعد مطر ود.احمد مهدي الزبيدي ورياض الغريب وحسين رشيد.

الدعوة الى التغيير

واختتم المداخلات سكرتير اللجنة المركزية رائد فهمي الذي ذكر ان المساهمات المقدمة حققت احد اهم اهداف الندوة، وان كل ما قيل يشير الى عدم امكان تحقيق الاصلاح من دون التغيير، داعيا المثقفين الى ان يكونوا عنصر ضغط من اجل ارغام المسؤولين عن الثقافة على الرضوخ الى ارادة التغيير. مبينا ان الثقافة ليست مجرد ميدان من الميادين، بل هي عنصر بنيوي موجود في كل الميادين، وان هدف ورقة الاصلاح المطروحة هو تحفيز المثقفين على التصدي لما هو سائد ومهيمن.

خلال تلك السنوات، مشيرا في هذا الشأن الى التعليم والصحة والسكن والنقل والزراعة والصناعة والاقتصاد عموما والخدمات والبيئة و.. و.. وصولا الى الثقافة. ليخلص الى ان ما تحقق في كل هذه الميادين ليس سوى "فشل في فشل، وشلل في شلل".

والى جانب هذه الصورة القاتمة التي نقلها الجزائري من الواقع الذي نعيشه، اشار الى ان هناك رغم ذلك ما ينبض بالحياة، وما يبعث على الفرح، موجها الانتباه الى انتصارات قواتنا المسلحة والقوى الساندة لها في عملية تحرير الموصل. الا انه اعرب عن الخشية من ان يبقى هذا الباعث على الامل وحيدا ومحاصرا.

وتحدث عن حصاد السنين الماضية المتمثل في الفشل والعجز والشلل، وقال انه حصيلة طبيعية ما دام كل شيء في جميع المجالات كان وما زال يسير بلا نهج وبلا سياسة او استراتيجية واضحة ينطلق منها. ولم يستثن المثقفين انفسهم ومنظمتهم الثقافية من التقصير في هذا المجال.

ووصف مفيد الجزائري طرح الـ "ورقة حول الاصلاح الثقافي" بأنه نوع من "لقاء حجر في بحيرة راكدة" واكد ان هناك حاجة حقيقية الى "ان نلقي احجارا وليس حجرا واحدا في بحيرتنا الراكدة، لتضطرم بالحركة وتتصدر الاندفاع الجديدة للحياة". ودعا المثقفين الذين يتوفرون على مستوى من الوعي يفوق ما لدى غيرهم من فئات المجتمع الى الاسهام الفاعل في تحديد وتحفيز وجهة الاصلاح والتغيير المطلوبين، فذلك من مسؤولياتهم، وكبير هو الدور الذي يفترض ان يلعبوه فيه هم واتحاداتهم.

الجميع يتحدثون عن مرحلة ما بعد الموصل .. في الموصل نفسها، وفي نينوى والعراق كله، والجميع يتهياؤون لها ويتأهبون: تجار السياسة، الغارقون في الفساد، خبراء انتهاز الفرص، رؤوس الجماعات المسلحة وعصابات الجريمة المتنوعة، سراق المال العام، المتربصون التقليديون بالعراق في مراكز ووكلات الاستخبارات الاقليمية والدولية .. وغيرهم من الطامعين في بلدنا وثوراتنا، والخائفين من وحدتنا ونهوضنا في وجوههم ولاحباط مشاريعهم ومخططاتهم الاجرامية.

الجميع منشغلون بمرحلة ما بعد الموصل، واولهم القوى الوطنية المدنية، القلقة ازاء ما يُببئ للعراق ويحاك، والعاملة دون كلل على التبصير بالمخاطر المحيطة به، وعلى مواجهتها واحباطها.. الى جانب سعيها الحثيث الى انقاذه من نظام الطائفية السياسية والفساد وسوء الادارة والفشل في كل مجال وميدان، والى ارساء اسس دولة المواطنة والعدالة الاجتماعية والدولة المدنية الديمقراطية.

الكل ايها الاعزاء منغمرون بصورة او باخرى، بدرجة او باخرى، في المعركة المستعرة منذ اليوم، والمقبلة على مزيد من الاحتدام، على مستقبل العراق ومصيره. فأين انتم من هذه المعركة الكبرى ايها الاخوة المثقفون؟

اين تقفون فيها .. وفي اي جانب ترمون بتقلكم؟

ام ان الحق مع الشاعر رياض غريب، الذي اشتكى بمرارة مساء امس الاول في قاعة جمعية الثقافة للجميع، عند ختام الندوة الحوارية التي عقدت فيها حول الاصلاح الثقافي، من كون المثقف هو الغائب عن المشهد؟

هذا والى جانب المداخلات قدمت ملخصات لمساهمات ارسلها بعض المهتمين بموضوع الندوة، الذين لم يتسن لهم الحضور وهم كل من د.فارس عمر نظمي، ود.لاهاي عبد الحسين، ود.عبد جاسم الساعدي، ود.قاسم حسين صالح. كما قرأت بالنيابة ورقة النائبة ميسون الدموجي التي اضطرت الى مغادرة القاعة مبكرا.

واختتمت الندوة بكلمة للوزير الاسبق مفيد الجزائري، دعا فيها بين امور اخرى الى تشكيل المجلس الاعلى للثقافة على ايدي هيائات واتحادات المثقفين المستقلة ذاتها، كما شدد على اهمية ان يعود المثقف فاعلا في المشهد السياسي - الاجتماعي - الثقافي بعد غيابه الملحوظ عنه، وان ينهض بدوره الكبير في حياة المجتمع، وفي رسم مستقبل البلاد.

مفيد الجزائري: ايها المثقفون .. قولوا كلمتكم!

اسمحوا لي ان اقطع لآونة وجيزة استغراقكم في عالم السرد، وما يتصل به واقعا وأفاقا، ويسهم في الارتقاء بالابداع الادبي والثقافي عامة ويثريه.

اسمحوا لي ان احول انتباهكم لوهلة الى ما ارى ضرورة ان يتحول اليه: الوطن في خطر!

التحديات تطوق العراق من كل صوب، وتضيّق الخناق عليه .. وهو منهمك بعد في التصدي بقواته المسلحة المقدمة، بكل صنوفها وشتى تشكيلاتها للدواعش الارهابيين الوحوش في الموصل! ومناسيب هذه التحديات تتصاعد مع اقتراب ساعة دحرهم عسكريا هناك، وانقاذ الموصليين منهم.

اعلنوا موقفكم.. وقلوا كلمتكم!
الشعب يريد ان يسمع صوتكم، وهو يرنو
اليكم باحترام، وينتظر منكم الكلمة المخلصة
المتبصرة الشجاعة!
أفهموه انكم منه، وانكم لم تنذروا لغيره
يوماً فكركم وابداعكم وعطاءكم، ولم تمنحوا
لسواه ولاءكم!
ارفعوا صوتكم القوي الوفي ايها المثقفون،

وانتصروا للشعب وقضيته وللعراق المدني
الديمقراطي ومستقبله!
لا .. لن تحيوا امل الشعب والوطن فيكم!
سلمتم لهما، والسلام عليكم.

هذه الكلمة أقيت في الجلسة
الختامية لمؤتمر (السرد) الثاني عصر
السبت 6 / 5 / 2017 في بغداد.

موفق محمد : شاعر الكوميديا السوداء ومدون الفجيجة

فاضل ثامر

ناقد، بكالوريوس لغة انجليزية جامعة بغداد، دبلوم الدراسات العليا في اللغة الإنكليزية من ليبيا 2001 وأعد أطروحة الماجستير في اللغة الإنكليزية تحت عنوان: "مقاربة لسانية لتدريس السرد في ظروف ما بعد الكولونيالية" وهو ينتظر الفرصة المناسبة لمناقشتها، شارك في العشرات من المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية العراقية والعربية والعالمية، أولى مقالاته المنشورة كانت عام 1965 في مجلة الآداب البريوتية وبعدها في مجلة الكلمة العراقية وواصل النشر في عديد الصحف العراقية والعربية، أصبح عضواً في الهيئة الإدارية للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق في السبعينات أصبح عضواً في هيئة تحرير مجلة "الأديب المعاصر" التي يصدرها الاتحاد منذ بداية صدورها عام 1971، المؤلفات:



- 1 - "قصص عراقية معاصرة" بالاشتراك مع الناقد ياسين النصير، بغداد 1971.
- 2 - "معامل جديدة في أدبنا المعاصر"، بغداد 1975.
- 3 - "مدارات نقدية": في "إشكالية الحداثة والنقد والإبداع"، بغداد 1987.
- 4 - "الصوت الآخر": "الجوهر الحوارى للخطاب الأدبي"، بغداد 1992.
- 5 - "اللغة الثانية": في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث"، بيروت 1994.
- 6 - رواية مترجمة بعنوان "الحديقة" للكاتبة الروائية الفرنسية ماركريت دورا، دار الشؤون الثقافية في وزارة الأعلام عام 1986 ببغداد.
- 7 - "المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي"، عن دار المدى في دمشق 2003، الرئيس السابق لاتحاد أدباء العراق.

السبعينيات، فضلاً عن قصائده التي التي بدأ بنشرها منذ منتصف الستينات. فالناقد لا يستطيع ان يدرج تجربة هذا الشاعر تحت اي من المسميات او المصطلحات او الاجيال الشعريّة، فهو عصي على التجييل والتنميط داخل مصطلح محدد، او مفهوم او مجموعة

تمثل تجربة الشاعر موفق محمد الشعرية تحدياً يواجه الناقد الذي يحاول ان يدخل الى دهاليز تجربته الشعرية العريضة، التي تمتد الى اكثر من نصف قرن منذ ان لفت اليه الانظار بقصيدته المخيرة "الكوميديا العراقية"، التي نشرها في مجلة "الكلمة" في مطلع

شعرية، حتى يمكن القول انه نسيج وحده. وبعض النقاد الذين يحتكمون الى منهجيات وتمييزات وخطاطات معينة قد يرفضون هذه التجربة جملة وتفصيلاً. فشعره توليفة كولاجية معقدة من اساليب شعرية ونثرية وفنون ادبية وتعبيرية متنافرة الى حد كبير. فشعره ينطوي على نماذج من الشعر العمودي الموزون والذي يحفل بالموسيقى الشعرية حد التطريب ، كما ان شعره يكشف في الغالب عن استثمار واضح لقصيدة الشعر الحر، او قصيدة التفعيلة ، بل ويجد الناقد مقاطع غير قليلة من قصيدة النثر تطل هنا وهناك . فضلاً عن ذلك يوظف الشاعر مجموعة من الاشكال غير الشعرية مثل فن الخطابة ، وحكايات الحكواتي الشعبي ، وسجل الامثال الفصحى والعامية ، ويبدو في الكثير من الاحيان وهو يتقمص إهاب الشاعر الشعبي والمغني والممثل المسرحي والمحرض الثوري في مسرح الفرجة . لذا تصعب على الناقد مسألة تجنيس تجربة هذا الشاعر من خلال المجسات النقدية المعروفة، التقليدية منها او الحدائثية على السواء . ويجد هذا الناقد نفسه امام خيارين اما ان يلقي بالقلم جانياً ، او يبحث عن مجسات نقدية بديله قادره على استيعاب هذا الفيض المتدفق المتناقض الذي تتفجر به قصائد هذا الشاعر، الذي اتخذ من المنبر الشعري اداة للتأثير والتواصل مع الآخر . ويمكن القول ان المسطرة النقدية مهما كان نوعها لا تنفع مع هذه التجربة الشعرية الاشكالية.

ومن اجل تأطير تجربة الشاعر موفق محمد ، علينا ان نلاحظ ان الشاعر حول تجربته الشعرية الى اداة اجتماعية وسياسية للنضال الاجتماعي وللتغيير ، وانه لم يكن منساقاً وراء الدعوات الجمالية والشكلانية التي كانت بحجة الحفاظ على

نقاء الخطاب الشعري، تضع جداراً عالياً بين الهم الاجتماعي والشعر، لانتاج شعر جمالي خالص، ومحاييد في علاقته بالسياقات الاجتماعية والتاريخية التي أطرت نتاجه وتشكله. ومن باب الاستدراك، ليس معنى هذا ان الشاعر كان معنياً بالتحريض الاجتماعي والسياسي فقط، وانه كان يطلق مجموعة من الشعارات الثورية التحريضية خارج اطار التجربة الفنية والابداعية. فتجربته تحفل بالشعر الحقيقي وبالصور الشعرية والصياغات الفنية الجديدة والمستحدثة . انه بصراحه ليس مثل الشاعر (احمد مطر) الذي يتعمد ان يطلق ما يسميه بـ "اللافتات" الشعرية السياسية، وهو ايضا ليس مثل بعض الشعراء الشعبيين الذين يوغلون احياناً، في المباشرة والوضوح لتحقيق اعلى درجه ممكنة من درجات التحريض والتأثير في المتلقي . وبكلمه واحده موفق محمد صاحب قضية اجتماعية وسياسية وكونية كبرى اراد ان يعبر عنها، وحياناً بقصدية ، من خلال تجربته الشعرية وكأنه يتحدث الى الآخر، بوصفه مدوناً، في مدونته الشعرية الخاصة، عن اوجاعه و اوجاع ابناء شعبه ومجتمعه. لذا يظل الآخر/ المتلقي الحاضر هدفه الاول، لكن ذلك لا يمنع من ان يحمل خطابه الشعري رسائل مماثلة، ربما اقل تأثيراً للقارئ الذي يتلقى قصائده من خلال الكتابة، وربما يفسر سر هذا المزاج النفسي للشاعر وصعود النبوة الهجائية الصارخة الممزوجة بأحاساس عميق بالسخرية المريرة ، والتي تتثال عفويًا احياناً بشكل شتائم للمؤسسة السياسية والاجتماعية، ولقتاوي فقهاء الظلام والعنف من ممثلي "الاسلام السياسي" المتطرف، عرابي الارهاب والتكفير ، مثلما فعل في قصيدته " من رأى منكم عراقياً" او قصيدته " الى المتأسلمين".

السوداء يستطيع الكاتب ان ينقد بقسوة كل مظاهر التمييز والعنف والاستبداد والقسوة والموت، وان يسخر منها ويجعلها مثار سخرية المتلقي واحتقاره، دون ان يدفع هذا المتلقي الى الاندماج بهذه الاجواء المأساوية والتراجيدية، او التماهي مع شخصها، بل يجعله في موقف قريب من موقف المتلقي في المسرح الملحمي، عندما يسمو هذا المتلقي على المأساة ويحاكم ما يراه عقلياً وفكرياً ويجعله مسؤولاً بطريقة او بأخرى عن كل هذه المآسي، محرضاً إياه على المشاركة الفاعلة في عملية تغيير العالم وادانة مظاهر القبح والعنف، وغياب العدالة الانسانية. ويخيل لي ان الشاعر كان يدرك منذ ان كتب "الكوميديا العراقية" في مطلع سبعينيات القرن الماضي انتماء تجربته هذه الى فضاء تجربة "الكوميديا البشرية" لبلزاك، التي هي مظهر من مظاهر الكوميديا السوداء، التي تعنى بتقديم تجارب وموضوعات سوداوية عبر منظور كوميدي وساخر قريب من منظور رسام الكاريكاتير. وقد برزت الكوميديا السوداء كأسلوب ادبي في الولايات المتحدة في خمسينيات وستينيات القرن العشرين عندما قدم المخرج الامريكي ستانلي بريك عام 1964 فيلم سترينج لاف strange love الذي يعد واحداً من الأمثلة الرئيسية للكوميديا السوداء، وكان موضوع الفيلم يدور حول الحرب النووية وفناء الحياة على الكوكب. وتتسلح الكوميديا السوداء بالمفارقة الساخرة والضحك والهذيان والجنون احياناً، لنقد وادانة وتفكيك سوداوية التجارب القاتمة التي تتفاعل معها، وتمهد الطريق امام المتلقي لتحمل صدمة الرعب بأعصاب بارده تاركة لعقله الاشتغال الفكري النقدي لاستنباط المعنى الدلالي العميق لهذه المعالجة. والحقيقة ان نماذج

كما تمثل قصائده رفضاً لكل مظاهر التوحش والقبح التي يجسدها النظام المقبور وكل انظمة القمع. ربما تمنحنا الدراسات الثقافية ومنطلقات المفكر الايطالي غرامشي بعض التبرير لمثل هذه التجربة، خاصة في رفضها الاعتراف بوجود أدب عال وآخر واطي، أدب شفاهي وآخر كتابي، فكل نتاج الثقافة الإنسانية متساو بدءاً من اعلى قصيدة حدائية أو افخم سمفونية، الى موسيقى البوب والجاز والمسلسلات التلفزيونية الشعبية. كما قد يسعفنا حديثاً قرار لجنة جائزة نوبل للآداب عام 2016 لشاعر ومغن امريكي شعبي هو بوب ديبلان، ربما اعترافاً بهذا الوجه المهمل المنسي في الثقافة الإنسانية، الذي ازاحت جانباً لقرون طويلة ثقافة النخبة الانيقة.

ولكن كيف استطاع موفق محمد ان يحقق هذه القدرة على اختراق الحواجز والتابوات والاعراف الشعرية الاجتماعية بهذه الخلطة الشعرية العجيبة، ويؤسس شعريته الخاصة، وان يصل بهذه السهولة الى قلوب الآلاف من المتلقين والقراء على السواء، ربما لم يسبقه قبلها الا قلة من الشعراء، منهم الجواهري الكبير، ومظفر النواب. ولكن كيف نجح الشاعر في ان يتعامل مع كل هذه التراجيديات العراقية المؤلمة، دونما إسراف عاطفي، ودونما بكائيات ومراث قاتمة؟ يبدو لي ان السر يكمن في انطلاق الشاعر من استراتيجيات رؤيوية وتعبيرية وفلسفية تتمثل في الانطلاق من فضاء ما يسمى ب "الكوميديا السوداء" "black comedy" او "dark humour" وهو منظور يتيح للكاتب، مسرحياً او روائياً، او شعرياً التعامل مع عذابات الانسان والمجتمع بنظرة هادئة وباردة مليئة بالسخرية والمفارقة. فمن منظور الكوميديا

متخذاً من المنبر اداة ووسيلة لتحقيق هذا التواصل الفوري والمباشر مع الآخر. ولذا فاني ارى ان ما ذهب اليه الناقد ناجح المعموري عن الجوهر الشفاهي في شعر موفق محمد في كتابه "قبعة موفق محمد" صحيح وهو في جوهره يكشف ايضاً عن تضخم منحى الخطاب الشعري او الاجتماعي الشفاهي، وهذا ربما ما يفسر نجاح عملية تلقي شعر موفق محمد من خلال المنبر الشعري وتساؤل درجة هذا التلقي، نسيباً، اثناء القراءة للنص الكتابي المطبوع لقصائده. اذ يصبح الالتقاء، وربما التمثيل والاشارات والحركات، عناصر مهمه تدعم النص الشعري المقروء منبرياً. هذا من جانب، ومن الجانب الآخر فإن مسألة الشفاهية في شعر موفق محمد ليست حصريه بتجربته الشعرية، فهي تكاد ان تشمل جميع نماذج الشعر العمودي وجزءاً كبيراً من تجارب قصيدة التفعيلة "الشعر الحر"، وتقل في تجارب "قصيدة النثر" التي لا تصلح عموماً للقراءة المنبرية. كما يمكن القول ان فنون السرد المختلفة القديمة منها والحديثة بدءاً بالمقامات "والف ليله ولبله" الى فن الرواية الحديثة تنطوي هي الاخرى على عناصر شفاهية قوية ومؤثرة لاتقل اهمية عن العناصر الكتابية فيها. والشاعر موفق محمد يميل في قرارة نفسه الى ان يكون شاعراً محرصاً ومنتزحاً ورافضاً من خلال استنطاق معاناة الشرائح الاجتماعية المسحوقة والمضطهدة، وقدرته على استقطاب اهتمام المتلقين وتعاطفهم واثارتهم، حتى يتحول أحياناً الى محرض شعبي، وان اضطره ذلك الى كسر الاعراف الشعرية المعروفة. وهو قد يكون في ذلك قريباً من استراتيجية الشاعر الشعبي المنبرية، وهو مانجده بصورة واضحة ايضاً في تجربة الشاعر مظفر

الكوميديا السوداء متوافره في الكثير من الاعمال الادبية والثقافية الانسانية. فمنذ رواية سرفانتس الشهيرة "دون كيشوت" نجد مظاهر واضحة للكوميديا السوداء كما ان العشرات من الروايات العالمية، العراقية والعربية، فضلاً عن المئات من المسرحيات والافلام تنضوي تحت هذه الالفة العريضة. ان الكثير من اعمال ماركيز ومنها "مئة عام من العزلة" و"خريف البطريك" وقصة "اجمل غريق في العالم" هي نماذج دالة على ذلك، كما ان رواية "المتشائل" لأميل حبيبي هي انموذج عربي لمواجهة القمع والاحتلال بروح السخرية والمفارقة، بعيداً عن السقوط في البكائيات. ويمكن ان ندرج العشرات من الاعمال الروائية الواقعية ضمن هذا المنحنى، بدءاً من "مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة" الصادرة في 1968 وانتهاءً بـ "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي و"قياموت" و"خضر قد" لنصيف فلك وغيرها، ولا يمكن ان ننسى مسرحيات واشعار سعد الله ونوس وممدوح عدوان وأمل دنقل ومحمد الماغوط وغيرها. ومن هنا نرى ان الاطار الرؤيوي العريض الذي يطل منه موفق محمد على تراجيديا الواقع العراقي هو إطار "الكوميديا السوداء" التي يتحول فيها التراجيدي والدموي الى كوميديا ساخره يتقرزم فيها الطغاة وتتضاءل المأساة امام سمو الصمود الانساني بوجه السيف والبطش والقيد والموت. ويمكن ان نلاحظ ايضاً اندماج منظور "الكوميديا السوداء" عند موفق محمد بنزعه كرنفالية ساخرة وربما منتبئية بمفهوم باختين.

من هذا المنظور الفلسفي والرؤيوي يشرع الشاعر موفق محمد ببناء تجاربه الشعرية، واضعاً نصب عينيه جمهوراً عريضاً من المتلقين، وليس مجرد متلق انموذجي واحد،

العراقيه " أنفة الذكر، وهي هنا غير مؤرخه مثل الكثير من قصائد الديوان ، لكنها نشرت في مطلع السبعينات في مجلة " الكلمة " على ما اذكر، وهي تؤشر الكثير من مقومات القصيدة الحديثة لدى الشاعر في تلك الفترة. يحيلنا عنوان القصيدة بوصفه عتبة نصية دالة كما يذهب الى ذلك

جيرار جينيت الى مفهوم الكوميديا التي يعنى فيها بالملهاة او المسخرة "أنا مثلث ولي اربعة اضلاع، اعيش الان في مستشفى للمجانين تقع في شمال جمهورية افلاطون". ومن الواضح ان هذه العتبة تنبئ عن المناخ الشعري العام للقصيدة الذي يفترض وجود سارد او شاهد يعاني من حالة الانفصام العقلي والذهني ويقم في مستشفى للمجانين في شمال جمهورية افلاطون. فهنا يفصل الدال عن المدلول، في حالة هذيانه وكابوسيه مشوشه، تحيلنا الى معالجات لاكان النفسية. والقصيدة ، مثل فسيفساء، تضم تنويعات اسلوبية وشعرية وكولاجات متنوعة، وتتحرك افقيا وعموديا، حيث تغور الى ما قبل التاريخ، كما تستقرئ الحاضر والمستقبل. و تعد القصيدة نموذجا لحالة التشظي النفسي والبنوي الاسلوبي، كما تنطوي على تضمينات من الشعر الشعبي، وهذه التضمينات تعد بمثابة محاولة في الاسلبة اللغوية والتهجين الاسلوبي والكولاجي، والتعدد اللغوي واللهجي بتعبير باختين. تتشكل القصيدة من عشرات المشاهد المتشظيه بعضها موعل في التعمية والفوضى والعصابية، وكأنها مجموعة من الصور السريالية، او زيف من طبقات اللاوعي المسكوت عنه:

" رجل بساق واحدة مكسوة بالشعر
يتكى على أفعى تتلوى في المسافة
التي تبدأ من الارض حتى يديه. " (2)

النواب ، الشعبية والفصحى منها. وكثيرا ما نلاحظ حالة من التفاعل الاستثنائي بين الشاعر والجمهور وكأن الشاعر يحقن هذا الجمهور بمورفين محفز تماما كما يحدث في حفلات الدروشة والرقص الصوفي على الطريقة المولوية.

ولكي نخرج من إسار النزعة الشفاهية للشاعر موفق محمد ، وتقنيات الالقاء المسرحي التي يمتلكها، سنحاول قراءة المتن الورقي المدون في الاصدار الجديد الذي يضم معظم قصائد الشاعر والموسوم ب " الاعمال الشعرية الكاملة " والصادرة عن دار سطور في بغداد عام 2016. وهذه القراءة كما ارى تنصف الشاعر كثيرا وتزيل الوهام عن اعتماده اساسا على قدرته في الالقاء والايماء، وتعبير حركات الوجه واليدين مسرحياً، للتأثير في المتلقي. اذ دفعتني القراءة الورقية للمتن المطبوع الى تصحيح ذلك الانطباع المتطرف.

في تقديري يمكن للقارئ المتمعن ، وهو يقرأ ما كتبه الشاعر طيلة اكثر من نصف قرن، ان يكتشف ان الشاعر موفق محمد قد بدأ مشروعه الشعري منذ منتصف الستينيات من القرن الماضي ، لكن ظهوره الابرز كان في السبعينات، ومع ذلك لم يحسب الشاعر على شعراء الستينات كما لم يجيل مع شعراء السبعينات، بسبب اشكالية تجربته الشعرية واستعصائها على التجييل والتحقيب والتجنيس احيانا، كما سبق وان أشرت الى ذلك في استهلال دراستي. ويبدو ان الشاعر موفق محمد قد استقطب الانظار اليه في السبعينات بعد ان نشر قصيدته المهمة " الكوميديا العراقيه "، وقصائد اخرى، حيث تحول الشاعر منذ ذلك التاريخ الى رقم مهم لا يمكن تجاوزه في الشعر العراقي الحديث. وفضل أن أبدأ من قصيدة " الكوميديا

لكن القصيده قد "تصحو" قليلاً فتقدم لنا مشاهد فيها الشيء الكثير من المنطقيه والعقلانية، كما هو الحال في المشهد السردى الذي يصف حادثه عثوره على جثة مصلوبة فوق عمود الضوء، عند قناة الجيش في بغداد:

"عند قناة الجيش

كان الرذاذ ناعماً

والوطن الحزين

يتلفت حول الورق المرمي

من نافذة السيارة البطيئة" (3)

حتى يصل الى هذه الذروة في هذا المشهد المأساوي:

"حين وجدت الجثة المرتخية

مصلوبة فوق عمود الضوء

كنت انا والجثة المرتخية" (4)

كما نجد مشاهد سريعة مرسومة بضربات في المقطع الموسوم "مشاكل المواطنين" بأجزائه الثمانية، حيث نجد في المشهد الثالث حكاية سردية ذات دلالة عميقة:

"في الغرفة المجاورة

عانقني

سلمني الرسالة الاخيرة،

وعندما سمعت ان السلطات الجائرة

تنوي اغتياي في محيط الكلمات

قبلته

ثم انحرفت جانباً

فمات ..." (5)

وواضح عنصر الادانة للجو البوليسي الذي كان يعيشه العراق، في ظل فترة محددة، في النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي، لكنها كانت تومئ الى كل مراحل العنف السابقة واللاحقة، والتي ربما لم يكن بالامكان بالنسبة للشاعر الاشارة اليها،

بصراحة، لاسباب سياسية تتعلق بغياب الحريات وهيمنة شريعة القمع والاستبداد في ظل الحكم الدكتاتوري آنذاك. وتحفل القصيدة بتناصت شعرية ونثرية من قصيدة التفعيلة والشعر العمودي والشعر الشعبي واللغة الانكليزية وتحتشد بأسماء شعراء وفنانين يكتبون عن معاناة الانسان

في العراق وعن الجوع والمطر:

"أيلوار / هوميروس / إليوت / مايكوفسكي /

السياب / رامبو /

كلهم يكتبون الآن / قصيدة

عن الجوع والمطر في العراق" (6)

والقصيده بعد هذا تؤكد لنا بدءاً من عنوانها واجوائها الكابوسية الى ارتباطها برؤيا "الكوميديا السوداء" التي تمثل المنظور الاساس الذي يطل منه الشاعر على العالم وعلى التراخيديا العراقية بشكل اخص. وشاء الشاعر ان يستهل ديوانه بقصيدة قصيرة تحمل عنوان "عبد ئيل:

بيوض العمى" مؤرخه في 1998 وتقودنا هذه القصيدة الى قصيدة اخرى مماثله اطول

منها تحمل الاسم ذاته هي قصيدة

"عبد ئيل" (8) ومؤرخه في 1995.

وعبدئيل في اللغات العراقية القديمة يعني

عبدالله حيث ان كلمة "ئيل" تعني الاله،

فالقصيدة بهذا المعنى اشارة الى المواطن

العادي الذي يعاني ما يعاني منه العراق من

جوع وقهر واستغلال.

يستهل الشاعر قصيدته الاولى بسلسلة من

الانزياحات والاستعارات والصور الجريئة

والغريبة، حيث تفتض الغيوم بكارتها في

عينيه ويضع العمى بيوضه:

"في عيني تفتض الغيوم بكارتها

لنبدأ البكاء

وفي عيني يضع العمى بيوضه

وينام" (9)

لارى وجهك مشحوناً بسحاب الغضب
العامر

بالورد الناري" (12)

ويختتم الشاعر قصيدته بهذه الدعوة الصريحة
للثورة والتمرد لاستعادة الانسانية المهذورة
في لمسة تحريضية يحول فيها الشاعر الوعي
القائم، السلبي والخانع الى "الوعي الممكن"
المتنمرد بتعبير لوسيان غولدمان:

"ستنهنض عملاقاً يا عبدئيل

تنهنض

وستجمع شمل الدار

يانخلة الله التي

ابداً ستنبض بالثمار" (13)

ويتحول الصوغ الشعري، القائم على
قصيدة التفعيلة الحرة، الى بناء عمودي،
سخرية ببعض الحكام العرب الذين لم
ينجدوه أو يقفوا الى جانبه :

يا عرباً دوخوا العرباً وزادوا الهم
والكربا

فمنهم من يرى الوحدة نارا تأكل الحطباً
ويبكي دمع تمساح لكي يبدو اخاً وأباً
ويمسى شامتاً فرحاً بشعب يأكل الكربا
(14)

والقصيدة بعد هذا انتصار لعبدئيل كنايةً
عن المواطن العراقي المستلب والجائع
والمضطهد في وطنه. ويعمد الشاعر الى
بناء صور طويلة واستنطاقها دلاليًا ورمزيًا
كما هو الحال في قصيدة "صور مؤطرة".
(15) والقصيدة تتشكل من ست صور
تتحدث عن الموت والقهر والجوع وربما
هو الثواب الوحيد الذي يلقاه الانسان في
ظل سياسة الحرب المجنونة. وضمن هذه
السياق تنهنض قصيدة "الرأس والمرأة"
(16) المؤرخة في 1975 ، بوصفها قصيدة

كما تختتم القصيدة باستعارة تنهنض
على المفارقة وهي تحقق عملية مباغطة
وعى القارئ، وخرق افق توقعه، وتوفير
الصدمة له:

"لم تعد الارض انثى

بل هي الذكر الوحيد الذي

يلقح السماء بناطحات السحاب

ليلد لنا المقابر" (10)

اما القصيدة الاخرى التي تحمل اسم
"عبدئيل" وهي مطوله شعريه فنجد ان
عبدئيل هو كناية عن الفرد العراقي في
منتصف التسعينات وهو يعاني الجوع
والمهانة والحرمان والقمع معا، تحت مظلة
الحصار الخارجي والسياسة القمعية
للنظام الدكتاتوري داخليا. وفي مشهد
درامي متكامل يذكرنا بمشهد حفار القبور
في مسرحية هاملت لشكسبير يقيم عبدئيل
حواراً تخيلياً إفتراضياً مع حفار القبر:

"تعبني الموت

وعاتبني حفار القبر كثيراً بعد الربع الاول

مجنونا كان

يتغزل بالموت ويحفر في هذا الجسد التعبان

كنا نشرب نخب الديدان" (11)

وعبدئيل أبٌ لعشرة اطفال جياع ، وعند
بيأس من حياته يختار حاوية للقمامة ليموت
فيها ، لكنه يتمرد في اللحظة الاخيرة على
ذله وجوعه وموته ويقرر ان يواجه العالم
متحدياً، مستذكراً انه مصدر قوة انكيديو،
حيث يخاطب الشاعر ، او ذاته الثانية،
عبدئيل ليخرج من قبره منتصراً:

"كن حذراً في السوق

واخرج من قبرك منتصراً

انفض عنك رماد البركان

واجرح شبح الموت

والزمن الميقاتي يتحرك حتى المساء لنجد هذا الحوار الثنائي الصامت وتبادل الضحك بين الاصل والصورة ، بين الذات والقرين :

" في المرأة مساءً

ابصر وجه الرجل

في زاوية الغرفة

اضحك / يضحك مثلي

اتلفت / يتلفت مثلي

يضحك / اضحك مثله

يتلفت / اتلفت مثله

ينهض مكتئباً

ويغادر لا اعرف اين. " (19)

هكذا يلاحق الشاعر حركة الاصل والظل الى ان يغادر الآخر القرين المرأة والمشهد بكامله ، الى مكان مجهول. وبهذه الضربة يستكمل الشاعر دورة القصيدة الرباعية لتتركنا امام فيض من الدلالات والعلاقات السيميائية التي يقع على القارئ عبئ فك شفراتها. هذه القصيدة وقصائد اخرى تفرد للشاعر مكانة رفيعة في شعر الحداثة. يمكن ان نتوقف للتدليل على ما نقول امام القصيدة الختام في هذا الديوان الضخم الموسومة بـ " حصار " فهي ايضاً قصيدة قصيرة لكنها تقول اشياء كثيرة بكلمات قليلة:

" وقد حاصروك كثيراً

يطاردك المخبر الملتحي

في الصباح

يسجل لون القميص الذي ترتديه

وتضحك سراً. " (20)

قد يحس القارئ حضور صوت الشاعر سعدي يوسف في تنويعاته على قصيدة القرين ، لكن صوت الشاعر موفق محمد يظل هو الحاضر الابرز في المشهد الشعري دائماً، وخاصة في استحضار شخصية القرين.

مركزة وموحية وتنطوي على كافة مقومات القصيدة الحداثية. ويمكن ان ننظر الى هذه القصيدة بوصفها قصيدة مرآة وقصيدة قرين في أن واحد.

في هذه القصيدة لعبة تمرئي، اذا جاز التعبير وتبادل ادوار بين صورة الشاعر او ذاته الثانية وبين قرينه في المرأة ، من خلال اربع حركات تمفصل داخل القصيدة تنتظمها حركة الزمن الكرونولوجي الميقاتي منذ الصباح وحتى المساء، في رحلة يوم واحد ، تكشف عن تحولات او تمظهرات الذات والصورة المرآوية فنياً وسيكولوجياً :

" في المرأة صباحاً

ابصر وجهي يتحدث في زاوية منسية

اضحك

اسأل

انت اذن

يتجهم

ويحدق في وجهي

ويغادر دون تحية " (17)

نكتشف ، هنا، هذه اللعبة الحوارية المرآوية مع آخر هو القرين ، الذي سرعان ما يخرق قواعد اللعبة المرآوية وينفصل عن الاصل وهو يغادر المشهد دون تحية. هذا المقطع الاول يصلح ان يكون قصيده مكتفيه بذاتها ومفعمة بشعرية حداثية مكثفة ورفيعة. ويلاحق الشاعر حركة بطله من خلال تحريك عقرب الساعة حيث تطل صورة الآخر القرين المرآوية متمردة ومنشقة في كل الاوقات:

" يتقدم رأس اعرفه

اسأل

كيف تبادلت الموقع

وتركت الجسد المنهك

مرتعشاً يتشبث كالمهزوم بخيط الحلبة "

(18)

الحية والمجازات الدالة عن الجسد الجاثم في
"تابوت الليل، وعن الدود الذي انهمر من
عينيه" حتى تصل السلسلة السردية الى
الصباح لتستكمل دورة القصيدة:
"كل صباح
تقرص اذنيه لتوقظه
ينهض مهموماً من صحراء النوم." (24)

وفي قصيدة "برقيات" ثمة ضربات شعرية
تعتمد نسقاً لغوياً موحداً يقوم على استثمار
بنية التوازي الاستهلاكي المبدوء بكلمة شكراً
متبوعة بجار ومجورر وأحياناً بأحد ضميري
الوصل "الذي" او "التي":
شكراً / للسيف الذي يحرق في رقبتني
بعينين قاطعتين
تفتحان لي باب الموت
لاستنشاق زفير جهنم" (25)

ثمة سخرية مبطنه نابغة من منظور
"الكوميديا السوداء" المنظور الحاكم في
الرؤيا الشعرية لدى الشاعر، في كل مقطع من
المقاطع الستة التي تبدو في الظاهر مستقلة
لكنها تشكل عن طريق المجاورة والترقيش
الفسيفسائي وحدة انطباع ووحدة دلالة:
"شكراً للصل الذي لم يجد في داري
غير قصائد لا تسمن ولا تغني" (26)

ويعتمد الشاعر بنية قصيدة "الومضة"
،القصيدة الشبيهة بقصيدة "الهايكو"
اليابانية في الكثير من ضربات فرساته الشعرية
وبشكل خاص في "قصائد الكاريكاتير" التي
تتشكل من اربع صور كاريكاتيرية ساخرة
وداله تتحول فيها الكلمات الى صور ومشاهد
شعريه تحمل دلالات ومعاني سيميائية
عميقة وحالات كرنفالية ومنيبية ساخرة.
ففي المقطع الموسوم بـ "المأوى" نقرأ هذه

وتتوهج قصيدة اخرى مماثلة كتبها الشاعر
1966، وهو تاريخ مبكر في رحلته الشاعر
اسمها "الثلج المقلي" التي يشكل عنوانها
انحرافاً بلاغياً ساخراً، والتي تلاحق حركة
الشاعر في مكان محدد هو الحانة وهي من
اماكن الشاعر الاليفة، حيث الرصد الدقيق
لحركة الزبائن وحواراتهم:

"ادفع باب الحانة في منتصف الليل
انصاف المشلولين
الجنث الملقاة على بعض دون
استنكار او خوف" (21)

ويستقرئ الشاعر هموم الشارين وهم
يحملون بالثورة والطبقات الرثة ويقولون
الثلج بهدوء:

"مثبورا بالحن
ونقل العائلة التعبي / وتكاليف العيش
والثورة او فيما يشبه اطباق الثلج المقلية في
اخبار الساعة
عن ايجاد الحل لمعضلة الفلاحين والطبقات
الرثة" (22)

وفي قصيدة "زوجة الشاعر" المؤرخة في
1975 يتحرك بندول الساعة عكسياً، هذه
المرّة، من آخر الليل عندما يعود الزوج من
الحنات حاملاً هموم الدنيا واحلامها الى
صباح اليوم التالي:

"تعرف هذا العائد من علب الليل
ومن صخب الحانات
مملوءاً
رعبا ونقاشاً" (23)

في هذه القصيدة ذات التمفصلات الاربعة
نجد سردية متكاملة، من زاوية نظر الزوجة
، من خلال تبئير يعتمد على "انا الراوي
الغائب" على وفق تودوروف، وهي تدون
حركة زوجها الشاعر، وفي سلسلة من المشاهد

الومضة الصادمة:

"الغيمة

وبشكل سرّي

اعطتني قبعة من ماء

وسريراً محشواً بالثلج القطبي

وقالت / يا هذا الرجل المثقل بالهم

خذ هذا / وتخلص من شر البرد

ونم. " (27)

وهذه القصيدة واحدة من القصائد التي

يمكن ان نسميها بقصائد المرايا فهي مرآتية

ينشطر فيها الاصل عن المرآة، والانا عن

القرين، من خلال لعبة الموت:

"كان الذي يأتيك في المرآة غيرك

لم يطعم الطلقات صدرك

بل اطفأ العينين والشفقين

والرأس المدجج بالمدلة

واستدار الى الوراء / وخط في المرآة قبرك "

(31)

وفي قصيدة "لعنة عزرائيل" حوارية ساخرة

وسوداوية وتعبر عن مفهوم "الكوميديا

السوداء" تماما. اذ يتوسل الشاعر، او

ذاته الثانية، الى عزرائيل ملك الموت ليقبض

روحه، لينقذه من عذاب الدنيا وجبابرتها

وفسادها :

"يا ملك الموت

خذ ما شئت وعد من حيث

أتيت " (28)

وفي قصيدة "راوح مكانك يا سلام" يشير

بسخرية مريرة الى ان الموت قد اصبح

الخيار الوحيد الممكن للإنسان في هذا الزمن:

"راح مكانك يا سلام واسمع صهيل الموت

يشهق في يديك وفي عيونك

لاتخف

فالموت حط على جيبك. " (32)

لكن عزرائيل يرفض ان يقبض مايسميها

بالجيف المسعورة :

"سأعود ورب البيت

فأنا لا اقبض احداً من هذه الجيف

المسعورة،

وسأتركم في هذا التنور الى يوم الدين. "

(29)

ويكاد خيار الموت خيار الشاعر المفضل

عندما يتكلم عن ذاته، وعندما يرحب بالموت

بسخرية لافتة، وكأنه المنقذ او الملاذ كما في

"برقيات" /

"شكراً للسيف الذي يحدق في رقبتني

بعينين قاطعتين

تفتحان لي باب الموت " (33)

وهذه المعالجة الساخرة تتكرر في العشرات

من القصائد التي يفضل فيها الشاعر، او

ابطاله، الموت على مواجهة هذه الحياة

المليئة بالقبح والجوع وغياب العدالة، وهو

ما نجده فعلاً في قصيدة "توقيع" الموجهة الى

الشاعر سلمان داوود محمد:

"لا ليس عيباً ان تموت

فلقد تعبت من التسكع

في مواخير الكلام " (30)

يخاطب احد الشعراء من ندمائه:
"يا نديمي لا تزدد من ندمي
واسقنيها غلب اليأس الامل" (37)

ومن الواضح ان هذه القصيدة الوجدانية الغنائية هي ايضاً قصيدة عمودية نيوكلاسيكية ومشبعة بحس رومانسي شفيف. وهذه القصيدة ليست الوحيدة في المتن الشعري فهناك العديد من القصائد التي تتضمن مقاطع عمودية، نثرها الشاعر طباعياً على طريقة قصيدة التفعيلة، كما هو الحال في هذا المقطع من "زائر الليل":
"صرت امشي باكيا في كل حان
قلق العينين مسلوب الجنان" (38)

وتحفل قصائد الشاعر بمقطعات تقترب من قصيدة النثر، واحياناً من النثر الفني تتخلى عن اي شكل من اشكال الوزن والايقاع. ففي قصيدة الشاعر الطويلة "سعي الحلي في جناثه" المنشورة عام 2015 تحضر كل الاجناس والالوان الشعرية والفنية الفصحى والعامية، ومنها قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر في حوار مشبوه افتراضي مع الفنان "سعي الحلي" يبثه فيه لواعجه واحزانه، ويكشف له جزءاً من صفحات المعاناة التي يعيشها العراقيون في ظل صعود الارهاب والعنف والصراع الطائفي في العراق، مع اشارات صريحة لاحتلال داعش للموصل وسنجار:

قل شيئاً يا سعي
فقد طوقتك الافاعي بفحيحها
لتضع عشبة الخلود في حنجرتك
وانت تسقيها دماء العراقيين
في جبال سنجار وفي طرقات نينوى" (39)

ويتحول الفنان سعي الحلي في هذه

الحياة تصبح لاتطاق، لكن الشاعر يتمرد احياناً على قرار الموت، كما هو الحال في قصيدة "عبدئيل"، التي توقعنا عندها سابقاً، حيث يدعو فيها الشاعر عبدئيل الى التمرد على الموت والخروج من حاوية النفايات ومواجهة الخارج بشجاعة:
"انفض عنك رماد البركان
واجرح شبح الموت" (34)

ويحرض الشاعر بطله على الثورة مذكراً اياه بأنديو:
"وستنهض عملاقاً يا عبدئيل
تنهض وستجمع شمل الدار" (35)

ومن الجانب الاخر تكشف الكثير من قصائد الشاعر عن نزعه ميتاشعرية تشير الى وعي الكتابة الشعرية وشروطها ووظيفتها، بل وتستحضر القارئ ايضاً كما نجد ذلك في قصيدة "السل man بن داوود" التي يدعو فيها الشاعر سلمان داوود محمد الى ابتكار لغة شعرية جديدة:
"اخلق لنا لغة جديدة
خلاقة كالنحل
تمتص السعير من الصدور
تجر من عيني انصال الخناجر
كي ارى." (36)

وقد يشطح خيال الشاعر رومانسياً او عمودياً احياناً كما نرى ذلك في قصيدة "جمرة القلق" التي يقدم فيها "معارضه" بالمعنى البلاغي لقصيدة الجواهري "يانديمي" ولقصائد مماثلة لعدد من الشعراء الرومانسيين العرب منهم "بدوي الجبل". وفي هذا اللون الغنائي الذاتي والوجداني يدعو الشاعر رفيقه او نديمه لكي يشاركه تأملاته وهمومه وهو اجسه اذ يقول الشاعر موفق محمد وهو

القصيدية الى مغن للفجيجة العراقية وملاذاً
دافئاً وهو ايضا كناية عن الدور المتميز الذي
يمكن للفن ان يلعبه :
" يا ايها الحلي
الذي لم يخرج من طوره يوماً
فلا معنى للحياة بدون طورك
الذي يحمل في سفينته العراقيين
جميعاً." (40)

واذا ما تحول صوت الفنان سعدي الحلي
الى ملاذ وأمل وضوء بالنسبة للعراقيين في
هذه المطولة الشعرية القائمة على الخطاب
والمناجاة والتشارك من خلال تضمين مقاطع
غنائية عديدة بالشعر الشعبي من اغاني الفنان
سعدي الحلي نفسه ، فأن الشاعر موفق محمد
يلجأ الى البحث عن ملاذ آخر متمثل هذه المرة
بالفنانة العالمية المغنية "شاكيرا" في خطاب
مناجاة وجداني يجمع بين البوح والاعجاب ،
ووضع التراجيديا العراقية المختلفة بكل ما
فيها من دموية وعنف وغدر مقابل الجمال
الفني الذي تشع به (شاكيرا):

" يا شاكيرا
والسماء بكل ملائكتها تصغي الى صوتك
فتذرف نجومها فوق جسدك اللابظ بالنور"
(41)

وفي مفارقة جارحة يرسم الشاعر صورة
للنزيف العراقي المتواصل:
" وانى لنا ان نرى
فقد اتعبتم الله والبلاد والعباد
إلهاً مفخخاً يقيم فردوسه في الكهوف
والخرائب
وجحيمه في المساجد والكنائس والمدارس
والحدائق
ليرسل الاجساد المتفحمة الى جهنم ، خوف
ان تنضب نارها." (42)

وتضمنت الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر
موفق محمد مجموعه من قصائد الشعر
الشعبي التي تنتمي لغةً ورؤيةً الى تجربة
الشاعر "مظفر النواب". ومنها قصائده "يا
مطر زخنه بمحنه" (43) و "ميت انا" (44)
"والك بيه نياشين" (45) "ولا تبطلين
اللعب" (46)، فضلاً عن عشرات المقاطع
المبثوثة داخل قصائده المختلفة في لون من
التهجين والاسلبة والحوارية اللسانية
واللهجية بمنظور ميخائيل باختين. وهذه
القصائد تؤكد النزعة الشعبية، وربما
الشعبوية أيضاً في تجربة الشاعر موفق محمد
الشعرية الفصحى والعامية معاً، واقترابها
من هموم الانسان البسيط والمستلب، الذي
يجد احياناً ان اللغة العامية اسرع نفاذاً
واقرب الى الوعي البسيط والعاطفي ، وهي
قصائد تحتاج الى وقفة خاصة قد يحققها
غيري من نقاد الشعر الشعبي ودارسيه.
وموفق محمد شاعر كثير التنوع والشمول
فثمة قصائد ترقى الى مستوى الهموم الكونية
والانسانية والوجودية الكبرى واخرى
تتعامل مع ما هو يومي وحسي واحياناً
ماهو شعبي او شعوي ومحرض وشتائمي
احياناً. وربما تمثل علاقته الشاعر موفق
محمد بالمكان المتمثل بمدينة الحلة لازمة
متكررة في تجربة الشاعر. فهو يقول في
قصيدته "محنة الطاك" وهي احدى محلات
مدينة الحلة الشعبية:

"لم اكن شاعراً في يوم ما
فأنا راو لمدينة اسمها الحلة." (47)

وهذا المقطع يؤكد فكرة "المؤلف المزدوج"
التي اجترحها النقد الثقافي، حيث يسهم
الهالبييتوس الاجتماعي المحيط في انتاج
النص الادبي فضلاً عن دور المؤلف نفسه،
كما يفسر دلالة حسن الانتماء العميق لكل

اوطانها" يبدو الموت شيئاً مألوفاً ويومياً
 مثل المن والسلوى:
 "كانت تكنس غرفتها
 والموت على دراجته الهوائية يوزع المن
 والسلوى لعدائي العذابات الطويلة
 ملوحاً للرايات السود، امهاتنا
 باليانع من الرؤوس" (50)
 وتقدم هذه القصيدة مسحاً مؤلماً لمظاهر
 الموت والقتل والعنف التي يكون ضحيتها
 الانسان العراقي البرئ:
 "الكلاب تكنس الجثث بألسنتها
 والبرابرة يكنسون المستشفيات بفحولة
 ثيران عمياء" (51)

وتكاد ان تكون قصيدة (no photo) التي
 تعني (ممنوع التصوير) تشريحاً لجرائم
 الارهابيين والتكفيريين من خلال ملاحقة
 حركة بطله، او قناعه الذي يخطئه القناص،
 فيسيل بدلاً عنه دم القط، او دم الجوري، او
 دم القمر المتوهج:
 "فالجثث جميعاً مجهولة الهوية
 وامتألت تقوب البلاد دماً
 اخطأني القناص
 سال دم الورد الجوري
 فأتشعح الآس بالسواد." (52)
 وفي الكثير من قصائد موفق محمد عنف
 لغوي ولفظي رمزي وهجاء مرير يصل حد
 الشتيمة ضد السياسة الفاسدين لفقهاء الموت
 والظلام، كما نجد ذلك في قصيدة "رسالة الى
 المتأسلمين":
 "أيها السادة المتأسلمون
 الحاكمون بأمر الله والمتحكمون برؤوس
 العباد
 ارفعوا سيوفكم عن رقابنا" (53)
 وفي قصيدة "فتاوى للايجار" والمعروفة

الرموز والمرثيات والشخصيات التي تزخر
 بها ذاكرة مدينة الحلة التي تقرب في تشكلها
 من المدينة الريفية البسيطة وليست مثل
 المدن الحجرية الكبرى، قاسية القلب. ويكاد
 ديوان الشاعر "غزل حلي" ان يكون مكرساً
 للصلاة في محراب هذه المدينة. اذ يستهل
 الشاعر قصيدته بهذا الاستهلال الطقوسي:
 "ارجو ان لا يخاف احد
 فأنا احب الحلة
 لا لانها مدينتي
 فما زلت في رحمها
 اسمع صوت امي
 في هسهسة الخبز
 وفي نهرها الهادر بالحمام" (48)

فالشاعر يعشق الحلة، بكل ما فيها من
 ازقه تفوح برائحة العنبر وقمرها المتوهج
 بالسنابل وخمرها الاسطوري المشعشع، كما
 يحب مجانينها وعشاقها وجسدها القديم من
 خلال هذه الصور والانزياحات والاستعارات
 الدالة:
 "واعتذر.. احب جسرها القديم
 لم يخلق لحيته رفقا بالصبية
 المتعلقين فيها
 وانام في موجة تحته
 اسمع انينه وهو يرى الجنود
 العابرين الى الحروب" (49)

ويكاد الهم السياسي والاجتماعي ان يهيمن
 على المناخ العام لمن الشاعر الذي يطل
 على القارئ بوصفه صاحب رسالة انسانية
 وثقافية واجتماعية، وهو لا يستطيع ان
 يغمض عينيه على مجرى الدم في بلاده،
 لذا يصرخ ويدين، وتتحول صورته احياناً
 الى متحف للجثث والمفخحات والرؤوس
 المقطوعة. ففي قصيدة "الانهار لاتهرب من

ايضاً "من رأى منكم عراقياً" يصب فيها الشاعر جام غضبه على فقهاء الظلام والارهاب والتكفير الذين يصدرون فتاوى مجانية بقتل الابرياء من العراقيين: "من رأى منكم عراقياً فليذبحه بيده فأن لم يستطع فبمدفع هاون وان لم يستطع فبسيارة مفخخة وذلك اضعف الايمان، رواه القرصاوي وهو يكرع دماء العراقيين" (54)

موفق محمد شاعر استثنائي تحول الى صوت شجاع يدين الفجيعة العراقية عبر العصور، وهو منشد ومغن ومدون للحرية والامل، وضع اصبعه عميقاً في موضع الجرح، فقدم لنا هذا المتن الشعري النازف، الضاج بالالم والامل معاً، ودخل بخفة، يحسده عليها اغلب شعراء جيله، الى قلوب القراء والمتلقين في حاله فريدة لم يشهد لها الشعر العراقي الحديث الا استثناءات قليلة لعدد من شعراء الفصحى والعامية معاً.

الهوامش:

- 1 - ناجح المعموري «قبة موفق محمد» منشورات تموز للطباعة والنشر - دمشق - 2012، ص 30 - 33
- 2 - موفق محمد «الاعمال الشعرية الكاملة» منشورات سطور، بغداد، 2016، ص 74
- 3 - المصدر السابق، ص 79
- 4 - المصدر السابق، ص 80
- 5 - المصدر السابق، ص 81-82
- 6 - المصدر السابق، ص 87
- 7 - المصدر السابق، ص 33
- 8 - المصدر السابق، ص 60
- 9 - المصدر السابق، ص 33
- 10 - المصدر السابق، ص 34
- 11 - المصدر السابق، ص 11
- 12 - المصدر السابق، ص 70
- 13 - المصدر السابق، ص 72
- 14 - المصدر السابق، ص 69
- 15 - المصدر السابق، ص 38
- 16 - المصدر السابق، ص 54
- 17 - المصدر السابق، ص 54
- 18 - المصدر السابق، ص 55
- 19 - المصدر السابق، ص 56
- 20 - المصدر السابق، ص 78
- 21 - المصدر السابق، ص 93
- 22 - المصدر السابق، ص 92
- 23 - المصدر السابق، ص 57
- 24 - المصدر السابق، ص 59
- 25 - المصدر السابق، ص 95
- 26 - المصدر السابق، ص 95
- 27 - المصدر السابق، ص 105

- 28 - المصدر السابق ص، 124
29 - المصدر السابق ص، 125
30 - المصدر السابق ص، 99
31 - المصدر السابق ص، 99 - 100
32 - المصدر السابق ص، 32
33 - المصدر السابق ص، 95
34 - المصدر السابق ص، 70
35 - المصدر السابق ص، 72
36 - المصدر السابق ص، 128
37 - المصدر السابق ص، 43
39 - المصدر السابق ص، 600
40 - المصدر السابق ص، 607
41 - المصدر السابق ص، 561
42 - المصدر السابق ص، 564
43 - المصدر السابق ص ، 553
44 - المصدر السابق ص، 546
45 - المصدر السابق ص، 654
46 - المصدر السابق ص، 669
47 - المصدر السابق ص، 616
48 - المصدر السابق ص، 324
49 - المصدر السابق ص 326
50 - المصدر السابق ص، 377
51 - المصدر السابق ص، 383
52 - المصدر السابق ص، 390
53 - نقلاً عن اليوتيوب - الانترنت
54 - نقلاً عن اليوتيوب - الانترنت

وقفات على آراء د. علي جواد الطاهر التربوية والتعليمية

د. نجاح هادي كبة



مواليد قضاء المشخاب عام 1947 / محافظة النجف، دكتوراه تربية (ابن رشد) في فلسفة التربية عام 1998، يعمل في سلك التدريس منذ العام 1971 في المدارس المتوسطة والثانوية ومعاهد إعداد المعلمين ومحاضر في التدريس الجامعي، ينشر في الصحف والمجلات العراقية في مجال الأدب والنقد والفلكلور والتربية وعلم النفس منذ العام 1971.

عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في بغداد، عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، مستشار في دار الشؤون الثقافية بغداد .
حصل على درجة الأستاذية عام 2013 .

تمهيد:
وصفت التربية بأنها قيادة الجيل الصاعد نحو الأفضل، وذلك أن التربية بطبيعتها عملية تغيير لا بد لها من معالم وأطر فكرية توجه مناشطها وتمدها بالقدرة على استعمال قوى التنبؤ والتحكم بحذر وحكمة لصالح
الإنسان (عبيد، 1971: 6) بتصرف .
أما التعليم فإنه الخبرات التي يقوم بها الفرد، ويشمل خبرات التعلم والتعليم جميعها التي تنقل رسالة التعليم من طريق وسائل إعلامية أخرى (قطامي وآخرون، 2001: 96).
الدكتور علي جواد الطاهر (1919

تمهيد:
وصفت التربية بأنها قيادة الجيل الصاعد نحو الأفضل، وذلك أن التربية بطبيعتها عملية تغيير لا بد لها من معالم وأطر فكرية توجه مناشطها وتمدها بالقدرة على استعمال قوى التنبؤ والتحكم بحذر وحكمة لصالح
الإنسان (عبيد، 1971: 6) بتصرف .

أما التعليم فإنه الخبرات التي يقوم بها الفرد، ويشمل خبرات التعلم والتعليم جميعها التي تنقل رسالة التعليم من طريق وسائل إعلامية أخرى (قطامي وآخرون، 2001: 96).
الدكتور علي جواد الطاهر (1919

الأفقالأدبي)، وكتاب (الباب الضيق) وكتاب (مقالات الباب الواسع) .

قال الطاهر:

في عام 1955 أسهمت في تحرير مجلة المعلم الجديد ... يومها كانت المجلة تمرّ في موقف لا تحسد عليه، فقد كان المعلم يعاف قراءتها - ويتضايق من مواضيعها فقد خيل إليه أنها لا تختلف عما كان عليه مقررًا أيام دراسته.

- كانت المجلة تتكسد في إدارات المدارس ... قلما تمتد إليها يد ومن تسلّمها أعرض عنها .

- كنا أمام مشكلة ليست يسيرة ... وكان علينا ان نفكر كيف نحبب المجلة إلى نفوس قارئها من المعلمين فهم جمهورها الواسع، ولا بد للمجلة ان تفتح صدر صفحاتها للناس العزوفين عن قراءتها (الطاهر، 1986: 60).

أراء الطاهر في مجال طرائق التدريس وأساليبه:

أراء الطاهر في مجال طرائق التدريس وأساليبهان بدت تشغل حيزًا في كتاب (أساتدتي ومقالات أخرى) أو (الباب الضيق) و (الباب الواسع) وغيرها، فإنها استوت متكاملة على كتابه (أصول تدريس اللغة العربية)، إذ تناول فيه طرائق تدريس اللغة العربية وأساليبه لفروع اللغة كافة من مطالعة وتعبير وقواعد وأدب ونصوص ونقد وبلاغة، زيادة على فاعليات أخرى سماها النشاط وهي تشمل: المكتبة، الخطابة، الصحافة، التمثيل، المقابلات ن الرحلات الأدبية، الإذاعة والتلفزيون، السينما .

يبدو الطاهر في كتاباته عن طرائق

التدريس وأساليبه أنها تقسم على قسمين وعلى النحو الآتي:

- القسم الأول: آراء غير مباشرة، يطغى عليها السرد الوصفي التصويري وهو يتناول العملية التربوية والتعليمية من وجهة نظر شاهد عيان وسيرة ذاتية وغيرية، إذ يبدو فيها الطاهر كأنما يسجل تاريخًا للعملية التربوية والتعليمية، وما ساد فيها آنذاك من أيام طفولته وهو يتعلم في الكتاتيب وفي الابتدائية إلى كونه أستاذًا جامعيًا مرموقًا وناقدًا وباحثًا شهيرًا.

قال يصف معلميه في المدرسة الابتدائية الشرقية في الحلة الفحاء:

(استقرت الحال، واستقرت بي في الصف الثاني، ومعلمنا البارز هو: عبد الحسين أفندي يدرّسنا المحادثة والجغرافية والنشيد ... أما المحادثة فهي في إبراز صورة يصفها التلميذ جوابًا عن سؤال: (ماذا ترى يا كمال؟) .

ليأتي الجواب: (أرى مركبًا وزورقين) ... أما أبرز محبوب فهو المعلم عطا، قصير القامة، ولكنه أنيق محترم محبوب ويتولى درس المحادثة، ولكن على طريقته الخاصة، إذ يرسم على السبورة في تمكن صوراً لقصص فيجوز إعجاب التلاميذ لدقتها ولباقته في عرضها، ومن ثم تبدأ المحادثة بالنظر إلى السبورة، هذه قصة اللقلق (أتى لقلق مرة إلى ساحل نهر ليجد أسماكاً يأكلها، فوجد أسماكاً صغيرة لم تعجبه، فعافها بحثاً عما هو أكبر منها ... وهذه قصة الثعلب الجائع يبحث عما يسد رمقه طال أمره إلى أن وجد عنباً ناضجاً، ولكنه مرتفع جداً، فعزى نفسه بأن هذا حصرم رأيته في حلب) (الطاهر، 2007: 60 - 63).

لا يعكس الطاهر رؤاه التربوية والتعليمية

الإيجابية فحسب فهو يتذكر المعوقات التي تجابه التعليم آنذاك قال:
وأما الجغرافية فسياحات داخل العراق، وأطولها ما بين البصرة وبغداد طرداً وعكساً: البصرة، البطحة، الخضر، تل اللحم، أرطاوي، ولم يكن للدروس من كتب إلا ما كان .. كما هو طبيعي من درس القراءة والمقرّر منه كتاب مصري اسمه (القراءة الرشيدة) وهو كتاب في المستوى لم نشك منه صعوبة وتبرز فيه قصيدة (الضحية) ومقالة الولد لوالده - الذي يسرق أو يغش هناك من يراه فيقول الوالد: مَنْ؟ فيقول الولد: الله. وفي الكتاب حكاية الذئب والحمل وان القوي يختلق الذنوب على الضعيف ليأكله ...

يضيف الطاهر:

ومعلمنا عبد الحسين أفندي مشهور بشدته أو قساوته، فالويل الويل لمن يخطئ في شيء لأن المساطر جاهزة لتشتغل على ظهره من دون رحمة أو استجابة لتوسلات . (الطاهر، 2007: 60 - 61).

إلا أن هذه القسوة تتحول إلى علاقة اجتماعية بين المعلم والتلميذ قال الطاهر: في الصف السادس الابتدائي، درّسنا المعلم هاشم الحلّي، كان ذا ذائقة أدبية، أحضر معه مرة صوراً للأدباء، غالبيتهم من المصريين، ممن كانت تنشر صورهم مجلة (الهلال) وكانت بالنسبة لي، مجالاً جديداً لمعرفة جديدة .

(في الاصطفاة الصباحي كل خميس يقرأ التلميذ نصوصاً شعرية كنت خجولاً اختبئ خلف الصفوف، كي لا يقع اختيار المعلم عليّ، مرّة وقعت بيدي (المطالعة العربية للأول متوسط)، وجدت فيها قصيدتين على حياة الموشح. حفظت

القصيدتين وتشجعت بقراءتهما في الساحة، قال لي المعلم:
" من أين لك هذا؟" كما وقعت بيدي نسخة من مجلة (الهلال) عدد خاص عن الربيع أو الشباب . كنت اختار منه فقرات معينة وألقيها أيضاً في الساحة أمام التلاميذ(الطاهر، 1997: 169) .
يثني الطاهر على خبرة أساتذته ذوي الكفاية وسعة أفقهم ليرسم لنا لوحة جميلة تلذ السامع وتعلمه، لما فيها من متعة، قال:

ولكن معجزة الصف الأول (متوسط) محمد أحمد المهنا - الذي صار فيما بعد كاتباً شهيراً- فهذا الرجل موسوعة عميقة عجيبة يصول في مادته ويجول، عارفاً بأسرارها مدهشاً طلابه، يدرّس الجغرافية، فإذا هو جغرافي كبير، والعالم في خرائطه طوع يديه، ويدرّس التاريخ القديم (في كتاب ضخم من تأليف طه الهاشمي) وكأنه أستاذ طه الهاشمي وهو- بالمناسبة - خريج دار المعلمين العالية حيث كانت سنتين، حتى إذا جننا -أو جاء إلى اللغة العربية وقواعدها وأدائها جننا إلى نبوغه الغالب نبوغاتها لأخرى، بما أدرك من دقائق اللغة وفقه من أسرارها ... وحفظ أشعارها(الطاهر، 2007: 97 - 98) .
ثم يعمّم الطاهر أفق المعلم أيام كان تلميذاً في المرحلة المتوسطة، قال: وتستعين المتوسطة بمعلمين متفوقين من معلمي الابتدائية، واختارت لدرس الإنشاء أحمد توفيق الحلّي، وكان لا يقل عن مستوى مدرسي المتوسطة، وكأنه أكبر من معلم، بما وراء كلامه من فكر، وهو يذكي في الطلاب حُبّ الإنشاء والجد في الإنشاء، لما يسهر به على التصحيح ولجدة موضوعاته .

المهنا الذي بعد مفارقتة له في الحلة الفيحاء التقاه في بغداد مدرساً في دار المعلمين العالية ومحاضراً في كلية الآداب، قال: ينظر المهنا في المكتبة المدرسية المؤلفة للغة العربية في قواعدها، فلا يرتضيها (يرعبه) ما يلاقي أبناؤه من عنت وما تلقى العربية من ضم ... فيفكر - وهو الذي لم يفكر يوماً في التأليف - وهذا عيبه - في ان يؤلف كتاباً يضمه خلاصة عمله بالمادة والطريقة في قواعد اللغة العربية انا الأستاذ النحوي محمد أحمد المهنا نظر فيمن يكون " زميله " في هذه المهمة ... وانتهى إلى قرار: أحد تلاميذه القدامى وقد واصل دراسته العالية في الخارج وعاد مدرّساً لمواد من " الأدب " ... فأجابه تلميذه القديم:

- ولكنني لست مختصاً بالنحو أو اللغة ...
فأجابه المهنا:

- وهذا هو سبب أساس رشحك للمهمة ... "لأنه" وجب أن يشترك في العملية من لم يكن نحوياً .. كأن يكون من مدرسي الأدب أو النقد الأدبي ... ليشذب الزائد ويبعد الغريب ... ويسهم بما فيه حياة وذوق .
" لكن التلميذ القديم - كما يقول الطاهر - فوّت على العربية وأجيال المتعلمين فرصة استثمار كنز " يقصد المهنا " (الطاهر، 1987: 65 - 67) .

كما أثنى الطاهر على أساتذته ذوي الكفاية، أثنى أيضاً على عمليه تأليف الكتاب المدرسي آنذاك، قال:
لقد كان كتاب الجبر مما أُجيد تأليفه ومؤلفة عراقي، ومثله كتاب النبات ومثلها كتب كثيرة في منهج الثانوية ومناهج المتوسطة والابتدائية، ومن تلك الكتب ما استعير تقريره من قطر

ويتابع الطاهر أساتذته في الثانوية فيرى فيهم الغث والسمين، قال: ونيط درس اللغة العربية بمدرس جديد حديث التخرج في دار المعلمين العالية (ذات السنوات الثلاث) وهو من خلق رضي وسلوك دمث وهدوء ملحوظ، ولكنه كان -وكانه جعل ديدنه الحط من الدكتور محمد فاضل الجمالي وقد سماه سخرية، المعلم الثالث، والمعلم الجديد، ولم يكن محمد فاضل الجمالي ليهمني في شيء، وإنما الذي أهمني وأقلقني عداوة المدرس الجديد للدكتور محمد مهدي البصير، والحط من منزلته العلمية، وكان المدرس الجديد المناوئ لأستاذه الدكتور البصير يتولى درس الإنشاء وطلب منا الكتابة عن أحسن كتاب قرأته، فكان الموضوع فرصة ذهبية لي في الرد على المدرس المحترم (الطاهر، 2007: 157 - 158)

الطاهر يعكس صوراً عديدة للعلاقة بين التلميذ والأستاذ لاسيما في المرحلة الجامعية، منها:

فالتلميذ يرى خطأ في قول أو رأي أو علم لدى أستاذه، وهذا ممكن، وممكن جدا ويتمنى لو أعلن لأستاذه ذلك الخطأ مباشرة، أو غير مباشرة، شفهاً أو تحريراً، ولكن الأستاذ لا يسمح بمجال لذلك، وربما ذهب التلميذ إلى ما هو أبعد من ذلك، وهذا ممكن أيضاً، كأن يرى أستاذه اغتصب بحثاً له، جد واجتهد فيه، فلما رآه الأستاذ ناضجاً ادعاه لنفسه ونشره باسمه، وكان يرى انه عمل عملاً مشتركاً (لسبب أو لآخر)، ولكن الأستاذ أنكر على التلميذ جهده (الطاهر: 1987: 217)

في كتاب (أساتذتي ومقالات أخرى) يتابع الطاهر أساتذته: مصطفى جواد ومحمد مهدي البصير وطه الراوي وأحمد محمد

والمكتبة العامة في الحلة أسست العام 1938م وكنت فرحاً بتأسيسها وربطت نفسي بها في مطالعات داخلية وخارجية، وفيها من المجالات الخير الوفير ما بين الهلال والمقتطف .. والرسالة والثقافة ... والعرفان وألف ليلة وليلة والطلیعة .. والمجلات العراقية وفي مقدمتها: الاعتدال، وفيها من الكتب القديمة والحديثة الخير الوفير كذلك ... وكنت أقرأ وأنصفح . (الطاهر، 2007: 153).

لكن الطاهر يبدي أسفه في أن بغداد عاصمة من غير مكتبة وطنية، قال: خطت بغداد في أمور كثيرة خطوات حضارية ويكفي ان صار فيها مطابع وصار مؤلفون ... أما القراء فهم من مفاخرها، ومفاخر العراق ... ومن الممكن جداً زيادة عددهم أضعافاً ... وفي كل عاصمة من عواصم الدنيا المتحضرة مكتبة وطنية (عامة) ضخمة تضم الملايين من الكتب والألوف من الجرائد والمجلات والدوريات ... والمخطوطات، منسقة مجلدة، ميسرة للطالب ... مضمونة الموارد الدائمة الثرة مالا وكتاباً،

- فهل في بغداد التي تطمع إلى أن تكون متحضرة، أو تطمع في اقل تقدير، إلى أن تصل الحاضر بالماضي وتزيد، مكتبة ضخمة تضم الملايين مضمونة الموارد الدائمة؟

- لا

- لماذا؟

- هذا هو الذي يحار فيه العقل (الطاهر، 1977: 195)

أضاف الطاهر:

كان من أوائل مراعني في باريس: الكتب، كثرة ما يصدر .. تنوعه .. سهولة علمك بالجدید، ويكفي أن تسير في هذا الحي

عربي آخر كمصر أو لبنان، ومنها ما ألفه مؤلفون غير عراقيين، والمهم، المهم، المهم، أريد أن أقوله: وكنتم أهم بقوله في أكثر من مناسبة: إن هذه الكتب في حكم المفقود وأحسب أن الذي بقي منها في المكتبة الوطنية - إن بقي منها شيء - محدود جداً على حين أنها في جملتها تكون أسساً من الفكر العراقي في تطوره والعلم العراقي والأدب العراقي .

وأضاف الطاهر بلمحة ذكية أشبه بالضربة المفاجئة في نهاية قصة، قال: ولا يستحيل أن يتجرد باحثون متخصصون في المكتبات الببليوجرافية تنيط بهم جهة رسمية معتمدة عمل (معجم بالكتب المقررة) يذكر فيه اسم الكتاب والمؤلف أو المؤلفين، أو المترجمين وتاريخ الطبع ومكانه وعدد طبعاته ... ليرجع إليه الدارسون ويتابعون من خلاله التطور ويستعيدون التاريخ العام والخاص (الطاهر، 2007: 147) .

صرح الطاهر بالتقصير تجاه العملية التربوية والتعليمية في بلدنا "العراق" ليعم أكثر وأعمق، قال:

ومن هنا يبدأ العتاب:

ومفاد العتاب ان علماءنا ظلوا محصورين بين الكلية والمختبر، فلم يفيضوا بالنفع على العامة، ولم يؤدوا خدمات مباشرة في تكوين الفكر العلمي لدى القارئ، فلا تكاد تجد لهم في السوق كتاباً، ولا تكاد تقرأ لهم في مجلة أو جريدة، كأنهم لم يستشعروا رسالتهم في هذا الباب ولم يدركوا مهمتهم الثانية إلى جوار الأولى (الطاهر، 1977: 228) .

تابع الطاهر المكتبة المدرسية والعامة في رحلته التربوية والتعليمية، قال:

الذي يسمونه الحي اللاتيني واقترن في أذهان الشرقيين بأف علاقة وعلاقة لتطلع على ما صدر اليوم، أو ما سيصدر قريباً.... لقد راعني ذلك مع اني لم أته من الصحراء، فلقد عشت في بغداد، وعشقت في القاهرة، ولكن ما في باريس من الكتب وتنوعها وفن الإعلان عنها.. يجعلك تؤمن بأنك قادم من الصحراء (الطاهر، 1977: 167).

–القسم الثاني: آراء مباشرة، وفي هذا القسم استند الطاهر إلى الأسلوب العلمي في عملية توصيل اللغة العربية إلى الطلبة بفروعها كافة من قواعد وأدب وبلاغة وتعبير ونقد ومطالعة، بعيداً عن الوصف التصويري الأدبي الذي خُطت به أنامله آراءه وانطباعاته في القسم الأول– المذكور سابقاً – وقد استوت آراؤه عن طرائق تدريس اللغة العربية وأساليبه على كتابه: "أصول تدريس اللغة العربية" الذي صدرت الطبعة الأولى منه العام 1965م، النجف زيادة على مقالات رصينة موزعة على كتبه مثل:

نقد (كتاب في قواعد اللغة العربية للصف الرابع العام) الذي نشر في كتاب (أساتذتي ومقالات أخرى) ومقال بعنوان: (ليست اللغة العربية صعبة!)، الذي نشر في كتاب (وراء الأفق الأدبي، مقالات)، ومقال (الرصاصي بضم الراء)، وهو نقد لغوي ممتع عن شعر الرصاصي بمناسبة احتفال الإذاعة العراقية بالشاعر، إذ تسقط الطاهر أغلاط الممثلين اللغوية. ومقال (أناشيد 1931 – 1939) في كتاب (الباب الضيق) وفيه دعوة للاهتمام لدراسة الأناشيد الوطنية لاسيما من طلبة الدراسات العليا، فوجه (دعوة إلى طلبة الدراسات العليا إلى البحث عن الأناشيد

يجمعونها ويوتقونها، ويدرسونها في شعرائها وأوتارها، وفيالأهداف التربوية وفي مفعولها، واحتفال التلاميذ بها (الطاهر، 1990: 77).

ومقال (الإنشاء ... تلك الكلمة التي ظلمناها فيما ظلمنا)، في كتاب (الباب الضيق) ومقال: (الأعلام غير الإعلام في (كتاب مقالات الباب الواسع)، قال الطاهر: المهم يا بني ويا أخي ويا سيدي ويا أيها المذيع العربي في مشارق الأرض ومغاربها ويا أيها المسؤولون عن الأعلام والإعلام بكسرهما تعالوا عن ضخخاخ البديهيات التي صارت ملاصقة العودة ولنقرأ الأعلام بفتح الهمزة جمع علم بفتحين والعلم هو الراهية ... "وأضاف الطاهر والمسألة- كما ترى- لا تقف عند الأعلام (بالفتح) والإعلام (بالكسر) ولا تقف عند أخواتها، وإنما هي أوسع وألم وادعى إلى الأسف والشعور بالخزي بإزاء لغتنا (الطاهر، 2007: 252 – 256).

أما كتاب أصول تدريس اللغة العربية، ط1، 1965م فقد استند في تأليفه إلى الأسلوب العلمي الاكاديمي في عملية توصيل فروع اللغة العربية إلى الطلبة من قواعد وأدب ونصوص وبلاغة ونقد وتعبير ومطالعة، وما سمّاه بالنشاط – كما ذكر سابقاً – ويحتوي موضوع النشاط على الوسائل التعليمية أو ما يسمى بتكنولوجيا التعليم كالتلفزيون والفيديو والسينما وغيرها: سجّل الطاهر الأسباب وراء تأليف الكتاب، قال:

لا بد لي هنا .. من أكرر ما جاء في مقدمة كتابي من اني لم أرد في عملي أكثر من أن اسجّل تجربتي خلال دراستي ومشاهداتي وتدريسي بعد لأن لمست جيداً ثمرة

الفصل الأول: قبل الدرس.
الفصل الثاني: المطالعة (القراءة).
الفصل الثالث: التعبير (الإنشاء).
الفصل الرابع: القواعد (النحو).
الفصل الخامس: النصوص.
الفصل السادس: الأدب والنصوص
(تاريخ الأدب).
الفصل السابع: النقد والبلاغة .

لعل ما يثير الانتباه ان الطاهر تفرّد بإدخاله " منهج البحث " ضمن مواد الكتاب المخصص أصلاً لأصول تدريس اللغة العربية، لأن منهج البحث، يقصد به منهج البحث الأدبي، لذلك رأى أن يتعلم الطالب منهج البحث الأدبي من الثانوية إلى مرحلة الدكتوراه، لأنه يرى: (إن العالم اليوم في يقظة من أمور البحث يعنى به ويوجه إليه، فهو في الدراسة الإعدادية وفي معاهد خاصة وفي مشاريع شخصية، وهو إذ يقف هذا الموقف فلفوائد الجليلة التي يجنيها منه في كل ميدان (الطاهر، 1984: 152) .

لابد من أن نشير إلى أن منهج البحث الأدبي طريق مهم لتوصيل اللغة العربية بخاصة، لأن المنهج طريق الإلمام بالمادة الدراسية .

وللطاهر شذرات تربوية وتعليمية في كتابه أصول تدريس اللغة العربية نقتطف منها:

أمّا المناهج فيجب أن تقوم على خدمة الحياة، وأن تنقى من المتحجرات، وممّا كان يدرس لضرورة استدعتها ظروف خاصة، وتهذب مما ثبت انه خارج عن الواقع والحاجة، وتشذب مما يضيق به التلميذ - وهو على حق - لأنه لا يحس به نفساً ولا نبضاً / ص: 15 .
فالمناهج من أولى أهدافها (مساعدة

النجاح في هذه التجربة الخاصة .. وهذا يعني اني لا أقصد إلى أن أوّلف كتاباً ضخماً يجمع ما تناثر في العديد من كتب التربية وأصول التدريس العامة والخاصة، لأن ما جاء في هذه الكتب يبقى فيها ينتفع به القارئ، لدى الرجوع إليها، وليس من وكدي أن انقل منها وأجمع عنها وأزيد صفحات كتابي على حسابها (الطاهر، 1984: 112) .

لذا جاء تناوله طرائق تدريس اللغة العربية وأساليبه نابعاً من تجربة عملية تلك التجربة التي عاشها في الكتابيب الابتدائية إلى أن أصبح أستاذاً جامعياً وناقداً وباحثاً وأديباً.

إن التجربة العملية هي محك نجاح الأفكار النظرية، وهذا ما أكدته الفلسفة البراغماتية من أن التعلم يجب أن يكون من طريق العمل، لما للعمل من أثر في صقل تجربة الإنسان والتفاعل معها نفسياً وعقلياً .

ويزيدنا الطاهر المماماً بتجربته العملية، قال:

وقدر لي أن أكون قريباً من اللغة العربية والتربية والتدريس، وكان من أهم عوامل هذا القرب دراستي في (دار المعلمين العالية) ببغداد وتدريسي فيها ثم صلة بمجلة " المعلم الجديد " وبالمناهج والكتب المقررة، وقد ضمّ كتابي "مقالات" كثيراً ما نشرت بهذا الصد (الطاهر، 1984م: 9) .

يقع كتاب (أصول تدريس اللغة العربية) بـ (180) بمئة وثمانين صفحة من القطع المتوسط بما فيها: المقدمتان والملحقان (1) ملاحظات ونقاش و (2) منهج البحث، ويتكوّن الكتاب من سبعة فصول، هي:

وإذا كان لابد منه، فيجب أن يكون في قدر محدود وفي معنى الصلة بين الموضوع وكاتبه/ ص: 30.

الظاهر يعلم ان للمطالعة أهدافاً عديدة وانها غريبال اللغة، ولها وظائف عديدة وهي الجانب الوظيفي - التطبيقي للغة وانصراف المعلم ما حول النص يفقده صلب أهداف النص المقروء ..

قال في تدريس التعبير (الإنشاء):

انه لابد من أن تضمن كلمة التعبير بعض مدلولات الإنشاء، وإلا فليس من المعقول أن يحول التعبير دون أن ينشئ من الطلاب، وليس من المناسب أن يحول التعبير دون نمو القابليات الخاصة . /ص: 41 ..

يؤكد الطاهر في هذا النص ضرورة أن يبتعد المعلم عن الأسلوب التقليدي في تدريس التعبير (الإنشاء) وان يتجه تعليم المعلم للتعبير اتجاهاً غير تقليدي كأن يعلم المعلم طلابه كتابة التعبير الإبداعي- قدر الإمكان- لكي يستطيع المعلم أن يشجع الطلبة لاسيما ذوو المواهب الأدبية على كتابة القصة أو المقالة أو الخاطرة وغيرها، وبذلك يستطيع الطالب أن يتعلم كيف يُنشئ .

يوصي الطاهر المعلم:

على أن التحول بالكلمة من الإنشاء إلى التعبير يجب ألا يصبح حرفياً جامداً فننقف من الدرس عند اللفظ والتركيب فيصبح ميئاً كأنه درس تكوين جمل موسع، وإنما يجب أن يشجع الطلاب - قدر الإمكان- على الابتكار في حدود مستطاعهم. /ص: 41 .

أما عن تدريس القواعد (النحو) فقال.

ويحسن بالمدرس أن يستعين بأكثر من طريقة في وقت واحد إذا لزم الأمر، مراعيًا

التلاميذ على اكتساب المعلومات والمهارات وأساليب التفكير السليمة والاتجاهات والقيم والميول والتذوق والتقدير بطريقة وظيفية تمكنهم من حسن الاستفادة منها في توجيه سلوكهم) (سرحان وكامل، 1972م: 31) .

قال عن دفتر المساعد:

يحسن جداً أن يكون لكل مدرس دفتر خاص به، لنسمة دفتر المساعد، يحمله معه دائماً يسجل فيه ما يعن له من رأي ويثبت فيه ما يعترضه من مشكلات وما يصل إليه من حلول، ويضمنه ما يعجبه من نصوص وأقوال، ويحفظ فيه ما يجده لدى الطلبة أو في دفاترهم وكتبهم ومناهجهم من صواب وخطأ يأمل أن ينتفع به في عامه الحائي وفي الأعوام المقبلة حرصاً على الوقوف على ما ينفعم وطمعاً بإبعادهم عن الوقوع في زلل شائع /ص: 25 .

أوصى في تدريس المطالعة:

من المدرسين من يعطي المعنى كما يرد في القاموس دون النظر إلى المعنى الذي تقتضيه هذه الكلمة في هذا النص، ولذلك يزيد الأمر تعقيداً ويجرّ التلاميذ إلى وضع لا منطقي /ص: 31 .

فالظاهر أوصى المعلم بالإفادة من السياق في معرفة معاني المفردات والجمل والتراكيب، لأنه يعلم أن اللغة العربية لغة إيحاء، وان المعاني تتبع السياق ولا تقتصر على المعجم فحسب .

ينتقد الطاهر المعلم الذي يقف عند مؤلف النص " دارسا " حياته في اسمه وتاريخ ميلاده ونشأته ومزاياه وأسماء مؤلفاته ومكانته في عصره، ولكن النتيجة ... مضرّة لأن هذا الخروج جور علي طبيعة الدرس .

طبيعة الدرس ومستوى الطلبة / ص: 59 ..

لابد من الإشارة إلى أن هناك طرائق عدة في توصيل القواعد (النحو) للطلبة منها: الطريقة القياسية التي تبدأ من الكل إلى الأجزاء أو من القاعدة إلى التعميم (الأمثلة)، وعكسها الطريقة الاستقرائية التي تبدأ من الأجزاء (الأمثلة) إلى الكل (القاعدة) ومنها الطريقة الاستكشافية التي تشجّع الطلبة على التأمل بالمادة والمناقشة والإفادة من الخبرات السابقة والربط والاستنتاج، لكن التربويين يؤكدون أيضاً أن يكون لكل طالب طريقة خاصة تبعاً لوجود الفروق الفردية بين الطلبة .

الطاهر يشجع المعلم على الاستعانة بأكثر من طريقة واحدة لان من الطلبة من يفهم المادة بالطريقة القياسية ومنهم من يفهمها بالطريقة الاستقرائية أو الاستكشافية التي تستند إلى النقاش وبعضهم من يحتاج إلى طريقة خاصة .

قال الطاهر:

من المدرسين من يستوقف القارئ في كل لحظة ووسط الجمل وقبل أن تتم الفكرة سائلاً بلهجة حازمة جازمة: ما موقع هذا من الإعراب؟ لم كانت مرفوعة؟ ... الخ، ومنهم من يزيد على ذلك فيأمر الطلبة بأن يأتوا بهذه الكلمة نفسها مرة مرفوعة ومرة منصوبة أو كأنه درس قواعد / ص: 32-33 ..

عن تدريس النصوص قال الطاهر: وكانت الطريقة القديمة لا تقيم وزناً يذكر للعنصر الجمالي، ولا تترك فرصة مناسبة للجو السائد. تضيع أكثر الوقت في الكلمة، معناها ... ولاشك في ان النصوص تزودنا

ثروة لغوية، ولكننا لا نريد أن نصل إلى هذه الثروة بالجهد الضائع والسبيل الشائك . / ص: 69 .

يبدو أن الطاهر يريد أن يضع كل شيء في مكانه الصحيح لكي لا يكون كل فرع من فروع اللغة العربية بديلاً عن الآخر في توصيله للطلبة ؛ لأن كل فرع من فروع العربية من تعبير وقواعد ونصوص وغيرها أهداف محددة هي أولى من أن تضع وسط أهداف عائمة، فالهدف من النصوص في الأساس تذوق جمال النص ومعرفة الجو السائد لذلك النص ثم تأتي الأهداف الأخرى .

عن تدريس الأدب والنصوص (تاريخ الأدب)، قال:

لقد كان اسم الدرس: تاريخ الأدب العربي، وللدرس بهذا الاسم أضراره وأقل هذه الأضرار طغيان المادة التاريخية عن النصوص نفسها، وشغل الطالب بما لم يكن أساساً في درسه، وضياع فرصة قراءة النص وتفسيره وفهمه ونقده وتذوقه، وربطه بالعصر ربطاً فنياً. / ص: 79 .

قال عن تدريس النقد والبلاغة:

وليكن واضحاً لدينا - وان فصلنا بين النقد والبلاغة - أنالأساس في الدرسين الالتقاء، وان ذلك يقتضي السير بالبلاغة إلى ما وراء المصطلح وانتفاع النقد بالمصطلح. / ص: 89 .

إن تأكيد الطاهر على توصيل النقد والبلاغة سوية من دون الفصل بينهما نابع من ان طبيعة المادتين واحدة، وهناك رأي ثان لدى التربويين يؤكد عدم الفصل بين تدريس الأدب والبلاغة، لأن الأدب مادة البلاغة فمنه تنبع القوانين البلاغية . في ختام الفصول السبعة - المذكورة سابقاً- اكد الطاهر أهمية التطبيق وأن

يقرن المدرس درسه بالتطبيق العملي وخصص حصة دراسية للتطبيق، وضرب أمثلة على التطبيق من طريق فروع اللغة كالقواعد والتعبير والنصوص وغيرها .

استنتاج وتعقيب

من طريق ما تقدم يتضح:

1 - أكد الطاهر أثر المعلم في اكتساب الطلبة المادة الدراسية، من طريق قابلية المعلم وقدرة استيعابه المادة الدراسية، ولو كانت خارج تخصصه، وعكس إخلاص المعلمين في واجبهم أيام كان على مقاعد الدراسة، وتفانيهم في توصيل المادة الدراسية للطلبة، على الرغم من قلة الإمكانيات المادية، إذ كان هدفهم العلم والإخلاص بالدرجة الأولى .

2 - تابع الاهتمام بالوسائل التعليمية من مرحلة تلمذته على مقاعد الدراسة الابتدائية إلى كونه أستاذاً جامعياً، فقد رصد في الابتدائية توظيف المعلم حسين أفندي وزميله السبورة في تشكيل صوراً تعبر عن قصة لتوصيل المحادثة للتلاميذ وتابعها وهو أستاذ جامعي فأوصى باستعمال الوسائل التعليمية وما يسمى اليوم بـ(تكنولوجيا التعليم) فأكد ضرورة استعمال الفيديو والتلفزيون والسينما والإذاعة والصحافة المدرسية وغيرها في توصيل المادة الدراسية للطلبة، لأنه يدرك أن الوسائل التعليمية خبرة حسية تحوّل الدروس النظرية إلى دروس عملية تطبيقية .

3 - ربط بين المناهج والحياة وضرورة تنقية المناهج من المتحجرات، وهذا ما أكدته الفلسفة البراغماتية التي أكدت التعلم من طريق العمل، ودعا في كتابه (وراء الأفعال الأدبي) إلى تنقية قواعد اللغة

العربية من الكثير من الشوائب فدعا إلى أن يكون النحو مألوفاً وطالب بحذف بعض الأبواب النحوية كالجمل التي لها محل من الإعراب والتي لا محل لها من الإعراب، والإعلال والإبدال وحبذا ولا حبذا... / ص: 161 . وبناءً على ذلك فهو من المهتمين بالسليقة اللغوية .

4 - تابع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وأدى بدلوه في نقد الأغلاط اللغوية الشائعة على السنة الممثلين والمذيعين وغيرهما، وانتقد بشدة عنوانات المحلات مثل أحذية الإيمان... الخ.

5 - تابع الاهتمام بالكتب والمجلات والصحف كمجلة الرسالة والاعتدال، والهلال، والمنقف وشكا من شحة الكتاب المدرسي في زمانه، ولازم الكتاب اهتمامه فوصف وقارن حال الكتاب في العراق وحاله في فرنسا وانتقد المكتبة الوطنية ببغداد حين قارنها بغيرها من المكتبات لاسيما في فرنسا .

6 - وجّه انتقاداً غير مباشر لمن يلهث وراء تأليف الكتب المدرسية من طريق المناقشة التي عرضها بين محمد أحمد المهنا وصديقه القديم حين رفض الأخير الاشتراك في تأليف كتاب مدرسي عن قواعد اللغة العربية بحكم تخصصه بالأدب على الرغم من حاجة المهنا إلى متخصص بالأدب في تأليف الكتاب .

7 - أكد أهمية القراءة والتلقي في موضوع النقد الأدبي في كتابه أصول تدريس اللغة العربية ودعا إلى أن يكون للطالب صوت نقدي أيضاً إلى جانب صوت المعلم ومادة الكتاب / ص: 91 . وهذا ما أكدته المدارس النقدية في نظريات القراءة والتلقي من ضرورة اخذ وجهة

- نظر القارئ في نقد النصوص .
- 8 - اهتمامه بمهنة التعليم من طريق أفكاره التربوية والتعليمية في كتبه - المذكورة سابقاً - ومشاركته في تحرير مجلة المعلم الجديد، وهذا يدل على حبه لمهنته وانسجامه مع طلبته زيادة على كونه ناقدًا كبيراً وباحثاً مرموقاً.
- 9 - لقد كانت أفكاره التربوية والتعليمية - لاسيما في طرائق التدريس وأساليبه - حقاً نابعة من تجربة ميدانية، فقد تفرّد فيها وصحّ ما قال انه لم يعتمد على مصادر خارجية لتضخيم كتابه (أصول تدريس اللغة العربية / ص: 112 .
- 10 - لا بد من الإشارة إلى أن الطاهر حاول إبراز شخصية الطالب في كل ما كتب عن العملية التربوية والتعليمية وأوصى المعلم بنبذ الصراع الوهمي بينه وبين الطالب بوصف المعلم الموجّه والمرشد، وأكد أهمية البيئة في تحسين قابلية الإنسان، وضرب مثلاً في كتابه (الباب الواسع) عن اثر الحلة بعلمائها ومدارسها وشعرائها وأدبائها ورجالها ومكتبتها في شخصيته، كما ضرب مثلاً عن علاقته الأسرية وأثرها في صقل قابليته / ص: 17، وكان رائده فيما كتب الفكر العراقي والعربي والإنساني .

المصادر :

- سرحان ، د. الدمرداش وكامل ، د. منير (1972م) ، المناهج ، ط3 ، دار العلوم ، القاهرة .
- الطاهر ، علي جواد (1977م)، وراء الأفق الأدبي ، مقالات ، بغداد ، وزارة الإعلام .
- نفسه (1984م) ، أصول تدريس اللغة العربية ، دار الرائد العربي ، لبنان - بيروت ، ط2 .
- نفسه (1986) ، يتحدث عن نفسه ، مجلة المعلم الجديد ، ج2 ، مجلد: 43 ، مجلة فصلية تصدر عن وزارة التربية ، بغداد .
- نفسه (1987م) ، أسانذتي ومقالات أخرى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .
- نفسه (1990م) ، الباب الضيق ، شركة المعرفة ، بغداد .
- نفسه (1997م) ، ج. س ، أجوبة عن أسئلة في الأدب والنقد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 .
- نفسه (2007م) ، مقالات الباب الواسع ، إعداد وتقديم : محمود كريم الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 .
- عبيد، أحمد حسن (1971م) ، فلسفة التربية ، محاضرات مطبوعة على الآلة الكاتبة ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، بغداد .
- قطامي ، يوسف وآخرون (2001) ، تصميم التدريس ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الأردن - عمان .

في الصحافة الثقافية العالمية



ترجمة: جودت جالي

مسرح:

توظيف التراجيديا القديمة للتعبير عن اضطرابات الزمن الحاضر

الإغريقي (جاسون) الذي تبعته بعد ذلك الى بلاده حيث ولدت له طفلين، الى أن يخونها جاسون بدوره مفضلا عليها امرأة أخرى. تنتقم كلوشيد ببشاعة بقتلها طفليها. الحب، الغزو، الخيانة، والموت.. عناصر مركبة بأساليب مختلفة. يرى مولر في قصة جاسون الأسطورة الأكثر قدما عن الإستعمار فيقول: ”التاريخ الأوربي بدأ مع الإستعمار، مركبة الإستعمار سحقت المستعمر“ في إشارة الى الصخور التي سحقت سفينة جاسون. إن مولر الكاتب المسرحي من زمن جمهورية المانيا الديمقراطية يضرب لنا هنا مثلا بأحد التأويلات للأسطورة.

يعتمد الفعل الدرامي كله على صوت فاليري دريفيل في إخراج أناتولي فاسيليف. صوت موهوب بقوة تعبير فريدة نتجت عن العمل في المختبر المسرحي في مدرسة الفن الدرامي في موسكو على يد فاسيليف الذي تتلمذ بدوره على يد ماريا كنيبل وهي واحدة من أواخر تلاميذ ستانسلافسكي فيكون بذلك وريثا مباشرا للمدرسة الروسية كما تقول فاليري التي تخضع لتمرين لفظي قبل كل بروفة أو

بعد ستة عشر عاما من إخراج الأستاذ المسرحي الكبير، الروسي أناتولي فاسيليف، لمسرحية (ميدي-ماتيرو) للكاتب هاينر مولر، يعود إليها، في المسرح الوطني في ستراسبورغ، مع الممثلة فاليري دريفيل التي تؤدي الدور الرئيس وهو في الحقيقة الدور الوحيد لكون المسرحية فيها شخصية واحدة.

يرى فاسيليف أن مولر يقيم صلة بين أسطورة ميدي (ميدي القديمة هي أرض إيران الحالية-م) والأحداث الجارية في عصره، ولكنه لا يركز على هذا التأويل في إخرجه للعمل بل على روح التراجيديا القديمة التي ما أن تُبعث حتى تصبح معاصرة. قيمة الأسطورة بالنسبة له تكمن في هذه الخاصة، هي أبدية ومعاصرة معا، وهي تنجز هذا الرجوع بين التاريخ الموعغل في القدم وبين اضطرابات المرحلة التي يعيشها المشاهد بالإنفعال أكثر مما تنجزه بالتأمل.

إن عناصر أسطورة ميدي، ككل البنى التراجيدية القديمة، بسيطة وقاسية: خانت كلوشيد شعبها وقتلت أباها عشقا للغازي



المخرج فاسيليف يتحدث مع الممثلة فاليري دريفيل

التراجيديا، كما خلقها الإغريق هي للكل، لمجتمع ديمقراطي. إن أحد إهتمامات فاسيليف هو هذه الوظيفة الاجتماعية للمسرح التي حصل عليها الإغريق بعرض أبطال الأساطير المعروفين لكل الناس على خلفية الشعائر المقدسة، كما هو أحد إهتمامات هاينر مولر "مواجهة جمهور الناس في رسالة فريدة" ويضيف فاسيليف "هنالك أشياء تبقى مخفية دائماً، لغزاً، سرّاً، وهذا يوجد في المسرح المقدس. من جانب آخر يوجد على السطح شيء ما قابل لأن يُسبر غوره، يُقرأ من قبلنا جميعاً. توجد قصة، وموضوع نفهمه". إن هاينر مولر المتفائل والمحرض لا يريد غير أن يخرج الناس من عرض مسرحياته سعداء، وقادرين على تبادل الحديث والشعور بأقل قدر من العزلة أمام التهديد الأبدي الذي لا يفتأ يحوم حولنا.

جان-جاك ريجيبه/ جريدة لومانتيه الفرنسية

تمثيل لأن "الصوت قبل الكلمات ومعناها"، والنتيجة كلام تكون فيه الكلمات والعبارات موقعة إيقاعاً مميزاً لا علاقة له بطريقة التكلم المعتادة، مزيج من اللغة المفصلة والصراخ، تبعث لغة بدائية غارقة في ليل الزمن. يقول فاسيليف: "هذا هو هدي. أحاول بعث هذا اللسان المهجور وقد عدت الى عمل مولر لتجربة هذا التناول".

الكلام (بنبرة تأكيدية)، جسدية، نيرة لا تسرد قصة بل تعبر عن نفسها، وإداء الممثلة المستقرة في مركز المشهد، بفواصل منتظمة، تطلق جسدها في عنف الحدث وتنتهي بالتعري معبرة عن مراحل الإستحالة الى الفعل الوحشي الى أن، كما تقول: "تتجاوز كل الحدود، تحرق كل مُثلها، وتصفى كل شيء".

يبغي فاسيليف من هذا الأسلوب في الإخراج أن يخلق مشهداً طليعياً موجهاً في الأساس الى جمهور صغير من المهتمين، ولكنه لا يستبعد الجمهور العريض فروح

شعر:

في الذكرى الخمسين لوفاته في 22 أيار 1967
لانغستون هيوز الشاعر، صوت الطبقة العاملة من أجل المساواة والسلام
والإشتركية



أصبح قادراً على التفرغ للكتابة، عمل في مهن مختلفة، وفي الوقت نفسه عبر في كتاباته عن حياة وثقافة الأفارقة الأميركيين. كتب من الأربعينيات إلى الستينيات بانتظام عموداً لجريدة (شيكاغو ديفندر)، وهذا العمود مكون من محادثات متخيلة مع عامل أسود في هارلم: ”هل يعني أنك أحمر إذا سعيت لكسب أجرة؟ هل يعني أنك أحمر إذا حافظت على عملك؟ ولم ترغب في أن يطردك

لا توجد له قصيدة ولا قصة ولا كتاب لم يتحدث فيه ضد القمع العنصري وينعش الآمال في مواطنة من الدرجة الأولى للأفارقة الأميركيين، وقد ارتبطت عنده قضية المساواة بقضية النضال الطبقي والدفاع عن جميع المضطهدين، داخل الوطن وخارجه. نشأ في عائلة عمالية مكافحة، ومن أول عمل حصل عليه وهو في المتوسطة كمنظف في فندق حتى بلوغه الثلاثين عندما

رب العمل؟“.

إنتمى فكرا الى أممية الطبقة العاملة والى دور العمال في التغيير الجذري للمجتمع. عندما إستلمت الطبقة العاملة السلطة في روسيا في العام 1917 وإنسحبت من الحرب العالمية الأولى أقام لانغستون هيوز وزملاؤه في المدرسة الثانوية إحتفالا بالثورة وبقائدها فلاديمير لينين. كتب عن الإتحاد السوفييتي الذي زاره في الثلاثينيات: ”تصور الصحف اليومية البلاشفة بوصفهم أخطر أشرار الأرض، ولكني لا يمكنني تصور كيف يمكن أن يكونوا هكذا وقد خلصوا شعبهم من الحقد العنصري والإقطاعية، وهما شران عرفتاهما عن كتب“.

لم يخف إعجابه بالشيوعيين وقد قال عن الأم (إيلا ريف بلور) القائدة الشيوعية التي شاركت في تأسيس الحزب الشيوعي الأميركي: ”قاتلت الرأسماليين بأسنانها وأظافرها لمدة سبعين عاما“، كما إنخرط شخصا في الدفاع عن شباب سكوتسبورو مع الحزب الشيوعي والمكتب العالمي للدفاع عن العمال، وكانت قصيدته (سكوتسبورو) صرحا شعريا حيا به الحركة التي أنقذت حياة شبان سود أبرياء من عقوبة الإعدام. تتجلى شجاعة هيوز في معارضته للحروب الإمبريالية، وفي قصيدته (الجندي الملون) يقول أنه يفترض أن تكون الحرب من أجل الديمقراطية ولكن الجنود السود العائدين يجري إستقبالهم بالمشانق، وفي قصيدة (أعطونا السلام) يرى بناء الجيش على حساب المدارس والسكن اللائق. ساند الجمهورية الإسبانية (1936-1939) ضد الفاشيين وقد عمل مراسلا في إسبانيا لصحافة الأفارقة الأميركيين ورافق لواء

إبراهام لنكولن في الجبهة أثناء إحتدام المعارك. عندما هزمت الجمهورية تفهم هيوز الأسباب والنتائج ولم تعن له الهزيمة إلا مواصلة القتال ضد الفاشية في الحرب العالمية الثانية بالتزامن مع النضال ضد العنصرية. قال في قصيدة (ما رأيك فيها يا ديكسي؟): ”الحرية لا تعني مجرد الإنتصار هناك/ إنها تعني الحرية في الوطن أيضا، الآن... وهنا!“.

بعد الحرب عندما نشطت معاداة الشيوعية والعنصرية واستهدف المتعصبون هيوز رد عليهم بالإكتار من الأحاديث والكتابة كما أدلى بشهادته في العام 1963 قائلا: ”المنظمات التي هاجمتني هي على الأغلب الجماعات الأكثر معاداة للزنوج واليهود والعمال“. قَدَم شعره في الستينيات دعما لنضالات المقاومة والمساواة. في قصيدته (برمنغهام ساندي) 1965: ”أربع فتيات صغيرات/ قد يستيقظن قريبا على أغان تحملها النسائم من بين أشجار المغنوليا“. وفي قصيدة (إذا أردت) يقول: ”يمكنك أن توقف صافرة المصنع/ تمنع آلات المناجم من العمل/ تمنع القنابل الذرية من الانفجار/ تمنع السفن الحربية من التحميل/ تمنع سفن التجار من الإبحار/ تمنع مفاتيح السجن من الدوران في القفل/ تستطيع... لو أردت“.

كتب في واحدة من أواخر قصائده (حلم الحرية): ”يقاتل هذا الحلم اليوم وظهره الى الجدار/ إن إنقاذ هذا الحلم يجب أن يكون للجميع وليس لشخص/ إنه حلمنا بالحرية“.

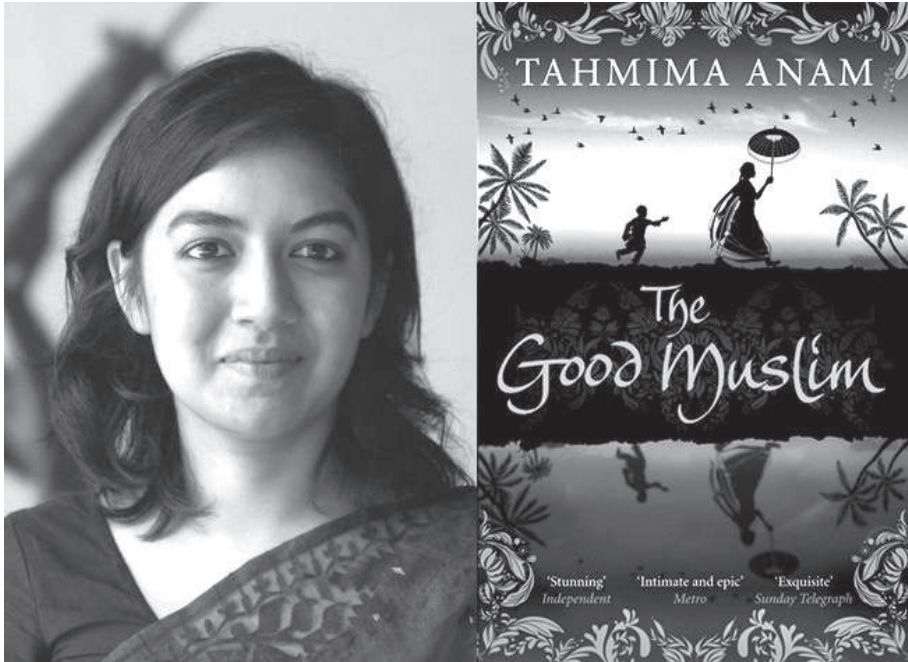
جويل فيشمان/ بيبيلز وولد، جريدة الحزب الشيوعي الأميركي

سرد:

الدين والشتات والحنين الى الوطن في روايتين لشابيتين بنغالييتين

المتحول هي تصورات في تغير متواصل، ومغرية إغراءً خطراً كذلك. إن تعريف المسلم الصالح في سياق الشتات البنغالي هو في مركز التأمل هنا، مادام الدين والجانب الجنسي يتشابكان مع ثيمة الشتات في (بريك لين) لمونيكا علي و(المسلم الصالح) لتميمة أنام. تتعامل رواية لمونيكا علي مع ما تراه أحلام وخيبات الشتات والدين، فلم (شانو) بأن يعيش عيشة الجنتلمان، بغض النظر عن حقائق وجوده هو بالتأكيد بعض مما

المفهوم الشتاتي عن البيت/الوطن أكثر من مجرد رغبة لا تُشبع لوطن مفقود، إنه رغبة توطنية في وطن طوباوي، وكما تقول سوشيلا ناستا في (حقائق الوطن: الخيال الأدبي لشتات جنوب آسيا في بريطانيا)، هو رغبة "في إعادة خلق وإعادة كتابة الوطن" و"التوصل الى تفاهم معه والإنتفاء عنه في الوقت نفسه". إن تصورات المرء حول الوطن الحيزي والمتمايزيقي، والهوية، والدين، والحرب، والذاكرة، في الوعي الشتاتي



من كاتبات الجيل الجديد (تميمة أنام) وغلاف روايتها الأخيرة (المسلم الصالح)

خلفته العقلية الإستعمارية البريطانية. يرتبط بآنسة تزوده بالمال ليعيش برحاء في لندن ولكنه يبتعد عنها حالما يشعر بأنها ستدمر حياته ويجد راعيا له بديلا في الدكتور آزاد الذي يعيش عيشة غير راضية مع زوجته وإبنته التي خابت آمالها بالثقافة البنغالية وبالمقابل فقدت الخطوة التي تضيف على المرأة البنغالية التقليدية لخروجها على التقاليد. إن شانو، وفقا لرأي الدكتور آزاد، قد أصيب بمتلازمة "الذهاب الى الوطن" وهو مرض شائع بين المهاجرين. غير أن زوجة شانو لا تشاركه مرضه لأنها بخلافه لا ترتبط عندها رؤية الوطن (أو إفتقارها لها) بالموضع، وإعادة التوضع، والإنتفاء عنه بل إن رغبتها التوطنية بنيت على صرح من الذكريات المهشمة. عندما أخبرها شانو عن بيتهم القادم في دكا بقيت نازين غير مبالية وهي تفكر: "هل نستطيع أن نبقى جالسين هكذا في دكا؟ في غرفة كهذه؟ نجلس هكذا ونشعر كأنه مثل جلوسنا هنا ويكون كل شيء كما هو، ولكن في مكان مختلف؟". ينطبق على وعي نازين ما أسماه ديلوز وغواتاري «خليط شيزوفريني» من عنف معرفي، ويتجلى هذا في طمسها للحد بين الدين والإغواء الجنسي عندما تلتقي كريم الوسيط من مصنع الثياب فكان أول شيء لاحظته هو الكراصة المهلهلة التي يحملها معه والمعنونة (هل أنت مسلم صالح؟ عشرون طريقة للجواب)، في إحدى زيارته طلب كريم سجادة للصلاة وحالما بدأ الصلاة أخذت تقرأ معه بصوت لاه،

وسرعان ما تملكته الرغبة فيها. يبدأ كريم ونازين، ما بين الخياطة والصلاة، ممارساتهما الجنسية، وبين الخياطة والصلاة يدرشان عن الدين وعن الطرق المختلفة ليكون المرء مسلما صالحا ويخططان لحضور اجتماعات مجموعة متطرفة تسمى (نمور البنغال)، وهكذا أصبح الوطن الشتاتي بالنسبة لهما موضع إغواء وإفتتان. تسرد رواية تميمة أنام (المسلم الصالح) حياة مايا الطيبية وأخيها سهيل مقاتل الحرية في حرب تحرير بنغلاديش. إنهما لم يهاجرا الى بلد جديد بل بالأحرى أن مفهومهما عن بلدهما هو الذي دخل عملية هجرة، فبالنسبة الى مايا منحتها حركة التحرير الفرصة لأن تنشر جذورها في الوطن الحقيقي، الحركة الحقيقية التي يمكنها التفكير فيها هي التحرك الى الأمام بمعركتها من أجل الديمقراطية، إنها ترى نفسها بنغالية أولا ومسلمة ثانيا. من جانب آخر نجد سهيل ممزقا ما بين هويته الوطنية وعقيدته الدينية. في هذا السياق يرفض جعل ثقافة الأمة الجديدة إنسانية شاملة، فهو غير قادر على التكيف مع الوعي المزدوج للشتات المتخيل. يعيد وعيه تشكيل نفسه إزاء هذا الشتات المتخيل عبر الموشور الديني العقائدي محفزا ثقافته الدينية لأن تحل عنوة محل ثقافته الوطنية.

فايزة حسنت/ جريدة ديلي ستار البنغالية
التقدمية

سينما:

وشهد شاهد من أهلها في فيلم (المستوطنون)
فيلم عن الجريمة الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني والمستمرة منذ نصف
قرن، منذ حرب حزيران 1967 التي فضحت خواء الأنظمة العربية
وهزأها العسكري والفكري والسياسي



حلما من أحلام عائلة دوتان، مكانا للأمل
والمثالية، ولن يكونوا في إسرائيل دخلاء
بعد الآن كما كانوا في أوروبا بل مالكين شركاء
في الحلم. يسرد فيلم دوتان (المستوطنون)
كيف تحول هذا الحلم الى واحدة من أكثر
مشاكل العالم إثارة للنزاع، ألا وهي
الزحف على أراضي الفلسطينيين. لا يمانع
دوتان الكدح الذي يحتاجه الحلم وقد نشأ
في مزرعة تعاونية يعمل في الحقول وجمع
التبن وغالبا ما يحلب الماشية ويرعاها،
وبعد الثانوية قضى خمس سنوات في
الخدمة العسكرية كضابط كوماندوز،
ويقول «كمهاجر شعرت بأن علي أن أعمل
المزيد لأثبت نفسي وأكون مقبولا». كان

قضى (شمعون دوتان) سنواته العشر
الأولى في خرائب رومانيا ما بعد الحرب
العالمية الثانية، وهو يقول مازحا عن
تلك الفترة قائلا بأن الخبز والبصل
اللذين كانا الطعام الوحيد لدى أهله كانا
سيئين كمعاداة السامية بالضبط. قتلت
الحكومة الرومانية الفاشية خلال الحرب
ما بين 280 ألف و 380 ألف يهودي،
وقدمت قوات لهتلر أكثر من كل حلفائه
مجتمعين. أفلح والد دوتان في أن ينتقل
بعائلته الى إسرائيل وقد إبتهج شمعون
الطفل لأنه سمع أن لكل طفل في إسرائيل
شجرة يرتقال.
كانت ديمقراطية إسرائيل الإجتماعية

واحدا من المقاتلين الذين قاموا بالغارة الشهيرة على مدخل قناة السويس، وقام بدوريات في غزة، وفتش البيوت وحاول حل النزاعات، وسرعان ما أدرك أن الجندية ليست المهنة المناسبة له وشعر بأن ما يفعلونه خطأ. دخل الكلية الطبية ولكنه وجد هواه الحقيقي في كلية الفيلم بجامعة تل أبيب، وقد فاز فيلماه القائمان على تجاربه (تكرار الغطس) و(إبتسامة الحمل) بالجائزة الإسرائيلية لأحسن فيلم قصير وجائزة أحسن إخراج مرتين وست جوائز أكاديمية إسرائيلية.

في السنوات التالية أخرج وكتب وأنتج أفلاما ناجحة تجاريا وحصلت على جوائز مثل (يمكنك شكري فيما بعد) و(الساعة الأروع) و(القائمة) وغيرها. غير أن أبرز أفلام دوتان هي الوثائقية (منزل حار) 2006 عن السجناء الفلسطينيين و(المستوطنون) 2016 عن المستوطنات الإسرائيلية غير القانونية في الأراضي الفلسطينية والتي غدت أزمة الشرق الأوسط في السنوات الخمسة عشر الأخيرة، ولطالما أعلنت الحكومة أن هذه المستوطنات غير قانونية وفشلت في إيقافها فيما يستمر المستوطنون في إجبار

الفلسطينيين على مغادرة أراضيهم. لم يكن دوتان يعرف كيف يتعامل مع الموضوع في البداية الى أن شعر بضرورة عرض المشكلة بشهادات المستوطنين أنفسهم، وهكذا تحدث معهم مانحا لهم الفرصة لطرح وجهات نظرهم التي تراوحت بين التأمل والغضب، وتعرض فريق العمل الى الإعتداءات، وتمت سرقة المعدات، وضرب مصوره بقضيب حديدي، ولم تفعل الشرطة شيئا. ومع أنه واجه معارضة ومشاكل في كل مرحلة من مراحل العمل بقي مصمما ومتفائلا. يثير الفيلم في عقل المشاهد سؤالين: إذا كانت القوانين الإسرائيلية قائمة على التمييز الإثني والتمييز في الأجر حيث لا يحصل الفلسطينيون إلا على نسبة 1 من 20 من الأجر الذي يحصل عليه الإسرائيلي أفلا يكون هذا نظاما عنصريا؟ وإذا كانت الحكومة الإسرائيلية تسمح لجماعة دينية بفرض قوانينها القومية مهددة السلم المجتمعي والرخاء والمساواة في الحقوق فهل تبقى ديمقراطية؟

مايكل بيركوفيتز/ بيبلز وولد، جريدة الحزب الشيوعي الأميركي

كتب للأطفال:

حدث في موسم الكرز أن قامت الكومونة!



غلاف كتاب (الكومونة) للأطفال

الذين واجهوا فرانكو مروراً بالطلبة في كل زمان. يعود بنا كتاب (الكومونة) ليشرح للأطفال هذه الفترة المركزية في التاريخ اليساري العالمي. يبدأ المؤلفان، إيفان بومو وكريستوف إيلا-سومر، أحداث كتابهما قبل إندلاع ثورة الكومونة بعشرين عاماً عندما إعتلى نابليون الثالث سدة الحكم، وتولى البارون هاوسمان مسؤولياته كمحافظ لمقاطعة

بغض النظر عن المسألة التي إنتهت إليها الإنتفاضة التي استمرت شهرين في العام 1871 بمقتل الآلاف من الثوار في باريس على يد الجيش الفرنسي فإن ما بات يعرف بالكومونة قد دفعت الحركة الإجتماعية الى الأمام بمغامرتها السياسية الطليعية في التاريخ الفرنسي وطبعت بطابعها سلسلة من الثورات وجمهوراً من المناضلين والمتقنين من لينين الى الجمهوريين الإسبان

فرصة لتثبيت المعلومات الصحيحة والحقائق في عقول الناشئة التي قد يربكها تعدد القراءات التي ظهرت في مختلف المراحل والوسائط وذلك لإختلاف المنطلقات الفكرية لهذه القراءات. لم يخف المؤلفان موقفهما وفي أي معسكر يقفان، إنهما في صف المنتفضين إستنادا الى الجرائم الموثقة التي أقرتها قوات حكومة فرساي (الجيش الفرنسي بعد نقل الحكومة الديمقراطية لمقرها الى غرب باريس حيث الأغلبية العمالية والفقراء) في مقابل المنجزات الإجتماعية (مدارس علمانية ومجانية، وفتح المنتزهات للجميع، وقوانين المساواة ومحاكمة الفاسدين،) والمنجزات السياسية (الحقوق السياسية للنساء، وقانون تجريد العضو المنتخب من العضوية في حالة عدم الوفاء بالالتزام،) التي حققتها الكومونة في ظروف اقتصادية ومعيشية صعبة وحصار، وكانت النهاية أن إتفق الخصوم وتناسوا خلافاتهم من أجل قمع الكومونة بكل وحشية.

الكتاب:

Yvan Pommaux et Christophe Ylla-Somers, La Commune, L'Ecole des loisirs, 40 pp., A partir de 7 ans.

دميان دول / مجلة ليبراسيون الفرنسية

السين والذي يراه الجمهور العريض والمؤرخون مطورا لعمران باريس لكنه كان أيضا منظم السيطرة على سكان باريس. في عهده، في الستينيات من القرن التاسع عشر، تقام انعدام المساواة وجرى تأسيس تقسيم المدينة (شرق-غرب) القائم الى الآن.

في بداية العام 1871 كان قد مضى على حصار البروسيين لباريس عدة أشهر، ولكن الباريسيين رفضوا الخضوع برغم قساوة الحصار. أراد الجيش الفرنسي النظامي إستعادة المدافع المنصوبة على تلة مونمارتر، فهب السكان بما تيسر لهم لمساعدة الجيش في هجومه المقابل، وكانت هذه بداية انتفاضة وتشكيل حكومة ديمقراطية انتخبها الشعب في العاصمة، وكذلك بداية الصراعات بين المنتفضين والأغنياء الذين أرادوا تسليم البلد الى البروسيين حفاظا على مصالحهم، الى أن حل الأسبوع الدامي بالقصف البروسي العنيف واقتحام قوات فرساي لمعاقل الثوار، ومن ثم نفي الكومونيين الباقين على قيد الحياة الى جزيرة كلدونيا الجديدة، ومن بينهم فكتور هيجو مؤلف رواية (البؤساء) والمناضلة لويز ميشيل وغوستاف كوربيه وأدولف تير رئيس السلطة التنفيذية وغيرهم.

كتاب (الكومونة) مخصص للقراء الذين تتراوح أعمارهم بين سبع وعشر سنوات يمكن أن يجذب كذلك البالغين، وقراءته

بمناسبة مرور نصف قرن على إستشهاد الثوري العظيم جيفارا



أليدا جيفارا في جنوب لبنان سنة 2010 في ضيافة المقاومة اللبنانية

تمر هذه السنة في تشرين الأول المقبل خمسون عاما على جريمة من أقذر الجرائم التي إرتكبتها الولايات المتحدة حين تعقبت مخبراتها في بوليفيا الثائر الخالد أرنستو تشي جيفارا وساعدت الحكومة الديكتاتورية البوليفية في القبض عليه وقامت بإعدامه.

بهذه المناسبة، ووفاة البطل كاسترو لم يمض عليها وقت طويل، تقدم المتابعات ثلاث مواد، الأولى قسم من مقابلة مع ابنة جيفارا، والثانية عرض لكتاب شقيق جيفارا، والثالثة عرض لكتاب عن المناضلة الكوبية هايدي سانتاماريا التي رافقت كاسترو وجيفارا في كفاحهما.

مقابلة:

نشأت مع أناس رائعين

(أليدا جيفارا مارش) هي ابنة تشي جيفارا من زوجته أليدا مارش. تعمل طبيبة أطفال في مستشفى وليام سولر للإطفال في العاصمة هافانا، وتعطي دروسا في المدرسة الأميركية-اللاتينية للطب وفي مدرسة إبتدائية للأطفال المعاقين، وبوصفها عضوا في الحزب الشيوعي الكوبي فإنها غالبا ما تشارك في النقاشات السياسية في أنحاء العالم. عملت كطبيبة أطفال في أنغولا والإكوادور ونيكاراغوا وفنزويلا، وعملت

بشكل وثيق مع مركز دراسات تشي جيفارا الذي تديره أمها. أجريت هذه المقابلة في السفارة الكويتية في بروكسل أواخر 2016 وترجمها من الإسبانية الى الإنكليزية نينا وفلاديمير أوغسطين:

رون أوغسطين:

بعد عيد ميلاد فيدل كاسترو التسعين عادت وسائل الإعلام الغربية الى التخرصات القديمة كالتناقض الأساسي بينه وبين تشي على أساس إنتقاد أبيك للإتحاد السوفييتي. أنت معتادة على هذه التحريفات وكذلك البعض منا في الغرب، ولكن هل علقت على هذه الإدعاءات وهل ناقشتها مع فيدل؟

أليدا:

عندما إلتقى فيدل وأبي في مكسيكو إنضم أبي الى الحملة الكويتية بشرط أنه إذا إنتصرت الثورة وبقي هو على قيد الحياة يمكنه أن يذهب في طريقه. بعد إنتصار الثورة أصبح أبي واحدا من أكثر الناس أهمية في خلق المجتمع الإشتراكي الكوبي، ولكن إنقضت السنين وأبي الذي هذه مرض الربو أخذ يفكر أنه ربما لم يبق لديه من الوقت لتطبيق ونشر تجربته في حرب العصابات. بدأ يستكشف الإمكانيات في الأرجنتين ولكن الظروف لم تكن مهيأة نظرا للدعم القليل. ثم أطلعه كاسترو على طلب للمساعدة من قبل حركة تحرير الكونغو، فبعد قتل باتريس لومومبا كان الوضع هناك خطيرا مع محاولة الجيش البلجيكي إستعادة السيطرة على البلاد، وهكذا اضطر الثوار الكونغوليون الى طلب المساعدة من الثورة الكويتية، وكان والدي سعيدا للذهاب الى هناك فتوجه الى الكونغو على رأس لواء من المتطوعين الكويتيين،

وما أن إختفى والدي من المشهد العام أخذ سياسيو العالم الرأسمالي ووسائل الإعلام ينشرون تخميناتهم مثل حصول خلاف بين فيدل وتشي وما الى ذلك.

هذا الموضوع طرقته أنا شخصيا مع فيدل. سألته: «أخبرني يا عم حول الخلاف الذي يبدو أنه حدث بينك وبين أبي» فضحك وأخبرني عن خلاف واحد حدث بينهما عندما كانا في السجن بالمكسيك، فقد أبلغ فيدل جميع الرفاق في السجن بأن لا يكشفوا شيئا من تنظيمهم للسلطات المكسيكية. قال لي: «وما تظنين أن أباك فعل؟ هو لم يخبرهم فقط بأنه شيوعي بل وبدأ يناقش شخصية ستالين مع أحد الحراس، فكانت النتيجة أنه الوحيد الذي أبقوه في السجن بتهمة شيوعي مؤيد للسوفييت في حين أطلقوا سراحنا جميعا» وماذا فعل فيدل؟ دافع عن أبي ورفض الخروج من السجن إلا معه. قال لي: «ماذا بمقدوري أن أفعل؟ عندما ذهبت لإصطحابه أدركت أن أباك لم يكن بمقدوره أن يكذب بخصوص هويته السياسية، حتى ولو كلفه ذلك حياته، ومهما كان المرء بارعا في النقاش لن يستطيع أن يقنعه بالعكس». هذا هو نوع الخلاف الذي كان يمكن أن يحدث بينهما، وفي نفس الوقت، سارا في طريقهما المشترك على أحسن ما يرام، فهما يتشاطران نفس المبادئ ونفس المثل.

دامت العملية الأفريقية ثمانية أشهر. الوثائق التي طبعناها عبر السنين تبين أن فيدل وأبي كانا يتبادلان النصح والمشورة خلال هذه الأشهر الصعبة وأن القوات تلقت كل دعم ممكن من هافانا. تشكل الحزب الشيوعي الكوبي رسميا في العام 1965. عندما حل الوقت لإعلان أسماء أعضاء اللجنة المركزية كان من الضروري أن يُقدم للشعب الكوبي تفسير لعدم وجود اسم



جيفارا وزوجته رفيقته في الكفاح خلفه تبتسم، التقطت الصورة خلال الثورة ويظهر مصابا في ذراعه

تواجه مصيرها؟ ولكنك لا يمكنك مقارنة حرب عصابات مع التدخل من قبل جيش نظامي، ففوة حرب العصابات يجب أن تكون مستقلة ومكتفية ذاتيا لكي ترسخ نفسها وتطورها، ولكن العلاقة مع قيادة الحزب الشيوعي البوليفي مع الأسف كانت متدهورة وقد فشلت خطوط الإتصال مع الوحدات الأخرى. مع ذلك تبين يوميات جيفارا أنه بقي على إتصال مع «مانيلا»، وهي كلمة الشيفرة لكوبا، الى أطول فترة ممكنة. إن يومياته ومقدمة فيدل لها تظهر بوضوح حدود ما كان ممكنا واقعيا.

أجريت هذه المناقشة مع فيدل ليس من فترة طويلة جدا عندما كنا نعد لطبع

أبي بين الأسماء وهو واحد من أهم أعمدة الثورة، فشعر فيدل بأنه ملزم بأن يقرأ رسالة أبي الوداعية. بعد أن غادر الكونغو بقي في براغ حيث أراد أن يخطط لمشروعه في أميركا اللاتينية. لم يكن يريد العودة الى كوبا بعد توديعه للشعب الكوبي، وفي النهاية عاد سرا الى كوبا لأن فيدل أقنعه بأن كوبا يمكنها أن تقدم له أفضل الظروف لتحضيراته، وبقي عدة أشهر في مكان سري بكوبا حيث هيا هو وآخرون أنفسهم للمشروع البوليفي، وكان فيدل مشتركا في هذه التحضيرات بجميع مراحلها.

شيء واحد كان يثار غالبا. هل تم التخلي عن مجموعة جيفارا في بوليفيا وتركت



جيفارا وابنته أليدا وكاسترو في العام 1963 تقريبا

يُمكن أن يخطر على بالي. يتوجب علينا الإنتباه الى الدوافع الأيديولوجية لهذه التخرصات لأننا نعيش في عالم نقصف فيه باستمرار بأكوام من الهراء. حقا أنه في خطاب أبي الشهير في الجزائر تم انتقاد الدول الإشتراكية وبالخصوص الإتحاد السوفييتي لعدم تقديمها الدعم الكافي لحركات التحرير في ذلك الوقت. شرح أبي بأن كل قطعة أرض تفصل نفسها من الإستعمار هي نقصان في النظام الإمبريالي ويجب أن يجري دعم حركات التحرر سواء كانت تقاوم بمنظور إشتراكي أو غير إشتراكي طالما تتفصل عن الهيمنة الإمبريالية. لقد أكد فيدل لي أن ما قاله أبي في ذلك الخطاب يتطابق كليا مع قنوات القيادة الكوبية آنذاك ولم يجر إخفاء هذا الأمر.

يوميات والدي في الكونغو ووافق فيدل على طبع الرسالة التي طلب فيها من والدي المجيء الي كوبا لإجراء التحضيرات لبوليفيا. نظر إلي فيدل فجأة وهو يتحدث عن خلافات مزعومة بين الإثنين، وسألني: «لماذا تضحكين؟» فكان علي أن أقول له «يا عم أنت لا تدرك أنك تتحدث عن أبي بالزمن المضارع كما لو أنه سيدخل من ذلك الباب في أية لحظة» فردّ عليّ بلهجة تأكيد: «أبوك حاضر، أنت تعلمين».

على أي شخص يعجب بأبي أن يكون لديه إحساس بشخصيته الإنسانية، فإذا كان لديه خلافات جذرية مع فيدل والثورة الكوبية فكيف يمكن لأحد أن يتخيل أنه يقبل ترك زوجته وأطفاله في أيديهم ليعلموهم ويكونوا شخصيتهم؟ كيف يمكن لأحد أن يصدق وجود خلاف جدّي بين هذين الرجلين؟ هذا هو الشيء الأكثر غباءً الذي

رون:

حالة تحاول أن تكون منصفة. كنا قريبتين من بعضنا فلم يكن لديها أطفال وإعتنت عناية كبيرة بأختي نصف الشقيقة التي كانت أمها تسافر كثيرا كصحفية في تلك الأيام. أشرفت على حمايتها وكانت تتأكد من أن الأمور على ما يرام في المدرسة وتفعل كل شيء لتجعلنا نتقارب أنا وأختي الكبيرة، فمثلا تأخذنا لدرس التطريز لمجرد أن تجعلنا نفعل شيئا سوية ولدي ذكريات عزيزة عن هذه الفترة. كنا نعيش في البيت نفسه مع سيليا عندما سمعنا بموت أبي. أخبرتني أن أمي تنتظرنني في غرفتها وأعطتني لها صحن حساء الذرة الذي كان طبق أمي المفضل، ترتبط سيليا في ذاكرتي بقوة بتلك اللحظات التي كان علي فيها أن أعلم أنه لم يعد لدي أب. هكذا كان علي أن أنشأ معها.

اعتبرتني (فيلما) كطفل آخر من أطفال عائلتها، وبالنسبة إلى أصغر أولاد فيلما وزوجها راؤول أنا الأخت الكبيرة، وكنت أعب معه طوال الوقت، كبرنا معا وخرجنا معا، وكنت دائما أحب العممة فيلما، بقدر ما كنت أحب هايدي، التي تعلمت أن أقدرها لإلتزامها، وتصميمها، وعفويتها. إنحدرت هايدي من عائلة متواضعة وكان تعليمها الرسمي محدودا ولكنها تدبرت أن تحصل على درجة من المعرفة والثقافة تثير الإعجاب. ربما كانت الشخص الأكثر جسارة في زمنها، وبتأسيس (كاسا دي لاس أميركاس) كانت قادرة على لم شمل كل مثقفي أميركا اللاتينية، ولكن هايدي حملت جروحا جسدية ونفسية عميقة من الفترة التي تلت اشتراكها في الهجوم على مونكادا عندما القي القبض عليها وعلى أخيها أبل وأروها الجلادون قسما من جسد أخيها الذي تعرض للتعذيب. لقد ترك قتله

تدير أمك (مركز دراسات تشي جيفارا) الذي يشرف على الأرشيف التي توثق تاريخ أبك. أعدت بمساعدتك ومساعدة أخيك طبع وناقك كثيرة ذات أهمية تاريخية عظيمة. يبلغ عمر أمك الآن فوق الثمانين فكيف هي؟ وهل يمكننا أن نتوقع طبعات أخرى في المستقبل القريب؟

أليدا:

لا زالت أمي نشطة جدا، وتحضر إلى المركز كل يوم تقريبا وهي تسوق سيارتها بنفسها. طبعنا حتى الآن 60 عنوانا بالتعاون مع (أوشن شور) و(أوشن بريس)، وكذلك عددا من تقارير المؤتمرات تلقي أضواء على حياة تشي. عدة دراسات قيد الإعداد وكتاب عن رحلة تشي إلى أفريقيا سيطلع قريبا.

رون:

لقد تعارف أبواك خلال حرب العصابات في جبال إسكامبراي، وعندما رحل تشي أصبح فيدل بمثابة أب ثان لك. مع من نشأت من شخصيات الثورة الكوبية الأخرى، فقد كانت هناك نساء رائعات مثل سيليا سانشين وفيلما إيسين، وهايدي سانتاماريا، وميلبا هيرانانديز. هل يمكنك أن تخبرينا أي إنطباع تركه هؤلاء النسوة عليك؟

أليدا:

كانت أمي الشخص الأكثر أهمية في طفولتي. عند انتصار الثورة عملت أمي مع هؤلاء النساء في (إتحاد نساء كوبا) وهكذا عشت معهن كلهن منذ سن مبكرة، بالنسبة لي كن يشكلن عائلة وكنت أعتبرهن عمات لي. سيليا ذات شخصية قوية ولكن في كل

عليها أثرا لا يمحي حتى وإن بقيت محافظة على صلابتها عبر السنين الى أن حاصرتها الهموم ذات يوم ووضعت حدا لحياتها. قضيت بعض الوقت مع ميلبا كذلك عندما كانت مسؤولة عن منظمة مؤتمر القارات الثلاث والى أن تركت البلد لتتسلم منصب سفير كوبا في فيتنام، كانت مهذبة وذكية وناشطة وكرست حياتها كلها للعملية الثورية.

نشأت مع نساء رائعات، نساء غير عاديات حقا يعبر وضعهن عن قوة الشعب الكوبي، ورقته، ولطفه، وتضامنه. أظن أني حصلت على إمتياز معرفة نساء كهؤلاء تركن أثرهن علي. إنهن يعلمنك ويجعلنك ترغب في أن تكون بشرا أفضل، ويبين لك كم هو مهم أن تحترم الشعب وتكون مستحقا لأن

تكون جزء منه. تلك النساء، أظن أنهن أكثر من تعرفت عليهن من النساء الكوبيات كمالا. لم يسألني أحد هذا السؤال من قبل وأنا ممتنة لأنه من المثير للإهتمام معرفة تلك النساء، إنهن أعمدة ثورتنا والقادة لكل نساء كوبا.

أجرى المقابلة رون أوغسطين

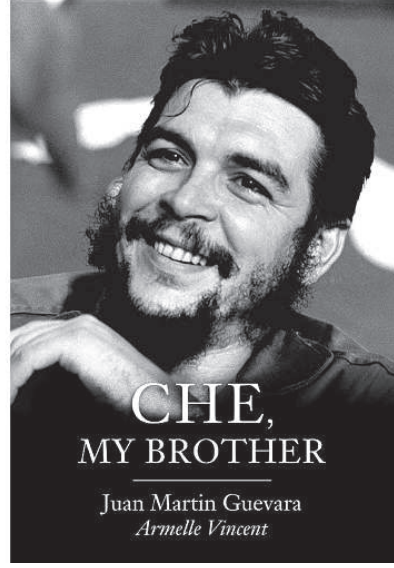
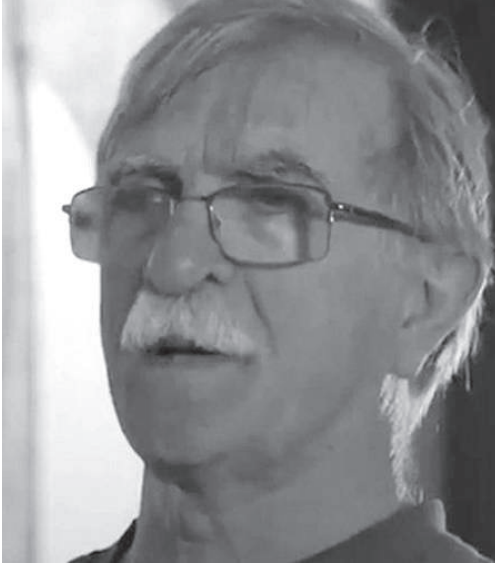
للإطلاع على المقابلة كاملة أنظر:

MONTHLY REVIEW, AN INDEPENDENT
SOCIALIST MAGAZINE

(Volume 68, Issue 08, January 2017)

مونثلي ريفيو الأميركية، مجلة اشتراكية
مستقلة (المجلد 68، العدد 8، كانون الثاني
2017)

سيرة نضالية: كتاب (تشي، أخي) يرسم لنا صورة جيفارا الإنسان



القيم التي قاتل من أجلها. العالم بحاجة ماسة الى أناس يتمتعون بثقافة وعاطفة والتزام جيفارا، وكتاب شقيقه يسعى للمساهمة في ظهورهم كما يقول: «من الأهمية بمكان أن نفهم بأن أرنستو بدأ شخصا عاديا وأصبح شخصا إستثنائيا يمكن للآخرين، ويجب عليهم، أن يباروه». ولد لعائلة ميسورة مثقفة من الطبقة الوسطى، وذات ثقافة بوهيمية، فكيف أنجبت عائلة كهذه برولينتاريا ثوريا عنيفا كتشي؟. يشرح خوان بأنه كان يوجد في العائلة دائما حس بالعدالة الإجتماعية يرافقه التزام عميق بالدراسة وحرية الفكر: «كل واحد حرّ في البيت في الاعتقاد بما يشاء عدا الأفكار الفاشية. كان بيتنا مكان لقاء

نظرا لعدد كتب السيرة التي كتبت عن أرنستو "تشي" جيفارا والتي طبعت خلال نصف القرن الماضي منذ مقتله فإن أي كاتب يود الآن كتابة سيرته عليه أن يكافح ليجد شيئا لم يكتبه سابقوه، ولكن الأخ الأصغر لتشي (خوان مارتن جيفارا) قادر على أن يقدم نظرة داخلية في حياته العائلية وخلفيته والمؤثرات والتجارب المبكرة التي ساعدت في تكوين الثوري الأسطوري.

إن غاية الكتاب الصريحة هي إنزال جيفارا من الصليب «ليعرف الناس أنه أكثر من أسطورة» وليفهموا كيف تشكلت شخصيته ليخرج المزيد من الناس أمثاله ويشنوا الكفاح، وليس بالضرورة كفاح حرب عصابات بل كفاحا سياسيا أوسع من أجل

الى حد القول بتعاون المخابرات السوفييتية مع المخابرات الأميركية على تصفيته في بوليفيا، وهو إدعاء لم يقدم دليلاً يثبت صحته. حقا أن جيفارا إنتقد الإشتراكية السوفييتية ولكنه كان صاحب بصيرة ووعي بالتعقيدات السياسية ويرى التناقضات الدقيقة التي واجهها الإتحاد السوفييتي وكان من الإنضباط بحيث لا يذهب بعيدا في الإنتقاد المفتوح، فبعد كل شيء كان الدعم السوفييتي حاسما لبقاء الإشتراكية الكوبية كما جرى التنويه به عدة مرات من قبل فيدل ورأول كاسترو.

الكتاب:

Che, My Brother

by Juan Martin Guevara

كارلوس مارتينيز/ جريدة مورنغ ستار
البريطانية الإشتراكية

للعديد من الشخصيات السياسية النشطة وفي هذا الجو نشأ تشي» وحتى في طفولته كان قوي الشخصية، ذا عزم، منضبطا، واسع الحيلة، مبدئيا، مغامرا. بالإضافة الى ذلك كان قارنا نهما بمعدل كتاب يوميا. ميز نفسه عن أقرانه من طبقته برغبته في الذهاب الى الفقراء ومعرفة مشاكلهم، وهكذا تضافرت هذه كلها مع لقاءه المؤتمر بكاسترو ورفاقه في المكسيك لتصنع جيفارا الخالد. يروي كتاب جيفارا الشقيق قصة سنوات أخيه المبكرة مع قصته هو أيضا حيث ناضل ضد الديكتاتورية الأرجنتينية وحكم عليه بالسجن لثماني سنوات في ظروف مزرية (قامت في وقتها حملة عالمية لإطلاق سراحه من السجن-م). لا شك أن الكتاب بالغ القيمة في فهم تشي وعائلته، وبوصفه أحد تلامذة شقيقه فإن له تأويله الخاص للجيفارية التي يؤكد أنها مختلفة جدا عن الإشتراكية كما طبقت في الإتحاد السوفييتي، ويذهب

المرأة التي خلقت حياتها وخاضت ثورتها



هايدي سانتاماريا وخلفها سيليا سانثيز خلال الثورة في الجبال الكوبية

انتقلت (هايدي سانتاماريا كوادرادو) من مزرعة كوبية للسكر الى هافانا لتعيش مع أخيها الأصغر (آدل)، وقاما معا بالمساعدة في إقامة حركة ثورية غيرت تاريخ بلدهما. كانت هايدي واحدة من إمراتين فقط من بين 160 مقاتلا قاموا بالهجوم على ثكنات جيش باتيستا في مونكادا وبايامو في السادس والعشرين من تموز 1953، ذلك الهجوم الذي أطلق شرارة الثورة الكوبية، وفي الخطاب الأسطوري الذي ألقاه خلال محاكمته على دوره في ذلك الهجوم حَيَّى

كتبت في العام 1967 وهي ترثي جيفارا بعد مقتله:

«قبل أربعة عشر عاما رأيت أعز الناس يموتون. أظن أنني عشت أطول مما ينبغي. الشمس لم تعد جميلة، ولم تعد تسرني رؤية أشجار النخيل. برغم أنني أستمتع بالحياة كثيرا، عارفة أنها تستحق أن يفتح المرء عينيه كل صباح ولو من أجل رؤية الشمس وأشجار النخيل، فإني أحيانا، كما الآن، أرغب في أن أبقيهما مغمضتين، مثلك».

بأنه ليس بميت لأن الموت من أجل الوطن حياة الى الأبد. لم تبلغ بطولة وكبرياء المرأة الكوبية هذه الدرجة من الرفعة أبداً.

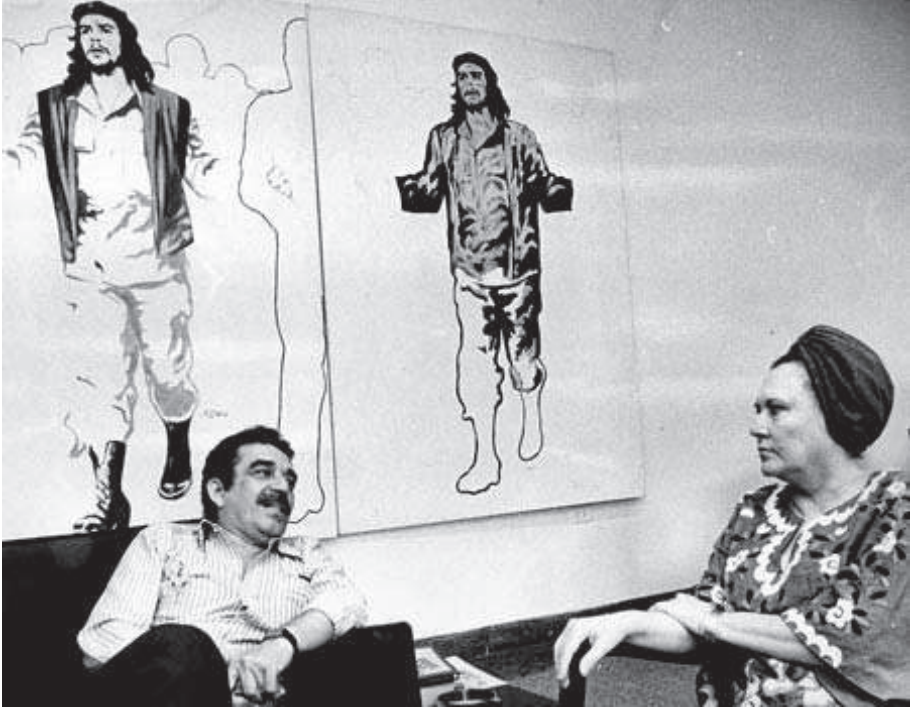
حكم على هايدي بالسجن سبعة أشهر. لعبت دورا حيويا في النضال السري وشاركت في تنسيق انتفاضة قصد منها مشاغلة الحكومة عن التصدي لوصول 82 نائرا على متن قارب الى كوبا بقيادة كاسترو وجيفارا وهو ما شكل المرحلة الثانية من الحرب الثورية. كانت هايدي، برغم عدم حماسها لمغادرة كوبا، تذهب الى حيث يحتاجها فيدل، وقد سافرت الى ميامي لتؤمن شراء الأسلحة من العصابات وعادت الى كوبا بإطلاقات خيطة في طيات تنورتها.

كاسترو المرأتين اللتين قاتلتا الى جانبه فقال:

«لقد حاولوا، بعد أن أحبطتهم بسالة الرجال، أن يكسروا معنويات نساءنا فذهب رقيب ورجال آخرون الى الزنزانة حيث سجنت رفيقتانا ميلبا هرنانديز وهايدي سانتاماريا التي أروها العين وقالوا لها أن هذه العين هي عين أخيك وإذا لم تخبرينا بما رفض أن يخبرنا به سنقلع عينه الثانية غير أنها، وهي التي تحب أخاها الشجاع أكثر من أي شيء آخر، ردت بكبرياء إذا كنتم قد قلعتم عينه ولم يتكلم ستجدونني إذن أقل منه رغبة في الكلام. عادوا بعد ذلك وأحرقوا ذراعيها بالسجائر الى أن ملوا وأخبروها بأنها لم يعد يوجد لديها خطيب لأنهم قتلوه فردت وهي لا تزال على ثباتها



كاسترو في الوسط وهايدي الى اليمين وسيليا سانثيز الى اليسار بعد إنتصار الثورة مباشرة



هايدي وماركيز يتبادلان الحديث عند لوحة جيفارا

رسائل الى هايدي فكرة عن الإحترام الذي حظيت به من شخصيات سياسية وثقافية مثل أرنستو تشي جيفارا وإدواردو جاليانو وغابريال غارسيا ماركيز ونيكولاس جيلين (كتاب Rebecca ريببكا).

الشاعرة والأستاذة مرغريت راندال التي عاشت في كوبا في السبعينيات وأصبحت صديقة لهايدي أحسنت التعبير عن جوهر هايدي في كتاب لها صدر مؤخرا حيث صورت لنا تحت عنوان (بورترية إنطباعي) لقاء امرأة متواضعة شديدة التعاطف مع الآخرين فتأخذنا عبر سنوات هايدي المبكرة، من تاريخ ولادتها غير المؤكد الى تعليمها قصير الأجل، ونعلم أنها بعد انتقالها الى هافانا كانت تعدّ الطعام للثوار

بعد أن فقدت حبيب حياتها في مونتاكادا تزوجت محاميا كان رفيقا لها في حركة 26 تموز هو أرماندو هارت دافالوس الذي أصبح بعد الثورة أول وزير للتعليم ومن ثم وزيرا للثقافة. رُزقا بطفلين وتبني عددا من الأطفال من أناس رُحلوا من ديارهم في أميركا اللاتينية. إضافة الى التبني واسع النطاق فإن أعظم إنجازاتها كان معهد (كاسا دي لاس أميركاس) للتضامن الثقافي بين شعوب الأمريكيتين.

إن هايدي التي أصبحت في العام 1965 عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي استخدمت مكانتها لرعاية وحماية المثقفين من قمع السلطة في الأوقات السياسية الصعبة. يعطينا كتاب عن

قبل أن تنضم اليهم لمناقشة الاستراتيجية ووصفت لنا بالتفصيل الساعات الإثنتي عشرة التي قضتها مع ميلبا هيرنانديز قلقتين حول ما إذا كانا سيدعوان للإلتحاق بالرجال في عملية مونكادا.

نعرف من خلال كلمات هايدي أن شقيقها أبل عبر عن قناعته بأنه لن ينجو بعد الهجوم وأنه أكد على هايدي بمواصلة النضال مهينة نفسها لما يأتي بعد الهجوم والذي سيكون أصعب، وعلمنا كذلك أنها أقسمت أنها ستستمر بالحياة الى أن تلتقي بكاسترو مرة أخرى وتخبره أن أخيها ضحى بحياته من أجله، الى أن تقف في المحكمة لتخبر العالم كيف مات أبل، تعيش ما يكفي لترى إنتصار الثورة، وهو الدافع الوحيد لتجنبها الوقوع بأيدي السلطة أو تعريض حياتها للخطر، وقد أعيد نشر أرشيف صوري جميل خلال الكتاب يعطينا لمحة عن التآخي والتعاطف الذي ميّز الحركة.

توضح لنا راندال التحديات التي تواجه إمراة تعيد صنع مجتمع في النصف الثاني من القرن العشرين، ففي حين تكافح المرأة الغربية لتحصل على التكافؤ في التعليم والسيطرة على حقوقها في الإنجاب، فإن خيارات الشابات الكوبيات أكثر محدودة، محكوم عليهن بأن يكن فتيات لهو أو عاهرات أو ربات بيوت أو خادمات. تكتب راندال: «شيء واحد يفترض أن لا تفعله أية إمراة في كوبا ما قبل الثورة مهما كانت طبقتها أو ثقافتها، هو أن تشارك في الكفاح السياسي المسلح» (Randall) راندال ص 39). تذكر راندال كذلك عالمية عمل هايدي الثقافي، عالمية فهمها «للفن بوصفه الشكل الأعلى للتعبير الإنساني ومكونا ضروريا

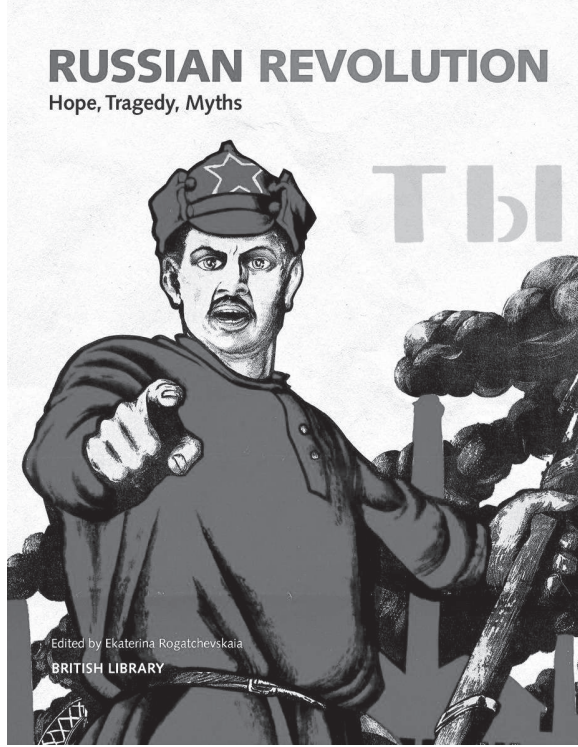
للتغير الإجتماعي» (راندال ص 23). جسدت هايدي الكائن الإنساني الجديد الذي سعت الثورة لتشجيعه كمهد لعلاقات إجتماعية جديدة. تؤكد راندال في الوقت نفسه على أن حياتها مثلت التناقضات الموجودة بين الأفراد وبين العمليات السياسية، مشيرة الى أن «بعض أحلام التغير الإجتماعي.. لا تأتي أبدا سريعا أو دائماً بالقدر الذي يرضي مفهومها عن العدالة الفورية» (راندال ص 12).

تنقب راندال بحساسية شاعر في سايكولوجية هايدي معددة قيم العدالة والولاء التي قادتها في حياتها، الجانب المضيء من شخصية هايدي بوصفه الورقة الراحبة العملية، وتتطرق الى ذكرى الإنتحار راسمة لنا عن أهل هايدي صورة عائلة تتناهبها حوادث الموت وتمزقها الكآبة. وفقا للشاعر روبيرتو فيرنانديز ريتامار الذي خلف هايدي على مؤسسة (كاسا دي لاس أميركاس) فإن «ألها كان ينمو ويكبر الى درجة لم تعد تحتملها، وكانت أشباح الجلادين الذين عذبوها وقتلوا أحبائها بعد هجوم مونكادا تطاردها». أشارت هايدي في أول محاضرة لها عن موضوع مونكادا ألققتها في تموز 1967 الى أنها تشعر بصعوبة التحدث عما جرى أكثر مما كانت تشعر بصعوبة الأحداث نفسها في وقتها، ومن خلال ملاحظات راندال نشعر بألمها لأن تدعى لإستذكار أكثر ذكرياتها إثارة لرعبها، والتي أصبحت أكثر حدة مع كل إستذكار جديد.

مجلة مونثلي ريفيو الإشتراكية الأميركية المستقلة

معارض:

الثورة الروسية: الأمل، والتراجيديا، والأساطير



غلاف دليل المعرض، إعلان للتطوع في الجيش الأحمر بعد الثورة

المعرض الرئيس الجديد عن الثورة الروسية في المكتبة البريطانية حتى نهاية آب 2017 وبرنامج الفعاليات المرافقة له يهدف الى سرد قصة الثورة الروسية من خلال طيف واسع من المعارض كالتوثائق والكتب والبوسترات والمعابدات والخرائط والصور والمنتجات والأثار الفنية والأفلام والموسيقى والأوراق المالية والنشرات الجدارية. لا يهمل المعرض التركيز على القصص الشخصية للناس العاديين ولا يقتصر على قصص اللاعبين

لماذا الاحتفال بالثورة الروسية بسيل من الكتب المكتوبة بعناية والموثقة جيدا وبالاعمال البحثية الموجهة الى قطاع واسع من القراء في حين أن الناس ليسوا مهتمين كثيرا بعيوب المجتمع الرأسمالي ويحاولون شق طريقهم خلال التحديات العولمية؟ لماذا تجد المؤسسات خارج روسيا هذه المناسبة مهمة، وفي الوقت نفسه تراها مجدية تجاريا، لتنظم لها معارض تاريخية وفنية تجذب جمهورا وتدور حولها برامج فنية؟

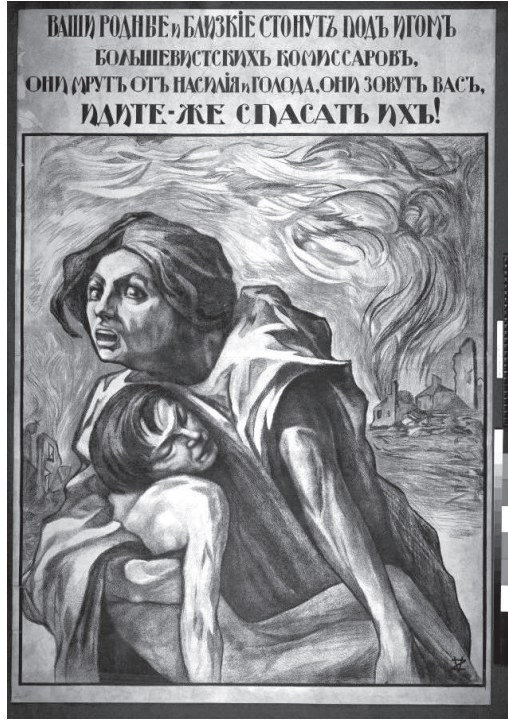
في قاعة القراءة الدائرية الشهيرة بسبب «الإطلاع على الأدبيات البلشفية» وحاولت إدارة المتحف البريطاني إقناع مكتب الخارجية وشرطة سكوتلانديارد بأنه يجوز إطلاع القراء على هذه المواد. تضم المكتبة مجموعة من المواد البصرية والأدبية النادرة حتى في روسيا كما توجد تسجيلات صوتية «لموسيقى الثورة» كان يستمع إليها ألكسندر بلوك ويوري أنينكوف. ربما لازالت الثورة الروسية، بعد مئة سنة، تلعب دورا مهما في فهمنا للعالم الحديث حولنا.

أمينة المكتبة البريطانية الدكتورة إيكاترينا روغاشيفسكايا/ جريدة مورنغ ستار البريطانية الاشتراكية

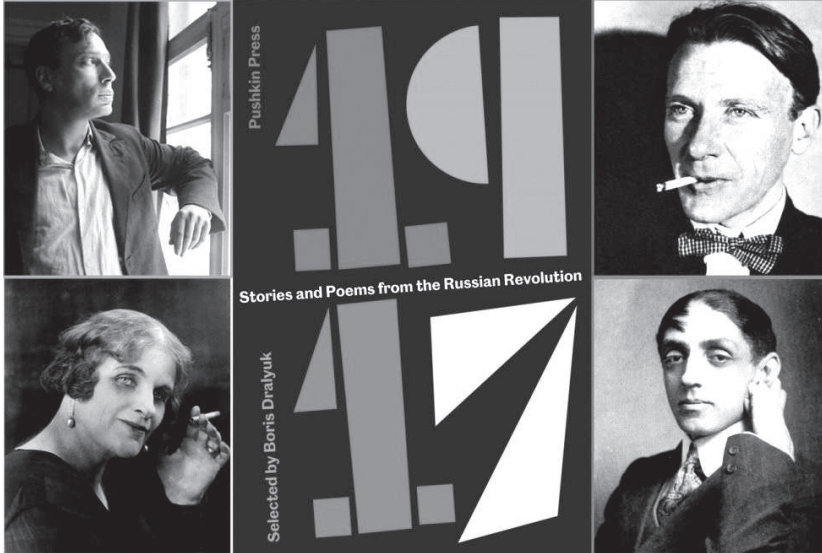
السياسيين الرئيسيين، مقتطفة من اليوميات والمذكرات من مصادر أصلية، ويأمل المعرض أن يعطي صورة شاملة لأحداث وقعت قبل مئة سنة، مثلما يأمل بعرضه لصورة شقيق لينين الذي أعدم لمحاولة إغتيال القيصر ومقتطف من رسالة لينين إلى أمه وهو في طريقه إلى المنفى بسيبيريا، أن يدفع الجمهور إلى القراءة عن الموضوع والتفكير في القادة والجماهير. إن العلاقة بين المكتبة البريطانية والثورة الروسية علاقة عريقة فقبل أن يطلب فلاديمير لينين (تحت اسم يعقوب رختر) السماح بدخول المكتبة سنة 1902 بزمن بعيد كان يزور المتحف العديد من المشاهير ضمنهم منفيون روس أمثال الأمير بيتر كروبوتكن وسيرجي ستينينياك، وقد أعتقل أحد المنفيين



بوستر من 1917، عامل يكس المجرمين



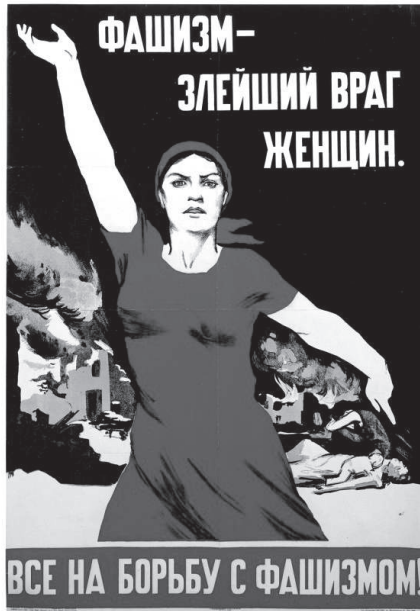
من إصدارات زمن الثورة والحرب الأهلية



قصص وقصائد من الثورة الروسية



دعوة باللغات المحلية للتطوع في الجيش الأبيض ضد الثورة



ملصق للفنانة نينا فاتولينا من سنة 1940، الفاشية أعدى أعداء النساء

مطبوعات وصلتنا :

- فاضل تامر، الصوت الآخر الجوهر الحواري للخطاب الأدبي - الطبعة الثانية - إصدارات دار الشؤون الثقافية العامة / وزارة الثقافة - بغداد 2016.
- د.حسن البياتي، مقدمات وإشارات تعريفية بآثار إبداعية ومعرفية. دار الفارابي لبنان 2017.
- ابراهيم الحريري، الجثة (رواية قصيرة)، دار الرواد المزدهرة - بغداد 2017.
- ابراهيم الحريري، العضو (رواية قصيرة) دار الرواد المزدهرة - بغداد 2017.
- د.هاشم نعمة، التصحر يعيق التنمية في العالم العربي، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2016.
- ياسين طه حافظ، القمم العالية: قصائد مختارة لعشرة شعراء من العالم، دار المدى، 2016.
- د.بتول قاسم ناصر، القانون المطلق، ط 2 - دار الفارابي ، لبنان 2017.
- حيدر عبد المحسن "خطوات الذئب" (شعر) - دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق. سوريا
- مجلة التراث الشعبي، السنة 48، العدد 1 - 2017 تصدر عن وزارة الثقافة - بغداد.
- مجلة الثقافة الاجنبية العدد 1 - 2017، تصدر عن وزارة الثقافة - بغداد.
- مجلة افاق ادبية السنة السابعة العدد الاول 2017، تصدر عن وزارة الثقافة - بغداد.
- مجلة الاقلام العدد 1 - اذار 2017 - تصدر عن وزارة الثقافة - بغداد.
- مجلة التراث الشعبي، السنة 48، العدد 1، -2017 تصدر عن وزارة الثقافة - بغداد .

